من أوراق

رئيس المخابرات المصرية الأسبق

أحمد كامل

يتذكر

بقلم: أحمد عز الدين

دار الهلال

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/رمزي ذكي

القاهرة

أحمد كامل يتذكر

من أوراق رئيس المخابرات المصرية الأسبق

بقلم

أحمد عزالدين

هذا الكتاب
ملك الأستاذ الدكتور
رمزى زكى بطرس

دار الهلال

الغلاف بريشة الفنان : حلمى التونى

عن المحاولة وعن الرجل

بقلم : أحمد عز الدين

١ ـ عن المحاولة :

● ● أعترف أننى ركضت وراء هذه الأوراق وصاحبها كثيرا .. وأنها اعتصرتنى قبل وأثناء وبعد تدوينها أكثر ..

وأعترف أيضا ـ أن هاجسا فى ذلك كله لم يكن مهنيا بحتا ، بحثا عن سبق صحفى أو شغفا ذاتيا بالغوص فى أعماق مرحلة .

ذلك أننى أحد الذين يؤمنون بأن التاريخ فى حياتنا قد تحول إلى مخزن للتحف والآثار ، يلج بعضنا بابه من أجل حاجة مؤقتة أو موقوتة ، إما ليلتقط من فوق رفوفه ما يزين به صدره العارى ، وإما ليقنع الآخرين بأنه لايزال قادرا على البقاء والتنفس ، كما كان يبدو فى الصور التذكارية ، وإما ليحاول استنهاض مشاعر غافية ، أو إحياء خلايا تآكلت بحكم عوامل التعرية وقوانين الطبيعة .

أكاد أجزم أننا وصلنا إلى حالة أصبحت فيها وظيفة التاريخ معكوسة فى حياتنا ، بالقياس إلى وظيفته فى حياة سوانا من الأمم .

فعلى ساحة الحياة السياسية المصرية ، يبدو التاريخ فى الغالب ، أكثر سطوة على الوقائع والمتغيرات من الحاضر نفسه ، وتبدو أغلب التيارات السياسية محتجزة فى أسر هذا التاريخ ، وكأنها بقايا نبضه المتراجع ، أو ظل شعاع تخلف من شمسه الغاربة .

فى كل ما نعيش ونتخاصم ونتجادل ونتفق ونختلف ، يبقى التاريخ هو الحاكم المستبد ، ويبقى هو شيخ القبيلة السياسية الذى يشيع فى معارك اليوم ، حسا قبليا مغلقا ، ونزعة تمركز على الذات تمزق أوصال الحوار ، وتنسف جسور اللقاء والاتصال ، بين القوى السياسية وبين الأجيال على السواء ..

وتكون النتيجة فى النهاية ، بقايا مدارس سياسية وفكرية تهرب من فشلها ويأسها فى أن تحاول أن تحتكر لنفسها دوراً فى غير زمانها ومكانها .. دون أن تتفاعل مع الزمان والمكان الجديدين ، وبقايا نظريات واجتهادات ، تتوقى الاعلان عن إفلاسها بمحاولة أن تبرهن لنفسها قبل غيرها أنها لاتزال الأقدر والأجدر على حمل اللواء ، وتقدم الصفوف ، دون أن تبذل جهدا حقيقيا من أجل انتزاع مقدرة أو جدارة . وتكون النتيجة أيضا ، عجزا عن التعبئة السياسية والاجتماعية ، تتبدى أهم مظاهره فى معادلات خلل مركب بين الانتاج والاستهلاك ، أو بين عبقرية المكان ، واشكال التعبير السياسى عنها ، أو بين الأجيال القديمة والجديدة ، أو بين النظريات فى انساقها النظرية المجردة ، والممارسات اليومية فى قوالبها العملية ، أو بين الثروة بمعناها الحقيقى ، وبين أدوات استثمارها الانسانى .

وتكون النتيجة فى النهاية ـ أيضا ـ حالة عامة من السلفية الفكرية من المؤكد أنها ليست حكرا على بعض الجماعات الدينية وحدها .

أريد أن أجزم أيضا ـ أن الأجيال الجديدة ـ والتى أطمع أن أكون ولاأزال أنتسب إليها ـ قد أدركها كثير من السأم ، وقد أصاب جذوتها كثير من الشحوب ، بعد أن سقطت ـ بالتعبير العسكرى ـ فريسة بين أقواس نيران القبائل المتحاربة ، فأصابها من رشق البنادق ودانات المدافع ، وشظايا القنابل ، النصيب الأوفر ، والوبال الأشد ، وقد انعكس ذلك كله عليها ، فى شكل عذابات روحية عميقة ، لعلها أشد وطأة من العذابات المادية المقيمة ، بحثا عن دور وعن حضور وتأثير ، بل وعن يقين .

فى الوقت الذى يصر فيه ممثلو الوقائع التاريخية القديمة على احتكار مفاتيح العمل السياسى ، من خلال أدوارهم التى تمتد خيوطها متصلة أو متقطعة بعمق يربو على نصف قرن أو يزيد ، لقد كررت على نفسى وغيرى طويلا وكثيرا نفس السؤال التاريخى الخالد : « ما العمل ؟ » إذا كان الجديد ـ أى جديد ـ يبدو فوق

تلك البركة ، وكأنه مجرد أحجار تلقى فى اليم ، لتخلف وراءها دوائر ـ سرعان ما تنحل دون أن تبقى أثرا .. وإذا كان اليقين ـ أى يقين ـ سرعان ما تستقوى عليه الأشباح بنفسها وبغيرها فى كل مرة لتطرده من فوق خشبة المسرح .

أظن أننى لم أجد بديلا صحيحا سوى فى أن أكون من بين تلك الأصوات البازغة فى حياتنا الفكرية والتى تغالب تلك النزعة القبلية العامة ، بالدعوة إلى إشاعة منهج نقدى صحيح فى هذه الحياة .

وأظن ـ أيضا ـ أنه دون أن يتحول هذا المنهج النقدى الصحيح إلى سلاح حقيقى ، فسوف يبقى المسرح السياسى على ماهو عليه : مباريات معزولة بين بقايا تواريخ ، وفضلات أدوار ، وأشباح أبطال ، وموتى يبعثون فى الحاضر ، ليفرضوا عليه تجارب الماضى سطوة وسلطة .

من أجل هذا كله كان هذا الخيار ..

ومن أجل هذا كان اختيار أن يتم استخدام هذا المنهج النقدى من خلال تلك الوقائع مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

اننى لست مضطرا لأن أؤكد انتسابى إلى التيار العريض لثورة يوليو فذلك طبيعى بحكم الميلاد والنشأة والوضع الاجتماعى ، لكننى قد أكون مضطرا لأن أقول أن ثورة يوليو ١٩٥٢ التى غيرت وجه الحياة على أرض مصر ، ووصلت أصداؤها وتفاعلاتها الى تخوم واسعة فوق خريطة الدنيا ، ليست فى الحقيقة طللا لنبكيه ، وليست تمثالا لنضع عند قدميه الزهور ، كما أنها ليست جدارية من الفسيفساء تنحصر وظيفتنا وأدوارنا فى أن نمسح ما قد علق أو يعلق بها من غبار المسافات أو الاوقات أو العواصف .

أعرف أن كثيرا من السلفيين على جبهة يوليو لن يرون من أبعاد هذه الصورة وأعماقها سوى بعض الغبار ، الذى يخشون من أن يلطخ الصور الملونة فى الألبومات .

وأعرف أن كثيرا من السلفيين على جبهتى اليمين واليسار لن يرون من أبعاد هذه الصورة وأعماقها ، سوى فرصة سانحة لالتقاط بعض البارود الذى يمكن أن تشحن به أسلحة الثأر القديمة ذاتها .

ولكن المشكلة الحقيقية ليست النجاح فى حفظ الصور نظيفة وسط هالة الذكريات . ولا فى منع أسلحة الثأر وأصحابها من الحصول على وقود جديد ، وإنما فى إشاعة زاوية جديدة للرؤية ، ومنهج جديد للمراجعة ، لعله يكون دعوة قابلة للتعميم على الأقل بين ممثلى الأجيال الجديدة على اختلاف انتماءاتهم السياسية والاجتماعية .

إن هذه المحاولة ليست دعوة إلى تفكيك التاريخ ، وإنما إلى إخراجه من المتاحف أو رفع جدران المتاحف عنه ، ليكون بمقدور شمس الحقيقة أن تسرى فى عروقه ، حتى يتأتى لنا أن نميز الطيب من الخبيث ، والحقيقى من الزائف ، والجواهر من الزجاج .

ودون ذلك لن يتقدم فكر جديد ..

ودون ذلك لن تتاح للأجيال الجديدة فرصة أن تصوغ تجربتها الذاتية باجتهاد وابداع .

٢ ـ عن الرجل :

قدر لى أن أعرف أحمد كامل عبر مواقف ومراحل مختلفة .. وقدر لى أيضا أن أراه من خلال أكثر من زاوية .. وظيفية وانسانية .. ومن خلال عيون أكثر من صديق انتسب الى عمله أو عمل قريبا منه أو عمل إلى جواره .

ويخيل إلى بعد حصاد سنوات طويلة أنه يشبه أحد أبطال الدراما الأغريقية القديمة : قلب مفعم بالفروسية نقاء وجسارة ونبلا ، وعقل متجدد يمزج الممارسة الحية بالمعرفة النظرية .

ولذلك فإنه يبدو خلال كثير من المواقف كما لو كان استثناء جاء فى غير مكانه وزمانه .. وفيما يبدو فقد كانت تلك هى مشكلة حضوره المزمنة .. عسكرى محترف فوق أنه ينتسب إلى عائلة عسكرية .. فقد كان والده من كبار قادة سلاح المدفعية ، وهو أقدم أسلحة الجيش المصرى ، ومع ذلك فإن قلبه ظل معلقا بالفنون الجميلة والأداب حتى يخيل إلى أنه لم يمارس القتال الا وايقاع موسيقى فاجنر وبيتهوفن وموزارت يخرج من فوهة مدفعه قبل الدانات .. وأن أوامره العسكرية فى الميدان ، أخذت دائما نبرة قصائد الحماسة فى الشعر العربىَ القديم .

ثم إن جزءا من هذه الدراما الأغريقية فى تكوينه ، ومواقفه منحته فرصة أن يكون دائما قريبا من كبريات الأحداث الوطنية والقومية .. ففى حرب ١٩٤٨ وجد نفسه فى المجدل ، وفى ذروة أزمة الديمقراطية بعد الثورة ، وجد نفسه فى معسكر ضباط المدفعية المتمردين ، وفى قلب الوحدة كان فى الجيش السورى ، وفى محاولة البناء الكبير فى الستينات وجد نفسه محافظا لمحافظتى أسيوط ، والمنيا .. ثم محافظة الاسكندرية ، وفى قلب محاولة هزيمة الهزيمة مع تمرد أجيال من الشباب وجد نفسه مسئولا عن منظمة الشباب ، ثم اختاره السادات بعد رحيل عبدالناصر رئيسا لجهاز المخابرات العامة ، وفى غمرة أحداث مايو ١٩٧١ ضبط نفسه داخل جدران السجن .

عرف عبدالناصر عن قرب وعرفه عبدالناصر عن قرب واقترب من أنور السادات ، واقترب منه أنور السادات كثيرا .. وعاشر عبدالحكيم عامر ، ومحمد فوزى وكمال الدين حسين ، ولذلك فإن ألبومه يضم صورا واضحة وملونة لهم جميعا .. فوق صور أخرى كثيرة لمحمد نجيب وصلاح سالم وزكريا محيى الدين ثم على صبرى وشعراوى جمعة ، وسامى شرف إضافة إلى محمد حسنين هيكل ومصطفى أمين وعلى أمين وغيرهم .

ورغم ذلك فإنه ليس معنيا فى هذه الأوراق برسم ملامح هذه الصور الشخصية أكثر مما هو معنى برسم حدود الأدوار وانعكاساتها على مسارات الأحداث والتجارب .

بعد كل هذه السنوات فمازال العثور على أحمد كامل صعبا .. ذلك أنه رغم ضغوط المرض ظل واثب الحركة والتجوال عندما كان فى القوات المسلحة المصرية ، كانوا يبحثون عنه فى صفوف جنوده ، وعندما كان محافظا لم يكن البحث عنه يبدأ من مكتبه فى ديوان المحافظة وإنما كان يتم على محطات الأتوبيس ومنافذ توزيع الخبز وأسواق الخضر والفاكهة ، وتجمعات العمال والطلاب والموظفين .

وعندما أصبح رئيسا للمخابرات العامة ، ظلت تسيطر عليه فكرة فتح الحدود بين المخابرات بطبيعتها الخاصة وبين المواطنين فى المناطق حتى أن أحد مساعديه قال لى : أنه كان ينوى أن يقيم مكاتب أنيقة لجهاز المخابرات فى المناطق الرئيسية لتحقيق قدر من الألفة والطمأنينة العملية بين الجمهور وبين جهازه الوطنى .

وكما قال لى أحمد كامل نفسه ـ فإن قوة أى جهاز مخابرات تقاس بمدى إيمان الناس به ، وتفهمهم لدوره ، وبالتالى تعاونهم معه ، ولذلك فاننى كنت أعتبر أن الخمسين مليون مواطن ينبغى أن يكونوا بشكل أو بآخر أعضاء فى جهاز مخابراتهم الوطنى .

وفى هذه الصفحات يتحدث أحمد كامل لا عن تجربته الذاتية ، ولكن عن تجربة الثورة المصرية وهو لا يغطى على خطأ ، ولا يدارى أعوجاجا أو سلبية .. إنه فى النهاية يتعامل مع الأحداث والوقائع بضمير القاضى وبنزاهة الفارس ، الذى « يغشى الوغى ويعف عن المغنم » .

أحمد عزالدين

هـذه شهاداتى للأجيال القادمـة والتـاريخ

لماذا أتكلم بعد طـول صمـت ؟

لقد فرضت على نفسى حاجزا من الصمت .. وأغلقت أبوابى ونوافذى دون وسائل الاعلام المختلفة ، وأقنعت نفسى طويلا بفضيلة السكوت . فما الذى يجعلنى أخرج الآن بعد ثمانية عشر عاما عن قناعتى ؟
لا أستطيع أن أزعم أن الأشياء الغافية القديمة قد استيقظت فجأة وأطلت برءوسها ، وأنها هى التى تفرض على الآن أن أخرجها من داخلى إلى أفق الرأى العام ، ذلك أن شخصا فى مثل ظروفى وتجربتى قدر له منذ نهاية الأربعينات إلى بداية السبعينات أن يلتحم كليا فى النبض الوطنى المصرى ليحمل جانبا من مسئوليات العمل الوطنى العام عبر مراحل مختلفة ، وأن يكون قريبا فى لحظات تاريخية هامة من مركز قيادة هذا العمل بل وأن يكون مشاركا حسب القدر والجهد والامكان فى صنعه ، لا يمكن لدوره ومسئوليته وبالتالى ذاكرته أن تحال إلى التقاعد ، وتنتهى إلى غفوة طويلة بناء على قرار إدارى أو سياسى .

لقد مضى ١٨ عاما منذ غادرت مكتبى كرئيس للمخابرات العامة ، لكننى لم أشعر على امتدادها للحظة واحدة وحتى حين غبت أو غيبت بين جدران سجن اتصل عدة سنوات ، أن دورى الوطنى قد أفل وأن على أن أقنع نفسى بالسلوى ، وأن أعيش على اجترار الذكريات .

ربما يكون عدم عودتى إلى الذكريات كتابة أو تسجيلا أو تحليلا طوال هذه السنوات نابعا من هذا الاحساس ذاته ، فالانغماس فى الماضى قد يعنى فى لحظة نوعا من السلوى أو محاولة للابتعاد عن الحاضر تحت ضغط عدم القدرة على التأقلم معه .

وبالنسبة لى فقد كان الأمر معكوسا فقد تنفست خلال هذه السنوات الثمانى عشرة كل المتغيرات من حولى ، وعشت حتى أعمق الأعماق مشكلات ومعاناة ومتاعب وانتصارات واحباطات وطنى الكبير ، ولم أنفصل يوما واحدا عن شئونه

وشجونه .. بل ان حياتى سمحت لنفسها على امتداد هذه السنوات أن ترتب أيامها كما لو كنت فى الموقع الذى عليه فى كل يوم أن يتابع ويرصد ويقترح الحلول ولو حتى لنفسه وسط الناس .

وهكذا كانت تجربتى كلها ، ضابطا فى الجيش أو محافظا أو أمينا للشباب ، أو رئيسا للمخابرات ، انغماس كامل فى الشارع ، ولم يكن من الممكن بعد أن ذهبت الوظيفة أن أنفصل عن هذا الشارع الذى تنتمى اليه كل خلية فى كيانى .

إن أصدقاء كثيرين لم يتوقفوا عن تحريضى طوال هذه السنوات على أن أكتب شيئا عن تجربتى ، ولقد كنت دائما مع ثقتى فى صحة وشرف مقاصدهم ، لا أعدم وسيلة للالتفاف حول الموضوع .. لكننى هذه المرة استسلمت طائعا .. لأسباب عدة :

أعتقد أن حوائط كثيرة وعالية قد بنيت بين الأجيال الجديدة فى مصر وبين تاريخها وذلك أمر بكل المقاييس لايعين على اتصال الأجيال ولا على تواصل التجارب .. لقد وجهت إلى فصول التاريخ المصرى المختلفة حملات ثأر مستمرة شاركت فيها مع الأسف الشديد كل القوى السياسية .. ولم تلحق حملات التشويه هذه بثورة يوليو ١٩٥٢ وحدها ولا بجمال عبدالناصر ، ولكنها لحقت قبل ذلك بثورة ١٩١٩ ، كما لحقت بسعد زغلول ومصطفى النحاس وغيرهما ، وكما لحقت بعد ذلك بأنور السادات ، وفى المرحلة النهائية هدمت فى عيون الأجيال الجديدة كل تجربة فى التاريخ المصرى الحديث ، بل وقد جرم الجميع ـ كل حسب دوره ـ دور غيره فى هذا التاريخ .

ولذلك فإن الذين يتساءلون عن ضعف الانتماء بين الأجيال الجديدة عليهم أن يفتشوا عن إجابة فى هذه المساحة .. أن الانتماء ليس « صلة بالجغرافيا » ، وليس ارتباطا بالحاضر ولكنه نسب للتاريخ أيضا .. ارتباط بالماضى الذى لابد من أن يكون فيه قصوره ، إلى جانب أنه من المستحيل أن يخلو من أخطاء ..

إن تاريخنا ليس سلسلة متصلة من الأخطاء والاحباطات والفشل ، كما أنه أيضا ليس جسرا متصلا من التقدم والنجاح .. لكنه تاريخنا فى النهاية ، وبضفتى النجاح والفشل فيه ، فإنه لا يتضمن ما يشيننا أو يدفعنا إلى إنكاره أو تجاهله ، بل ما يستحق أن نستخلص دروسه وذلك لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال أمانة ودقة فى نقل وقائعه إلى الناس .. مهما تكن هذه الحقائق سيئة أو مؤلمة .

وعلى الرغم من أخطاء بعض المسئولين التى قد تصل حد الخطايا فإنه يجب أن ينظر إليها على أنها جزء من طبيعة الحياة ، خصوصا إذا كانت المهام أكبر من القدرات ، أو كانت الاعباء أكبر من الإمكانات .

كما أنه ينبغى التعامل معها على أنها أجزاء من التجربة ، ولكنها ليست تلخيصا للتجربة كلها بأى حال من الأحوال ، بحيث لا تطغى الخطوط القاتمة هنا أو هناك على بقية الألوان المشرقة التى تملأ جوانب تجربة الثورة فى حياة مصر .

ومن المؤكد أن هذه المجموعة من الأوراق لا تمثل الأوراق الكاملة ، أو الوقائع المتراكمة التى تغطى ثلاثة أحقاب من الزمن .. ولكنها استقطار شديد لعدد من دروسها التى تضغط على عقلى ووجدانى الآن .. والتى أشعر أنها قد تكون مفيدة للأجيال الجديدة ، وفى الوقت نفسه فإنها قد تساهم فى طرد بعض الأكاذيب التى احتلت المسرح من طول الإلحاح عليها .

لقد راعنى عندما كنت فى زيارة لاحدى المكتبات الانجليزية العريقة ، أن وجدت صفوفا طويلة من الأرفف تصطف فوقها كتب تلخص تجربة كل القادة السياسيين والعسكريين وقادة العمل الوطنى فى مجالاته المختلفة فى جميع الحقب التى عاشتها انجلترا ، من مونتجمرى حتى قائد كتيبة مجهولة لا يعرفه سوى جنوده ، ومن تشرشل الى ماكميلان ، إلى كثير من قادة السياسة والاقتصاد .

أما بالنسبة لنا فإننا لا نترك رصيد خبراتنا للأجيال الجديدة كى تتأملها لتأخذ منها ما تريد وترفض ما تريد ، كى تتوقى السقوط فى الأخطاء الكبيرة الى وقعنا فيها ، وإنما نحاول أن نفرض أنفسنا من منطلق ذكر نصف الحقيقة أو ذكر ما نعتقد أنه الصواب .

إن منطق تواصل التجربة التاريخية فى حياة شعب من الشعوب ينبغى أن يكون منطق استخلاص دروس معارك ، انتصارا وانكسارا ، ودون ذلك فإننا سنظل ندور فى حلقات مفرغة ، ولن نتجاوز فى كل ما نفعل أحد موقعين أو حالتين .. الجلوس فى متحف التاريخ أو البدء كل يوم من نقطة جديدة .. بلا سند أو حكمة أو مقود ..

إن نجاحاتنا ليست ملكا لنا .. ولكنها ملك للشعب .. ولكن اخفاقاتنا تحسب علينا وحدنا .. فقد صنعناها بأنفسنا وان كان الشعب هو الذى دفع ثمنها فى النهاية ..

أحمد كامل

كيف أصبحت رئيسا للمخابرات العامة .. وماذا حدث ؟

ظلت قصة اختيارى رئيسا للمخابرات العامة موضع استفهام بالنسبة لى فلم يقدر لى أن أعرف من هو صاحب الاختيار ولا ما هى أسبابه ودوافعه .. ولقد تبدد نصف الاستفهام بعد ذلك بسنوات .. أما نصفه الآخر فما زال لغزا حتى الآن .

لقد عرفت فقط فى السجن من الفريق أول محمد فوزى أن الرئيس السادات هو الذى أصر على اختيارى رئيسا للمخابرات وأنه رفض ترشيحى لمنصب وزارى آخر .

فقد رشحت فى البداية وزيرا للشباب فى أول تشكيل وزارى ، فى أعقاب توليه منصب رئيس الجمهورية ، بعد رحيل الرئيس جمال عبدالناصر ، ووصلتنى معلومات الترشيح بالفعل ، ووجدت أن المنصب الجديد يتفق مع خبرات عملى السابق كأمين لمنظمة الشباب ، لكننى فوجئت بعد أربعة أيام بسامى شرف يطلبنى على التليفون وينقل لى رسالة محددة :

لقد صرف النظر عن تعيينك وزيرا للشباب .. وسوف تعين رئيسا لجهاز المخابرات العامة .

أخذتنى المفاجأة .. فقد كان ذلك خارج تصورى أو توقعى ، أو حتى خبرة عملى الطويلة المكتسبة ، ولذلك وجدتنى أصرخ على الطرف الآخر من التليفون فى أذن سامى شرف :

مخابرات .. إنها أبعد الأمور عنى ..

لكن سامى رد بيقين :

لقد انقضى الأمر وصدر القرار وسوف تتسلم المخابرات . امتلأ رأسى بعلامات الاستفهام .. وسرعان ما تحولت علامات الاستفهام حول القرار وصاحبه ودوافعه أو أسبابه إلى علامات استفهام أخرى حول المهمة الجديدة .. وأعبائها .. وظروفها .

كنت ما أزال أتلقى التعليمات بروح الجندية التى عاشرتها أغلب سنين عمرى ، وكان على أن أعد نفسى - كالعادة - لتنفيذ الأمر مهما كانت درجة قناعتنى به .. أو إحساسى بملاءمته لى أو تلاؤمه معى .. وهكذا تبددت المفاجأة بسرعة ووجدتنى مستغرقا فى تخيل مهام التكليف الجديد ، الذى كان بعيدا تماما عن ذهنى حتى لحظات سابقة .

لم أعرف تفاصيل الحوار الذى دار بين السادات وبين شعراوى جمعة والمجموعة الا بعد سنوات فى السجن كما قلت .. عرفت أنهم عرضوا عليه ترشيحى وزير دولة للشباب .. وفوجئوا جميعا - وهم يعرفون خصوصية علاقتى به - وهو يقول بشكل قاطع : لا .. حتى أن أكثر من واحد منهم سأله بصوت واحد وبنبرة واحدة :

وهل هناك اعتراض عليه فى شىء يا أفندم ؟

ورد السادات دون أن يفصح :

لا اعتراض .. لكن أنا أريده فى موقع آخر » .

وازدادوا دهشة ، فقد كانت جميع مقاعد الوزارة والاتحاد الاشتراكى قد انتهت ترشيحاتها وتم الاتفاق عليها ..

فى اليوم التالى مباشرة ، اتصلت بفوزى عبدالحافظ سكرتير الرئيس قلت له : انقل للرئيس أننى أريد مقابلتين معه .. احداها قصيرة والأخرى طويلة ..

أما الأولى فهى للشكر .. وأما الثانية فهى للمناقشة فلا أريد أن أبدأ عملى فى الجهاز قبل أن أعرف ماذا يريد بالضبط منه فى هذه المرحلة ولا كيف يتصور وظيفته وعمله ومهمته .. وما هو المستهدف بالدرجة الأولى .. خاصة أننى تابع لرئيس الجمهورية ، وليس لأحد غيره أو سواه .

وقال فوزى عبدالحافظ : سوف أنقل نص الرسالة للرئيس .. ومن المؤكد أنه فعل ...

لكن المفارقة أننى تسلمت عملى فى جهاز المخابرات ولم أقابله بخصوص هذه الأسئلة مرة واحدة ، وبالتالى لم أتلق أية إجابة عليها ، ولم أعرف خلفيتها ، ليس فقط حتى تركت منصبى وأودعت السجن ، بل وحتى توفاه الله .

باختصار ، فقد تسلمت الجهاز وطلبت مقابلة رئيسى لمناقشة تفاصيل عملى ، ولم يمنحنى الرئيس هذه الفرصة وتركنى بالتالى اتصرف وفق ما أتصور وأعتقد أنه المهمة المطلوبة أو الصحيحة .

ولقد عذبنى تفسير ذلك لفترة طويلة ، ولم أعرف على وجه التحديد لماذا رفض السادات عمليا أن يقدم إجابة أو تصورا لأسئلتى ومهمة الجهاز الكبير الذى وضعنى فوق رأسه .. وتراوحت اجاباتى بعد ذلك بين عدد آخر من الاستفهامات .. أصدر ذلك عن ثقة فى حسن تقديرى ورؤيتى لمهمة الجهاز فى هذه المرحلة وادراك منه لأنها ستتطابق مع رؤيته وهدفه ؟ أم تراه أراد ألا يقيدنى بتصور ويترك لى فرصة التصرف والاجتهاد .. ثم تأتى مرحلة الحوار أو الترشيد بعد ذلك ؟ أم أنه كان يدرك منذ البداية أنه دور مؤقت أو موقوت وبالتالى لا يحتاج الى صياغة تصور مشترك ؟ .. أم أن دور الجهاز كله لم يكن يحظى فى هذه المرحلة بأولوية خاصة وفق تقديره ؟

لست أعرف الاجابة على هذه الأسئلة بشكل يقينى .. لكننى لمست فى أوقات كثيرة راحة بينى وبين نفسى فى أن تكون الاجابة الأولى الأكثر احتمالا ، متذرعا بعلاقاتنا التى كان فيها قدرا كبيرا من الثقة والطمأنينة والتفهم المشترك .

لقد قابلت الرئيس السادات بعد ذلك وحتى انتهاء عملى ثلاث لقاءات عامة ، ولقاء أخير منفرد فى بيته قبل أيام معدودة من الزج بى فى السجن وهو لقاء على درجة عالية من الغرابة ..

تمت اللقاءات الثلاثة العامة فى اطار مؤتمرات مجلس الدفاع الوطنى ، وقد اعتذر لى برقة عندما اقتربت منه مصافحا قبل الاجتماع الأول الذى تم فى المجلس الأعلى للقوات المسلحة بأنه حريص على أن نلتقى لقاء موسعا لمناقشة أسئلتى لولا انشغاله فى مسائل أخرى لا تحتمل التأجيل ، وعندما لاحظ على ملامح وجهى بقايا علامات دهشة أضاف قائلا :

على كل فسوف نكون لجنة عمل دائمة فى مجلس الدفاع الوطنى وسوف يتيح لنا ذلك أن نتقابل كل يوم ..

وتكونت لجنة العمل الدائمة ولكنها لم تجتمع سوى اجتماعين : الاجتماع الأول فى قصر الطاهرة ، والثانى فى استراحة الرئيس بالقناطر الخيرية ولم يحضر الرئيس أيا منهما .

وهكذا لم نتقابل كل يوم كما قال بل التقينا مرة فى اجتماع مشترك مع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ثم مرة واحدة أخيرة هى ذلك اللقاء المنفرد الأخير الذى كان أقرب إلى لحن وداع بين صديقين قديمين .

وبين اللقاء الأخير واللقاء الأول ، أو بين تسلمى لمهام عملى وانتهاء هذه المهمة لم تحدث مكالمة واحدة بينه وبينى ، فلم يتصل بى تليفونيا ولا مرة .. ولم يكن لدى ما يبرر اتصالا تليفونيا مع الرئيس .. فقد كنت أسجل له كل شىء يوميا على الورق .

لقد سألت الرئيس فى الفرصة الوحيدة التى أتيحت لى على هامش الاجتماع الأول :

هناك يا أفندم أعمال مخابرات يومية .. إلى من أرسلها ؟ .

قال بدون تفكير : أرسلها إلى سامى شرف .

قلت : يا أفندم لكنى أريد ردك المنتظم عليها .

قال بحسم : أرسلها إلى سامى .. وما لكش دعوة » .

وهكذا كان كل شىء يذهب إليه يوميا ـ عن طريق سامى شرف ـ ابتداء من تقارير الأمن القومى ، ولقد كانت جميع التقارير الخاصة بما أسمى بمؤامرة مراكز القوى أو انقلاب مايو .. ضمن هذه التقارير المرسلة بانتظام .

ولعلنى تساءلت طويلا بينى وبين نفسى : هل يمكن أن يكون سامى شرف قد دارى عنه شيئا مما أرسلت .. فلم يكن من الممكن أن يحجب شيئا عن رئيس الدولة .. بل لعلى أضيف بشكل قاطع : أن سامى شرف بحكم تركيبته كان يطلع رئيس الدولة على كل قصاصة أو ورقة أو تسجيل تصنت أو معلومات أمن قومى ، حتى لو كانت تعرض به شخصيا .

أجىء إلى اللقاء الأخير .

لقد تم هذا اللقاء بين الرئيس وبينى مساء يوم الأربعاء ٩ مايو أى قبل أن تصعد الأحداث الى ذروتها الأخيرة بأربعة أيام .. وفى أعقاب اجتماع اللجنة المركزية الذى أطلق عليه هو بعد ذلك « اجتماع سيما أونطة » .

كنت فى هذا اليوم فى اجتماع مع المبعوثين المصريين بالخارج ، وتم الاجتماع فى قاعة الاتحاد الاشتراكى على النيل ، وكان هذا الاجتماع تتويجا للمؤتمر الخاص بالمبعوثين حيث كان دورى أن أعطيهم التلقين الأخير بالتوعية الأمنية قبل سفرهم إلى أماكن تواجدهم فى الخارج .

وفى أعقاب الاجتماع مباشرة .. كان موعدى مع الرئيس فى بيته بالجيزة .. استقبلنى الرئيس بود واضح كعادته وهو ود كنت أتصور أنه يستند الى معرفة شخصية دقيقة ومستقرة .. فقد كان كل منا يعرف الآخر جيدا ، كان يعرف رأيى فى المجموعة منذ فترة طويلة وفى وجود جمال عبدالناصر .. وكنت أيضا أعرف رأيه فيهم ، فقد كان دائب الشكوى منهم عندما كان نائبا للرئيس .. بل وأزعم أنه كان يأتمننى على أدق الأسرار التى يعرفها حول تصرفاتهم وأفعالهم .

وكلما جاء الى الاسكندرية ـ وأنا فى موقع المحافظ ـ كان يبدأ يومه بالاتصال بى وكانت الجلسات بيننا طويلة ومفتوحة وبلا تحفظات أو غياهب أو أسرار .. كنت أشكو له كثيرا ، وأعطيه ما ينقله إلى الرئيس عبدالناصر .. وكنت أحيانا أبدى له دهشتى من أن الرئيس عبدالناصر لا يتصرف معهم بدرجة من الحسم . ولكنه كان يدافع عن الرئيس ويقول :

« إنه يعرف كيف ومتى يتخذ قراره .. إنه أفضل من يختار الوقت المناسب » .

إننى لن أشرح تفاصيل علاقاتى بأنور السادات فى هذه المساحة وسوف أعود إليها فى مساحة أخرى .. ولكننى أجد أن هذا التحديد ضرورى لكى تبدو الأحداث التالية على ذلك .. نسيج كامل من المفاجأة والدهشة بالنسبة لى ..

تحدثنا فى بداية اللقاء عما حدث فى اجتماع اللجنة المركزية .. وكان يشعر بمرارة شديدة ..

عند نقطة على مسار الحوار قلت له :

سيادة الرئيس : إن أهم شىء فى البلد اليوم هو إتمام عملية تحرير الأرض .. إن كل الخلافات الداخلية فى فقاعات سرعان ماتتطاير ، ولو بدأت عملية التحرير ستصبح البلد كلها يدا واحدة » .

أذكر أنه كان يضع قدما فوق قدم ، ووجدتنى فى لحظة انفعال للم الموقف أضيف « الباقى كله فى حذائك » .

امتص ما قلت فى هدوء ثم سألنى ـ وهو يضغط على حروفه :

وما رأى الناس ؟

أجبته دون تردد : التحرير يا ريس .. التحرير .

غمغم وهو يهز رأسه : إن شاء الله

مرت لحظات صمت مفعمة بأحاسيس مختلفة ثم سألنى بغتة :

ماذا كنت تريد ؟

قلت : جئت أستأذن للسفر إلى موسكو لمقابلة مع اندربوف ـ رئيس المخابرات السوفييتية والرئيس السوفييتى بعد ذلك ـ قال :

لقد سبق أن صدقت لك على السفر ..

قلت : جئت أستأذن لتحديد موعد السفر .. لم يرد .

كان اللقاء قد انتهى وخرج معى من غرفته الى الصالة ووقف على الباب الخارجى لبيته وهو يوصلنى بود واضح .. لم يبدو عليه شىء .. لكننى كنت أحس أن أمرا ما يعتمل فى داخله وأنه يوشك أن يتخذ بشأنه قرارا .

على باب السيارة وأنا أضع يدى فى يده مصافحا بود .. سألنى :

متى تعتقد أنك ستسافر لموسكو لتقابل أندروبوف ؟

قلت : سيادة الرئيس ـ خلال أسبوعين .

استطرد بصوت عميق دون تفكير :

لا .. مش حتلحق تسافر ..

انفرجت أساريرى ، فقد فهمت أن قرار الحرب سوف يتخذ قبل مرور هذين الأسبوعين .. ولذلك قلت له ضاحكا وأنا أحييه التحية الأخيرة :

« والله يا أفندم طالما التحرير سيتم فى هذا التوقيت فلا أهمية للسفر .... »

ركبت السيارة ، والتفت إلى الخلف وهى تتحرك .. رفعت يدى بالتحية .. وبعد أمتار كان مايزال واقفا وكأنه تسمر فى مكانه على باب المنزل .. وأنظاره معلقة بنقطة بعيدة فى الفراغ .

كنت أشعر باطمئنان مضاعف فقد كنت على يقين أن قرار تحرير الأرض يمكنه أن ينهى كل الخلافات .. وأن يحول الوطن كله إلى قبضة واحدة ، وكنت على يقين ـ أيضا ـ أن السادات كان يقصد شخصيا هذا المعنى عندما قال ى أننى لن أجد وقتا للسفر .

أحسست أن على ـ بسبب ضغط هذا الفهم على رأسى ووجدانى ـ أن أساهم فى تخفيف حدة الخلاف .. ذهبت الى عبدالمحسن أبوالنور وقلت له ما حدث وما قاله السادات وما فهمته من كلامه .. وأن عليهم أن يلزموا الهدوء ..

استمع عبدالمحسن أبوالنور جيدا ثم غمغم بصوت عميق : ياريت ..

ذهبت بعدها إلى سامى شرف لكى أوصل إليه نفس الرسالة .. ثم جحظت عيونى غير مصدق وأنا أسمع سامى شرف يعلق على ما قاله السادات ضاحكا وهو يقول :

« إن ذلك يعنى أمرا واحدا .. إنه سوف يخلعك من رئاسة المخابرات قبل مرور أسبوعين » .

زادت ضحكاته وزاد عبوسى ودهشتى .. فلم يكن على الجانب الشخصى بينى وبين أنور السادات ما يمكن أن ينبىء بذلك مطلقا .. ثم ثبت بعد ذلك بأيام قليلة أن تقديرى لم يكن صحيحا ، وأن تقدير سامى شرف لم يكن دقيقا أيضا .. فلم أخلع أو أذهب وحدى وإنما ذهبت بنا الذروة الميللودرامية بعد ذلك جميعا وفى مقدمتنا سامى شرف نفسه إلى السجن بتهمة مكررة هى : « محاولة قلب نظام الحكم بالقوة » .

●

من قمة جهاز المخابرات الـــى قـــاع السجن

بعد مقابلتي مع الرئيس السادات بأربعة أيام تصاعدت الخلافات بينه وبين المجموعة وعلى أثرها أقال الرئيس شعراوى جمعه نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . وفي اليوم نفسه الذى كان الرئيس قد قام خلاله باستدعاء ممدوح سالم لمقابلته ، حيث كان يشغل منصب محافظ الاسكندرية .. وباستدعائه كانت الصورة قد اتضحت لى ، فقد أصبح واضحا أن الرئيس سوف ينهى الخلاف على طريقته .

كانت جميع التقارير الخاصة بالمجموعة قد أرسلت من قبل المخابرات إلى مكتب الرئيس . كما قام أحد الضباط وكان يعمل فى غرفة الأشرطة الخاصة بالداخلية وجمع الأشرطة الخاصة بمكالمات المجموعة وذهب ووضعها على مكتب فوزى عبدالحافظ ..

أما بالنسبة لهذا الضابط فقصته معروفة ومتداولة ولا تحتاج إلى إضافة .. لم تكن التقارير التى حملها رسول السماء ـ كما قيل بعد ذلك ـ هى التى كشفت عن تفاصيل الاتصالات بين مجموعة الوزراء ، ولكن كانت تقارير المخابرات والتى وضعت تحت تصرف الرئيس قبلها هى التى أدت هذه المهمة .. والحقيقة أنه إذا تجاوزنا عن هذه النقطة ، فلم يكن لدى المجموعة إمكان صنع انقلاب حتى لو أرادت .

أذكر مرة فى أوج مناقشات مع سامى شرف وشعراوى جمعه فى هذا الوقت وفى أوج الأزمة أننى قلت لهما بالنص :

حتى إذا افترضتم أن هناك انقلابا يمكن أن يصنع فى الجيش .. فهل تتصورون أنه ـ حتى لو بدا لمصلحتكم ـ يمكن أن ينتهى كذلك .. كونوا على يقين أنه ليس ثمة أحد فى البلد كلها يحبكم ، ولذلك فإن أى انقلاب سيتحرك أو سيمكن تحريكه ، سينتهى لمصلحة القائمين به تماما .. ولهذا فينبغى التخلى عن أية أفكار من هذا النوع .

عدت إلى بيتى مساء ، ولم تمض غير نصف ساعة على عودتى حتى فوجئت بمحمد سعيد ـ سكرتير سامى شرف ـ يسألنى تليفونيا اذا كان لدى أية معلومات

عن أن السيد شعراوى جمعه قد قدم استقالته أم لا .. ولم يكن لدى أية فكرة عن الموضوع ، لكنه أخبرنى أن السيد سامى شرف قد استدعى لمقابلة الرئيس فى الساعة الرابعة وأن السيد ممدوح سالم موجود عند الرئيس . وأن الرئيس قد طلب من رئيس الوزراء د . محمود فوزى أن يقابله فى الساعة الخامسة ، وانه طلب مصورا للقاء .

كان المتوقع أن شعراوى قد استقال بالفعل لأن هذه المظاهر كلها كانت تعنى تعيين وزير جديد للداخلية .

بعد فترة اتصل الفريق أول محمد فوزى ونقل لى الأخبار نفسها .

وبعد نصف ساعة أخرى ، علمت أن الرئيس قبل استقالة شعراوى جمعه ولم تكن هناك أية تفاصيل اضافية .

فى التاسعة مساء عاود محمد سعيد الاتصال بى وقال : السيد سامى شرف يطلب منك أن تقدم استقالتك .

ووجدت نفسى أقول له بالحرف الواحد : ماذا ؟ هل هانت الأمور إلى هذه الدرجة ولماذا أقدم استقالتى ، لأن وزير الداخلية استقال أو أقيل ؟ .

بعد فترة اتصل بى السيد خالد فوزى ـ وكان قد عين قبل فترة فى رئاسة الجمهورية وأفهمنى أن السيد سامى شرف اتصل به طالبا أن يقدم استقالته أيضا .

وخالد فوزى أخ وصديق وزميل سلاح ، ولذلك لم يجد بديلا أن يحضر الى منزلى ليناقش معى التطورات ، تذكرت أيامنا قبل ٢٢ عاما مضت حين جاء إلى خالد فوزى فى العريش ، كنا ضباطا صغارا مملوئين حماسا للدخول إلى فلسطين وكنا ننتظر الأوامر للتقدم الى فلسطين فى ١٥ مايو أيضا . وفى هذا اليوم وجدت خالد عندى فقد كان مقداما شجاعا وطنيا وقال لى أنه قد قرر أن يتطوع فى صفوف الفدائيين تحت قيادة البطل أحمد عبدالعزيز .

بدأت أحس أن الموقف يتطور تطورا غير سليم . فما معنى طلب هذه الاستقالات وما لزومها ؟ وتناقشنا وكان رأى خالد مثلى .. لا استقالة ، وبدأت أمارس عملى كرئيس للمخابرات لجمع المعلومات حول الموقف وتحويلها إلى الرئاسة لكى تكون تحت بصر الرئيس .

فجأة سمعت أن خمسة وزراء قد قدموا استقالاتهم وأن ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا قدموا استقالاتهم أيضا ، وكان تقديرى أن هذه الاستقالات الجماعية لا تعنى إلا الضغط على الرئيس تضامنا مع شعراوى ، وكان فى تقديرى أيضا أن إذاعتها أكبر خطأ ، لأن جميع المتقدمين بها يشغلون مناصب قيادية

حساسة فماذا يتصورون ؟ ليس بمقدور الرئيس - حتى لو أراد - ألا يقبل هذه الاستقالات وإلا أصبح هو نفسه فى موضع حرج شديد .

قبل ذلك بأيام قليلة كان هناك اجتماع بمكتب التنظيم الطليعى بالقاهرة - وكان يضم ١٣ عضوا - وعلى هامش الاجتماع تناقشنا جميعا فيما يمكن أن يفعله الرئيس ، وعند نقطة فى مناقشة التوقعات قلت لشعراوى جمعه .

« الرئيس يمكن يشيلك »

قال : كيف .

أضفت : يرسل ورقة صغيرة لمحمد فايق يضمنها الاقالة ويقول له أذع هذا الخبر وتنتهى القصة ..

وتوجه شعراوى جمعه بالسؤال إلى محمد فايق الذى كان من بين حضور الاجتماع :

هل يمكن فعلا أن يذاع هذا الخبر ؟

وأجاب محمد فايق : يمكن أن تعطل إذاعته قليلا .. لكنه سيذاع على كل حال .

بدا على شعراوى جمعه وكأنه مفاجأ بما يقول .. صمت برهة ثم تساءل :

وتفتكر يأتى بمن فى مكانى ؟

قلت دون تردد : يأتى بممدوح سالم .

قال شعراوى وكأنه يبحث عن طمأنينة جديدة غير مصدق :

وهل هذا معقول .. ليس معقولا أن يقبل ممدوح سالم .. ثم استطرد وهو يعيد التأكيد لنفسه :

اننى لم أصطدم مرة واحدة معه ، إضافة إلى أن علاقتى الشخصية به لا يمكن أن تسمح له بأن يقبل .

فى اليوم نفسه - الخميس ١٣ مايو وكان قد تم تعيين ممدوح سالم بالفعل وزيرا للداخلية اتصل بي فوزى عبدالحافظ سكرتير الرئيس وقال :

الرئيس السادات يطلب إرسال جهاز خاص من المخابرات العامة للكشف عن أجهزة التسجيل والتنصت التى يعتقد أنها زرعت فى بيت الرئيس ومكتبه .

تحركت بسرعة ، واستدعيت نائب رئيس المخابرات شخصيا ، وكلفته بأن يذهب بنفسه ومعه طاقم عمل إلى بيت الرئيس ، وأن يمسحوا البيت بحثا عن أى

جهاز تسجيل أو تنصت مهما تكن دقته ، وطلبت منه أن يحدثنى تليفونيا من بيت الرئيس وقبل أن يغادره وينقل لى نتيجة عملية البحث .

وذهب نائبى ومعه طاقمه ، واستغرق البحث فى البيت وقتا طويلا جدا ، وفى تمام الساعة الثامنة و النصف اتصل بى نائبى قبل أن يغادر بيت الرئيس وقال لى : إنهم قاموا ببحث شامل ودقيق وأنهم لم يجدوا فى بيت الرئيس أية أجهزة تسجيلات أو تنصت من أى نوع وأن البيت والمكتب نظيفان تماما .

أى أن ما أشيع بعد ذلك عن زرع أجهزة تسجيل أو تنصت فى بيت الرئيس السادات ، كان مجرد كذب وإفتراء وذلك ثابت وموثق فى دفاتر المخابرات العامة .

لقد ورد فى تحقيقات القضية انه قد تم ضبط أجهزة تسجيل فى مكتب سامى شرف بالدور الثانى عشر فى مبنى الاتحاد الاشتراكى ، ولاشك فى أن وضع هذه الأجهزة كان أمرا طبيعيا جدا ويعبر عن حقيقة من حقائق الزمن الذى نعيشه ، فأجهزة تليفون ومكتب الرئيس الأمريكى مرتبطة بأجهزة تسجيل تحقق وظيفة تسجيل كل المناقشات والمفاوضات كمستندات رسمية للدولة ، إذ ليس من المعقول أن يتذكر الرئيس وسط ضغوط العمل وأعبائه اليومية جميع التفاصيل والأحاديث اليومية حتى بغرض المتابعة ، وهذا الاجراء ليس سرا كما هو ثابت فى وثائق « ووترجيت » الأمريكية .

لقد تلقيت مكالمة نائبى فى بيتى ، فقد كنت أضع فى بيتى مجموعة موازية لتليفونات مكتبى ، بحيث أسمع الرنين وأتمكن من الرد فى الحالتين سواء كنت فى البيت أو المكتب ، وكان لدى فى هذا اليوم عدد من الأقارب على دعوة عشاء ، وبعد مكالمة نائبى وقبلها مدير مكتب سامى شرف أصبح ذهنى مشتتا ، وانقبض الجو فوق المائدة .. وظل الطعام فى مكانه دون أن تمسسه يد ـ قبل أن يستأذن الضيوف واجمين فى الانصراف .

خلوت لنفسى بعض الوقت ، ولم يعاود سامى شرف أو مكتبه الاتصال بى ، وظللت أتأمل مجموعة التليفونات فوق مكتبى فى المنزل وقد أصبيت بخرس مفاجىء طويل .

تلقيت أول مكالمة بعد ذلك فى تمام الساعة الواحدة .

كان المتحدث هو الفريق أول أحمد إسماعيل .

قال : إننى أتكلم لأننى قد عينت رئيسا لجهاز المخابرات ..

قلت له : مبروك .. على العموم لقد أصبح الوقت متأخرا .. نلتقى صباحا فى المخابرات لأسلمك المكتب والشغل وجميع ما يتعلق به .

اتصل صمت جليدى على الجانب الآخر للحظات قبل أن أسمعه يقول :

اطمئن .. أننى أتحدث إليك من مكتبك بالفعل .. لقد تسلمت العمل ثم أغلق الخط .. قمت بسرعة ، وأحضرت حقيبتى وضعت بعض الملابس واللوازم الشخصية ، ثم جلست محدقا فى الفراغ منتظرا طرقات مفاجئة على باب بيتى وبين لحظة وأخرى ، ولما لم يحدث شىء حتى الصباح ، فقد ذهبت بنفسى إلى رئاسة المخابرات .. قلت للرئيس الجديد : أردت أن أسألك .. إذا كانت لديك تعليمات من الرئيس بخصوصى فأنا جاهز وفى الانتظار .. لقد قمت بإعداد حقيبتى بالفعل ..

رد بنبرة عتاب واضحة :

كيف ؟ إننا نعد حفل تكريم يليق بما قدمته من خدمات للمخابرات وهنا اتفاق بيننا على ذلك .

تجاوزت عن قوله واستطردت :

بالطبع أنا لن أخذ شيئا من الأوراق .. أية أوراق .. لكن هناك بعض الأشياء الشخصية أرجو أن ترسلها لى غدا .

ثم سلمت على الرئيس الجديد ، وعانقت مساعدى ، وصافحت جميع الضباط الذين عملوا معى وتفانوا فى عملهم ، ورغم أن صحف الصباح نشرت أخبار الاستقالات وقبولها وخلت من أية إشارة تتعلق حتى باعفائى من منصبى وأن خطاب الرئيس فى المساء الذى تناول كثيرا من التفاصيل لم يتناولنى أو يتناول المخابرات من قريب أو بعيد ، إلا أننى عدت الى المنزل وكررت جلستى المتأملة مترقبا طرقات على بابى ..

ثم جاءت الطرقات فى المساء المتأخر .. فتحت الباب وأنا فى كامل ثيابى وحقيبتى قربى حيث وجدت ضابطا برتبة عميد ..

قال باقتضاب وفوق وجهه سحابة توتر وانشداد :

آسف يا أفندم .. نحن نريدك معنا ..
التقطت الحقيبة .. وهبطت إلى جواره درجات السلم صامتا .

قد لا أكون مبالغا إذا قلت أننى لا أفهم حتى الآن تفسيرا لقضية ١٥ مايو ، فقد كان بمقدور الرئيس السادات بموجب سلطاته أن ينهى الأمر لصالحه دون سجن أو محاكمات أو خلافه ، ولم يكن فى نية الأخرين عمل حاسم يقومون به ، بل لعلى أضيف ـ حتى مع توفر النية للعمل الحاسم هذا ـ وهذا ليس صحيحا ـ فإنهم لم يكونوا قادرين على ترجمة هذه النية إلى فعل .

أما بالنسبة لى فأنا لا أعرف لماذا دخلت السجن ، كانت التهمة « علم ولم يبلغ » لكننى لست مضطرا لأن أكرر نفس الأسئلة القديمة .. علمت بماذا ؟ ولم أبلغ عن ماذا ؟ .

بعد أسابيع قليلة من الزج بى فى السجن ، وفى أحد المؤتمرات بالقوات المسلحة سأل بعض كبار الضباط الرئيس السادات : قالوا له :

لقد ألقيت القبض على فلان وفلان وفلان .. ولكن ما علاقة أحمد كامل بذلك ؟

وقال الرئيس السادات : بصراحة قبضت عليه لأنى زعلان منه .

واصل أحد الضباط سؤاله : ولماذا ؟

قال السادات : لأنه عرف أشياء ولم يبلغنى بها .

ولقد ناقشت ذلك فى أقوالى فى محاكمات ١٥ مايو : قلت أننى رجل تم اختيارى لرئاسة المخابرات ، لكن ذلك لا يعنى أننى أعمل سكرتيرا لرئيس الدولة ، فأنا مسئول عن جهاز أمن كامل .

وعندما يختارنى رئيس الدولة ويضعنى على رأس المخابرات فمعنى ذلك أن هناك قدرا هائلا من الثقة ، وهى ثقة ينبغى أن تكون متصلة ومستمرة ، وترجمة ذلك عمليا يعنى - أيضا - أن تتاح لى فرصة التصرف فى حدود مسئولياتى المحددة .. إن دورى ليس أن أنقل كل كلمة أو معلومة أتلقاها إلى الرئيس بغض النظر عن أهميتها أو جديتها ، وإلا تحول رئيس الدولة إلى رئيس للمخابرات وتوقف دورى عند حدود أن أتلقى منه التوجيه فى كل صغيرة وكبيرة ، وذلك على المستوى العملى أو العملياتى فى مخابرات دولة كبيرة تصور مستحيل .

إن جزءا من وظيفتى أن أجنب رئيس الدولة أن يقع تحت طائلة القلق ، ولا يعقل أن أقول له على امتداد اليوم كله ، كل ما يحدث ، صغيرا وكبيرا .

إن دورى يحتم على أن أخطر رئيس الدولة عندما تكون هناك مخاطر حقيقية ، أو يكون هناك تهديد حقيقى ، أو حتى شروع فى التهديد ، ولذلك فقد تصرفت فى حدود مسئولياتى وفى إطار ما يتوافر لى من معلومات وهى بتفاصيلها أوسع مما يتوافر لرئيس الدولة ، فلم يكن ثمة تهديد جاد أو شروع فى تهديد .

لقد تساءلت فى التحقيقات - ولعلها مناسبة لأن أكرر التساؤل أيضا : ماذا كان يريد الرئيس منى ؟ ثم ماذا لم يبلغه بالضبط .. إذا كان المقصود التقارير وتفاصيل اللقاءات التى تمت بين المجموعة ، فقد وضعت تقاريرها كاملة على مكتب الرئيس وسلمت إليه فى توقيت مبكر ، بل إن بعض تقاريرها عادت إلى مكتب الرئيس وعليها تأشيراته .

وإذا لم يبلغ مكتب الرئيس - الرئيس ببعضها الآخر - وهذا ما لم أعتقد أنه حدث فإن المشكلة ليست مشكلتى ، ولا مشكلة أى مسئول يمكن أن يكون فى موقعى ، ذلك أن سلطات مديرى المكاتب أحيانا تكون أكبر من السلطة نفسها .. والخطأ المتكرر فى بلادنا ينتج من عدم تحديد المسئوليات وخطوط الاتصال بشكل دقيق ، وهى مسألة ظلت عائمة عندنا .

لقد قلت أنه كان بمقدور الرئيس السادات أن ينهى الموقف لصالحه دون سجن أو اعتقال أو محاكمات وكان أيضا بمقدور الأخرين أن يتصرفوا بشكل أفضل .

لقد اجتمعوا واتفقوا وقرروا أن يقدموا استقالاتهم .. حسنا .. ألم يكن فى استطاعتهم ومفاتيح السلطة كلها فى أيديهم ان يتصرفوا على نحو آخر .. كان ذلك متاحا وسهلا بكل تأكيد ، لكنهم تصرفوا كبيروقراطيين لأن الجذوة الثورية فى داخلهم كانت قد انطفأت .

ولست أعرف حتى الآن كيف خيل إليهم أن الناس ستتدفق إلى شوارع القاهرة والمحافظات لتدافع عنهم وتفرض اعادتهم إلى مواقعهم ؟ لماذا يخرج الناس ويدافعون عنهم .. لقد خرجت الناس قبلها إلى الشارع وفرضت تصورها يوم تنحى عبدالناصر ، لأنها أحست أن الرباط الذى يربطها ببعضها سوف يتمزق ، وخرجت وفاضت دموعها يوم وفاته لأنها أحست بفقدان الأمل .. أما بالنسبة لهم فلم يكن ثمة رباط ، ولم يكن أيضا ثمة أمل .

لقد كانوا يعرفون قدر أنور السادات جيدا ، وهم الذين فرضوه ، تلك حقيقة مؤكدة ، وكان السادات – حتى فى جلساتنا الناقدة المغلقة المشتركة – يهب دفاعا عن عبدالناصر عندما أتجاسر وأقول له أنه ينبغى أن يتخذ قرارا عاجلا بخصوصهم ، وعندما رشح أنور السادات رئيسا للجمهورية قامت حروب طاحنة من أجل إقناع الناس بترشيحهم له .

لقد تم استدعائى أكثر من مرة من الاسكندرية – حيث كنت محافظا لها – حتى مصر الجديدة كى أقنع الرافضين بترشيحه داخل التنظيم الطليعى . لقد كان خطؤهم الأكبر أنهم تصوروا أن على السادات أن يسلم كل شيء لهم وأن يتيح لهم تنفيذ كل قراراتهم من خلاله لمجرد أنهم تحمسوا لترشيحه وقدموه إلى الناس ، وهكذا كان هدفهم من الترشيح هو احتواؤه والتصرف من خلاله ، دون أن يكون له اعتراض أو موقف ، ولم يكن ذلك ممكنا أو صحيحا .

أضرب مثلا : أن السادات لم يكن عضوا فى التنظيم الطليعى ، ولقد كنت عضو الأمانة العامة للتنظيم ، وقد تناقشنا بعد أن أصبح رئيسا مؤقتا للجمهورية فى موقع رئيس التنظيم الذى أصبح شاغرا بوفاة عبدالناصر ، وكان رأيى أنه من المنطقى والطبيعى أن يخلف الرئيس السادات الرئيس عبدالناصر فى رئاسة التنظيم ، لكنهم رفضوا جميعا ، ولم يكن هناك سوى عضو واحد شاركنى الرأى بحماس وهو وجيه أباظة ، ولم يحل رأيى ورأيه دون أن ينفذوا قرارهم بإبقاء الرئيس الجديد بعيدا عن صفوف التنظيم ، أى أنهم تصرفوا على أساس أن تبقى كل المفاتيح فى أيديهم ، ويبقى الرئيس الجديد فى موقعه مجرد أداة تنفيذية لما يرونه ويتخذونه من قرارات ، وذلك طبعا كان ضربا من ضروب المستحيل .

لقد أدرك السادات هذه الحقيقة بعد وقت قصير ، وبدأ يتمرد عليها عمليا ، وعندما أراد أن يسير على خطا عبدالناصر ، أى أن يصبح حاكما فردا بحكم تركيبة

الحكم القائمة ، وبحكم نوازعه الذاتية أيضا ـ وفى غياب قاعدة ثابتة لاستمرار النظام ، فى صورة جهاز سياسى ، كان طبيعيا أن يحدث الخلاف ثم الخصام والشقاق . كان مستحيلا على الرئيس الجديد ـ وهو ينزع إلى ممارسة اسلوب الرئيس السابق ـ ولا أتحدث عن مضامين وإنما عن أشكال حكم ـ أن يسير فى طريقه معهم أو أن يسير بهم وهكذا تحول الشقاق إلى صدام وانتهى بانفراد الرئيس بالحكم وبذهابهم إلى السجن .

لكننى مع ذلك اقترف ظلما فادحا للأشخاص والأدوار والتاريخ اذا أقررت بأنه كانت هناك محاولة انقلاب أو حتى شبهة انقلاب .

وصلت إذن إلى زنزانة السجن غير مصدق ، فى صحبتى حقيبتى الصغيرة التى كانت معدة سلفا ، وفى داخلى تمور أحاسيس وذكريات وأحداث يغلفها جميعها شعور جارف بالمرارة .

جلست إلى جوار الحقيبة ، وتحت ظل الذكريات شهرا كاملا ، ظللت طوال الوقت أتكلم مع نفسى ودون صوت ، ولم يكن ثمة بديل أن أنذر للرحمن صوما ، ثم بدأ التحقيق معى .

وبشكل بدا لى مفاجئا ، طلب ممدوح سالم وزير الداخلية الجديد أن نلتقى ، وذهبت مخفورا من السجن الحربى إلى مكتبه فى وزارة الداخلية .. كان كل منا يعرف الآخر تماما .

قلت لممدوح سالم : ماذا يحدث .. أن الرئيس يعرف عن يقين أنه لا علاقة لى بما حدث ولا بهم .

صمت ممدوح سالم فأضفت : شكرا للقائك .. لكن إذا كان المقصود أن أقول شيئا ضدهم فلن يحدث .. إننى فى كل الأحوال لست مستعدا لتقديم شهادة زور .

صمت ممدوح سالم قليلا ثم قال بهدوئه المعتاد :

أقسم أنه ليس هذا هو المطلوب .. أن هدف لقائنا أن أطمئنك أنه لا علاقة لك بما حدث وليس ثمة سند لوضعك فى موقع اتهام ، ولهذا فأنا على ثقة أن قرارا بالإفراج عنك سوف يصدر قريبا جدا .

وعدت إلى زنزانتى من مكتب ممدوح سالم وفى داخلى شعاع ضوء خافت جديد .. ولم يمض وقت طويل حتى قرر الرئيس السادات أن يلغى التحقيقات السابقة ويحيل القضية كلها من أيدى النيابة إلى المدعى العام الاشتراكى ليبدأ التحقيق من أوله .

كان قد جاءنى بعد انتهاء سلسلة التحقيقات الأولى ، صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة ، وطلب منى أن أكتب خطابا للرئيس أشرح فيه موقفى .

قلت : ماذا سأكتب ؟

قال : قل أنك لست مشتركا فى القضية ..

قلت : لكنه يعرف ذلك عن يقين ..

أمسكت بالقلم وكتبت خطابا من سطرين اثنين كان نصه :

« سيادة الرئيس .. انتهى التحقيق معى ، أنا لم أخن ولن أخون وطنى ، وفقك الله على طريق الحق والعدل » لكنى لم أستطع أن أنهى الخطاب دون أن أضيف بحكم عواصف من القلق والتوتر على مصير أسرتى الصابرة « برجاء رعاية الأسرة » .

ولم يكن للخطاب أثر هنا أو هناك ، كما أنه لم تتح له فرصة النشر فى وسائل الاعلام كما حدث مع خطابات أخرى كتبت من السجن أيضا وكان عليها توقيع آخرين .

●

بعض ملامح تجربتى
فى رئاسة المخابرات

أود أن أتوقف عند بعض ملامح تجربتي على رأس المخابرات العامة ، فمازلت أشعر بأن الظروف خدمتنى حين مكنتنى من أن أكون فى هذا الموقع ، الذى لم أتوقع يوما أن أكون فيه .

لقد دخلت الى مكتبى فى مبنى رئاسة المخابرات أول مرة بينما تختلط فى صدرى مشاعر متناقضة ، بين التحفز للمهمة الجديدة وبين الضيق بها .

كنت كأى مواطن مصرى ، سمع كثيرا عن حكايات « المخابرات ودولتها » ولست أستطيع أن أنكر اننى كنت متأثرا ببعض قصص هذه الدعاية التى وضعت صورة المخابرات العامة فى إطار من الخشية والريبة والتجاوز .

بل لا أبالغ إذا قلت أن تحفظي على اختيارى لهذه المهمة كان نابعا من هذا الاطار ذاته ، إذ أننى لم أكن أصلح لأن أقود جهازا مهمته ـ كما هو متصور ـ أن يحصى أنفاس الناس الخاصة ، وأن يلاحق حريتهم ثم يمارس عليهم وراء جدرانه السميكة العالية أشكالا وصنوفا من الإكراه والتعذيب .

لقد كان هذا هو الذى دفعنى لأن أطلب للوهلة الأولى بمجرد جلوسى على مقعد رئيس المخابرات ملفين كانت أهميتهما بالنسبة لى ترجع الى أنهما سيضيئان لى معرفة أدق وأوثق بمهمة المخابرات ، خاصة أنهما ملفان لشخصين عرفتهما عن قرب .

كان الملف الأول ملف الصديق القديم مصطفى أمين .

لقد قلت قبل ذلك أن جمال عبدالناصر كلفنى عشية نجاح الثورة فى مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢ بالذهاب إلى مصلحة التليفونات للبحث عن برقية قيل إن مصطفى وعلى أمين أرسلاها إلى حكومات أجنبية وأنها مضادة للحركة .

ثم كلفنى بعد الثورة مباشرة بالإشراف على مؤسسة أخبار اليوم ، وكنت أغادر موقعى كل يوم فى إدارة المدفعية بزيى العسكرى وأتوجه إلى هناك حيث أقضى جانبا كبيرا من الليل ، ولا أبالغ أننى شكلت بمرور الوقت صورة مختلفة للأخوين مصطفى وعلى أمين أكثر من ذلك فقد استطاعا أن يأسرانى بودهما وحضورهما

وتحولت من دور الرقيب إلى مكانة الصديق بسرعة وألفة ، ولقد ظللت أحتفظ لهما بملامح هذه الصورة فلم ينقطع الود لسنوات طويلة بعد أن أنتهى الدور الذى أسند إلى .

ولا أبالغ أيضا أننى شعرت بحزن طاغ يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٥ وأنا أقرأ فى الصحف بيانا قال إنه تم القبض على مصطفى أمين أثناء مقابلته مع (بروس تايلور أوديل) الضابط بوكالة المخابرات الأمريكية وأنه - أى مصطفى أمين - يعمل عميلا للمخابرات الأمريكية ويقدم لها معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية تضر بأمن البلاد .

ولم أستطع أن ابتلع الخبر بضمير مستريح فقد كان بالنسبة لى متناقضا تماما .. للصورة التى ظللت أحملها لصاحبه ، وظل هاجس قوى فى داخلى يقول أنه ربما كان هناك تجاوز أو سوء تقدير أو سوء فهم أو حتى سوء نية ، لكن الأمر لا يمكن أن يكون التجسس لصالح وكالة المخابرات الأمريكية .

ولقد ظل هاجسا متصلا لسنوات طويلة حتى حانت اللحظة التى حملتنى فيها سيارة مرسيدس سوداء إلى مبنى المخابرات العامة بوصفى رئيسه الجديد .. كان مبررا - إذن - أن يكون ملف مصطفى أمين فى مقدمة الأوراق التى أردت أن أطلع عليها ، وحين جاء الملف وجدته دسما بالأوراق ، ولكن حين تلامست يدى معه ، أصابتنى حالة توتر شديد وسألت نفسى : ماذا لو لم أجد فى هذا الملف ما يقيم أدلة ثبوتية على أن مصطفى أمين كان عميلا للمخابرات الأمريكية .. ماذا لو تأكد لى أن القضية كانت شيئا آخر ، تلفيقا أو تصفية حسابات أو أنها قامت على قاعدة من الظن .

وجدتنى مشدوها أقول لنفسى : لن يكون هناك بديل عن أن أخاطب الرئيس وأقول له :

أسف : لقد اكتشفت أننى لا أصلح لهذه المهمة .. توقعت وقع المفاجأة عليه ، وأنه سيطلب الأسباب ، ولكننى قلت لنفسى : سوف أتمسك بقرارى دون أن أبدى سببا ، فلم يكن بالأمر السهل لى أن أقبل رئاسة المخابرات المصرية بكل تاريخها المجيد وسمعتها المشهورة ، ثم أكتشف أن دورها كان أن تلفق قضية تجسس لصحفى بل لصديق .

وحين انتهيت إلى ذلك الخاطر استرحت ، وشرعت أعدو بين سطور الملف دون توقف ، وحين انتهيت أزحت الملف الى مقدمة المكتب وكأننى أزيح كابوسا ثقيلا .. كانت القضية بالغة الوضوح ، بل أننى لم أكتشف ذلك فقط من وثائق القضية ولكنى اكتشفت أيضا أن مصطفى أمين تصرف باستخفاف شديد عمليا ربما نتيجة اطمئنان وثقة الى أن موقعه وصلاته ، ستجعل اقتناصه مستحيلا .

لقد كان يتحرك ويتكلم ويأخذ ويعطى بشكل كامل العلنية ، ولذلك فإن كل شيء مسجل عليه بدقة شديدة ، كما أن عملية القبض عليه لم تتم إلا بعد أن أصبح الشك يقينا ثابتا ـ أيضا .

أما قصص التعذيب التى رواها بعد ذلك فى كتبه ، فقد تأكدت أنها مجرد تغطية لموقفه ، فهى عارية تماما عن الصحة ولا أتصور سجينا ـ فضلا عن جاسوس ـ فى تاريخ مصر كلها ، قد لقى قدر الرعاية التى لقيها وهى رعاية وصلت إلى حد التسيب وتحطيم الأوامر والتعليمات الدائمة للسجون ، فقد وصلت إلى زنزانته صناديق التفاح ، وخراطيش السجائر الأجنبية ، وكثيرا ماذهب محمد حسنين هيكل لزيارته بنفسه بصحبة التفاح والسجائر ، وكما أعرف فقد كان أحد الذين ألحوا على السادات طويلا كى يطلق سراحه ، رغم أنه لقى جزاء « سنمار » منه بعد ذلك .

تتابعت أنفاسى وشعرت أننى أريد أن أتكلم مع أحد وطلبت أحد مساعدى .. وجدتنى أقول له دون مقدمات وأنا أشير إلى الملف :

إنها قضية تجسس مع المخابرات الأمريكية بنسبة مائة فى المائة ..

ورد مساعدى قائلا :

إنها كذلك بالفعل .. وهى إحدى عمليات المخابرات الناجحة ونحن لانزال نحتفظ بأشرطة القضية ووثائقها الأصلية معروضة فى معرض وحدة الأمن القومى فى المبنى المجاور .

هكذا وقبل أن ينهى مساعدى كلماته كنت لأول مرة قد بدأت أتأمل ملامح غرفتى وأحس بدفئها .

كان الملف الثانى الذى طلبته هو ملف قضية عبدالحكيم عامر ، فقد كنت رغم كل شيء أحبه ، وكثيرا ما أفزعنى أن تكون مأساته قد انتهت بالقتل لا بالانتحار . لقد سمعت تفاصيل القصة قبل ذلك من صديقين صادقين عزيزين أولهما هو المرحوم الفريق عبدالمنعم رياض ، وثانيهما ، هو الفريق أول محمد فوزى .. لكن مساحة مافى قلبى كانت تريد أن تصل إلى طمأنينة أخيرة حاسمة .

كانت صلتى بعبدالحكيم عامر قديمة جدا ، ولم يقدر لها أن تضطرب إلا فى مدة وجودى فى سوريا فى أوج الوحدة ، أما قبل ذلك فقد كان الحب هو جوهر علاقتنا ، فقد كنت أراه دائما « رجلا ابن بلد » شهما وشجاعا ، ربما كان يصلح شيخ قبيلة أو عمدة ، لكنه حمل أكثر من طاقته ، وهذا هو سبب الكارثة .

كان عامر يفهم أنه يقوم بعمل سياسى فى الجيش ليكسب ولاء القوات المسلحة الى الثورة ، ولو كانت هذه مهمته الوحيدة ، لكان نجاحه فيها كاملا ، لكن سبب الكارثة أنه اكتفى بهذه المهمة وحاول تنفيذها بأفراد سيئين هم الذين نسجوا

بسوئهم خيوط مأساته ومأساة هزيمة يونيه بعد أن تم إهمال الجانب العسكرى تماما .

ومازلت أعتقد أنه لو كان إلى جوار عبدالحكيم عامر عسكرى منضبط أو محترف مثل الفريق أول محمد فوزى لما انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه .

المهم أننى قرأت ملف عبدالحكيم عامر كلمة كلمة ، وحين انتهيت منه كان اقتناعى كاملا - ليس فقط بأنه انتحر بل وأن الانتحار كان سبيله الوحيد بعد أن انغلقت أمامه كل السبل .

عندما فرغت من قراءة الملفين بدأت عملى بحماس شديد ، فقد تطهرت من تلك النظرة الخارجية التى كان تأثيرها - كما قلت - نافذا حتى أن عدواها أصابتنى .

كنت قبل أن أتسلم مسئولية المخابرات قد قرأت كتابا طبع وصدر فى بيروت يروى قصة هزيمة يونيه ١٩٦٧ اسمه « وتحطمت الطائرات عند الفجر » .. وقد أصابنى بانزعاج شديد .. ولذلك كان من بين قراراتى الأولى فى المخابرات تشكيل لجنة للتحقيق فى أصل هذا الكتاب .. وتشكلت اللجنة وقامت بجهد جهيد .. وكانت نتيجة تحقيقها الميدانى أن الكتاب هو من إنتاج المخابرات الاسرائيلية (الموساد) وأنه مجرد تلفيق ذكى قام به جهاز المخابرات الإسرائيلية ، فقد اعتمد الكتاب على بعض الحقائق الجزئية استخدمها كهيكل أولى له ثم كساها بالأكاذيب .

قال الكتاب - مثلا - أنه كانت هناك حفلة فى قاعدة أنشاص الجوية ليلة ٤ يونيه ١٩٦٧ ، وهى واقعة صحيحة ، لكنه بنى فوقها كذبا أن الطيارين ناموا سكارى أسفل الطائرات ، وأن الطائرات الاسرائيلية وجدتهم على هذا الحال عندما قصفت المطار مع أول ضوء فى صباح اليوم التالى وذلك تهريج كاذب .

لكن الهيكل الحقيقى المتعلق بوجود حفلة يحتمل بعد ذلك أن يكتسى بأكذوبة الطيارين السكارى أسفل الطائرات .. وهكذا .. فالشائعة أو الأكذوبة لا تصدق إلا إذا بنيت فوق جزء من الحقيقة ، ولقد تفننت المخابرات الاسرائيلية فى اتباع هذا المنهج عندما أنتجت الكتاب المذكور .

ولهذا هالنى أخيرا أن يصدر كتاب مصرى عن هزيمة يونيه يحمل أسم كاتب مصرى ، ويضع الكتاب الذى أصدرته الموساد بمثابة مصدر رئيسى بل يكاد يكون وحيدا له ، فهذا عمل غير وطنى حتى وإن كان هدفه تصفية حسابات ثأر مع نظام جمال عبدالناصر .

الأمر الذى ينطبق تماما على كتاب « اعتماد خورشيد » فقد نشر هذا الكتاب قبل عدة سنوات ونشر مسلسلا فى عدد من الصحف العربية فى شكل حلقات ، ولم يكن له أى صدى فى مكانه أو زمانه .. فمات دون تعقيب أو تعليق .. ثم فجأة نقح

الكتاب وأضيفت له بعض المشهيات الميلودرامية وأعيد إصداره بدعاية مكثفة ، لماذا ؟

لست أتصور أنه من قبيل المصادفة البحتة أن يصدر الكتاب بدعايته على هذا النحو فى أعقاب التأثير الكبير الذى حققه مسلسل رأفت الهجان .. فقد نجح رأفت الهجان لأنه اثبت للناس أن هناك أبطالا مصريين مجهولين يقدمون تضحيات هائلة من أجل وطنهم ، وأن هذا الوطن بأبطاله قادر على أن يحقق الانتصار .. وكان المطلوب على وجه التحديد هو امتصاص هذا الاقتناع من الرأى العام أى تحطيم البطل .

وأحب أن أقف قليلا عند منطق السماح بمثل هذه الكتب بالطبع والتداول على أساس أن حرية الاجتهاد وحرية الرأى مكفولة .. وأنا أحد الذين يؤمنون بضرورة المحافظة بل وتوسيع حدود الاجتهاد وحرية الرأى .. لكننى أرى - رغم أنى قد أتهم بالتزمت - أنه لا حرية رأى ولا حرية اجتهاد فيما يتعلق بالأمن القومى .

لقد صادرت مارجريت تاتشر رئيسة وزراء انجلترا كتاب « صائد الجواسيس » الذى يحكى وقائع بعض العمليات الخاصة للمخابرات الانجليزية .. ورغم أن الكتاب أفلت من القرار الانجليزى وطبع فى استراليا ووزع مليون نسخة فإنها ظلت مصرة على منع طبعه أو تداوله فى انجلترا .. حدث ذلك فى لندن حيث الليبرالية تعانى مما قد يراه البعض ترهلا أو ابتذالا وفى مجتمع له تقاليده الديمقراطية العريقة ، وهو ليس موقفا ديكتاتوريا .. لأنه من حق جهاز المخابرات الانجليزى - حتى بعد عشرات السنين - أن يحافظ على دقائق أسرار عمله وعملياته .. ولا تناقض بين ذلك وبين حرية الرأى أو حق الاجتهاد الذى كما قلت ينبغى أن يكون مكفولا فى كل شىء ، إلا فى صميم الأمن القومى .

إننى لست فى حل من الدخول فى تفاصيل عمل المخابرات العامة أو فى عملى بها ، فذلك أمر لا أملكه فى أى وقت ، وينبغى ألا يملكه غيرى فى الحاضر أو المستقبل ، ولكننى أريد أن أتوقف قليلا عند بعض المسائل التى أعتقد أن مناقشتها بوضوح قد تكون مفيدة فى كل حين .

لقد قلت فى البداية أننى تسلمت رئاسة المخابرات العامة ولاتزال تلاحقها السمعة السيئة التى روج لها بعد عام ١٩٦٧ بل لعلى أقررت بأن جانبا من هذه السمعة تسلل لى شخصيا ، حتى قلبت الأوراق وتأملت الوثائق .

ولا أحد يستطيع أن يعرف مدى ما أدته ، المخابرات العامة من دور وطنى وقومى ، إلا أولئك الذين عاشوا فى قلبها ، ودفعوا من دمهم وراحتهم بل ومستقبل أسرهم ثمنا باهظا ليحفظوا لمصر أمنها ومستقبلها .

لقد ارتبطت عملية انشاء المخابرات العامة بالثورة ، ولقد كان ولايزال من أهم خطوط دفاعها ، ومع الأسف الشديد ، فإن معارك أخرى وجهودا أخرى ونضالات

آخرين قابلة للتداول ، إلا معارك وجهود ونضالات أولئك الرجال الذين تفرض عليهم مقاديرهم ومقادير أوطانهم أن يعملوا فى صمت وأن يرضوا على أنفسهم صمت القبور حين تنتهى أدوارهم ومهماتهم .

لقد كان نجاح المخابرات العامة المصرية فى النهاية محصلة عرق ودم وتضحيات لا حصر لها ، ولست بذلك أدافع عن بعض الانحرافات التى تنسب خلال مرحلة إلى أفراد محددين فى المخابرات لكنه من قبيل الظلم الفادح ، بل ولا أبالغ إذا قلت أنه من قبيل المؤامرة أن تدمغ المخابرات كلها - كما حدث - بانحرافات شخصية محدودة وموقوتة .

لقد نوقشت أعمال صلاح نصر عندما كان على رأس الجهاز بما فى ذلك من تجاوز ، وقد نال بعد المحاكمة جزاءه سجنا مؤبدا ، ومن حق الكتاب أو الناس أن يهاجموه شخصيا ، ولكن ليس من حق أحد أن يحول الهجوم على شخص صلاح نصر الى هجوم على درع الأمن القومى .

أريد أن أضيف مع ذلك ، أن صلاح نصر - فى نظرى - هو أبو المخابرات العامة التى قامت تحت قيادته بأعمال بطولية لا يمكن انكارها .

ان المناخ الوطنى العام المحيط بأى جهاز مخابرات يؤثر على عمله ويمثل دافعا أو كابحا له ، وليس ثمة شك فى ذلك ، لأن أى جهاز مخابرات لا يؤدى فى النهاية وظيفة فنية ، ولكنه جهاز سياسى ، واذا لم يكن مسيسا فإنه لا يدرك نجاحا ولا سبقا . وتلك ليست صفة خاصة بنا ، ولكنها تتعلق بكل أجهزة المخابرات فى العالم ، إن C . I . A المخابرات المركزية الأمريكية تدافع عن مصالح الولايات المتحدة فى العالم ، وK . G , B المخابرات السوفييتية تعمل الشىء نفسه بالنسبة لنظامها وكلا العملين هو عمل سياسى من الطراز الأول .

إن الدفاع عن أمن الوطن هو عمل سياسى فريد ، واذا اقنعت المواطنين بأن مخابراتهم هى سياج حفظ أمنهم على المستوى الشخصى وأنها ملاذهم فى النهاية فسوف أضمن أكثر من ٥٠ مليون مواطن يقدمون خدماتهم بإخلاص .

كان ذلك أهم هاجس لى فى عملى ولهذا كان طموحى كبيرا فى أن أزيل الأسوار المتوهمة لدى الجماهير والمخابرات ولقد أعلنت - فعلا - أن من مارس خطأ فى حق الأمن القومى عليه أن يتقدم الى المخابرات معترفا بخطئه وسوف نسامحه وطبقت ذلك بالفعل وكان له أثر كبير فى نجاح عملنا .

وإذا لم أكن فى حل من الدخول فى التفاصيل والوقائع فإننى أكتفى بالقول بأننى فخور بما تم من انجاز فى هذا الاطار .. لقد كان عملا مشرفا ومدعاة لفخر كل مصرى .

لقد مضى الزمن الذى كان فيه عمل المخابرات هو عمل سرى من الطراز الأول ، فقد تقلصت فى الدنيا كلها مساحة السرية ، وأصبح أكثر الأعمال نجاحا هو أكثرها علانية ، إضافة إلى أن أكثر الأعمال نجاحا هى تلك التى تنطلق من اجتهاد سياسى صحيح .. ولهذا فكرت فى بداية عملى ، فى انشاء مجموعة استشارية فيما يتعلق بالقضايا السياسية وكان فى مقدمة الأسماء التى رشحتها على قائمة هذه المجموعة أسمان محددان : محمد حسنين هيكل ، وأحمد بهاء الدين .

وإذا لم تكن هناك وسيلة لنجاح المخابرات دون تعاون الشعب معها ، فإنه أيضا ليس ثمة إمكان لنجاحها .. دون تعاون منظم بينها وبين الصفوة السياسية والفكرية فى البلاد .

أريد أن أؤكد بعد ذلك أن أهم المشكلات التى نعانى منها فى هذا الاطار ، على المستوى العملى ، تترتب على غياب وعى عام صحيح بقضايا الأمن القومى ، لقد بالغنا فى وضع كلمة السرية على كل شىء يمس اسم المخابرات وقد تعدى ذلك أحيانا هدف الحماية إلى الاضرار ، إن جهل الناس بأساليب عمل المخابرات قد يضعهم بحسن نية شديد فى مواقف تضر دون قصد بجوهر هذا الأمن بل وتقدم للآخرين فرصة ثمينة لاصطيادهم .

سأوضح ما أقصد بذكر بعض الأمثلة :

لقد كان أحد أعمال المخابرات المصرية الناجحة فى هذا التوقيت يتعلق باقتناص عميل لأحد أجهزة المخابرات الأجنبية بعد أن أستمر يواصل عمله بنجاح شديد ولفترة طويلة .

كان العميل الذى يحمل اسم « لوتز » لا يقوم بأى عمل من أعمال المخابرات المعروفة بأعمال « الخنجر والعباءة » إنما كان دوره الوحيد أن يجمع معلومات من ثرثرة علية القوم المصريين فى حفلات الكوكتيل التى كان يقيمها ، وكانت المعلومات التى يحصل عليها عن هذا الطريق مفزعة ، ولم يكن ثمة تفسير لها إلا أن الذين يقومون بنقلها خلال السهرات المختلفة يمارسون شكلا من أشكال التعبير الذاتى عن أنهم عليمون ببواطن الأمور رغم توافر قدر كامل من حسن نواياهم .

أما العميل فكان مضيافا فكها ، لطيف المعشر ، يتستر وراء ما يطلق عليه فى أعمال المخابرات اسم « الواجهة » ، فقد كان يملك اصطبلا من الخيل وكانت خيوله تجرى فى السباق ، وكان هو نفسه يمارس الفروسية مع من يدعوهم من المولعين بها . وعلى ظهر الجياد كما فى حفلات المساء كانت القصص والمعلومات تتدفق على « لوتز » دون مشقة أو مجهود ولذلك لم يكن فى حوزة العميل عندما تم القبض عليه سوى بعض أدوات التخابر .

أضرب مثلا آخر ...

إن بعض المعلومات التى تنشر فى الصحف دون تدقيق يمكن أن تكون مصدرا حيويا جدا لحصول الخصوم على معلومات ثمينة ، لنفترض ـ مثلا ـ أن خبرا قد نشر في احدى الصحف يتضمن أن إنتاج مصنع « خميرة البيرة » قد تضاعف فى الفترة الأخيرة ، إن الخبر يبدو عاديا جدا للقارىء العادى بل قد يبدو أحد مظاهر زيادة الانتاج ، لكن اخضاعه لعمل المخابرات قد يعطى مؤشرا ـ مادامت « الخميرة البيرة » تستخدم فى صناعة الخبز ـ إلى أن إنتاج الخبز بدوره فى هذا الوقت قد تضاعف ، وهو ماقد يعني ظروفا جديدة ، أو مقدمة لإعلان حالة تعبئة ، أو استعداد للحرب .

وليس من الضرورى أن يتم عمل المخابرات عن طريق عملاء واضحين ، لأنه فى الغالب يتستر وراء واجهة ليمارس أعمال المخابرات مثل مؤسسة ثقافية أو مؤسسة أنباء ، أو تجارة أو غيرها ، حيث يتوافر داخل هذه « الواجهة » ضباط مخابرات محترفون ، يمارسون عملهم من وراء ستار ، لتجنيد الأفراد والحصول على المعلومات عن طريقهم بوسائل مبتكرة وغير مباشرة .

إن نشر ثقافة عامة بالأمن القومى فى الأوساط الجماهيرية أمر بالغ الأهمية . ومع الأسف الشديد فإن عددا من أبنائنا قد بدأ تورطه فى أعمال ضد الأمن القومى المصرى بعد أن تم استدراجه إلى مؤسسات وهيئات وجمعيات مختلفة ، كان بعضها يدعى العمل من أجل السلام ، حيث تم اكتشاف نقاط ضعفهم الإنسانى من ضباط محترفين ثم جرى توريطهم فى بعض الأعمال قبل مطالبتهم بدفع الثمن مباشرة من أمن الوطن .

ولم تعد أعمال المخابرات فى أيامنا هذه مقصورة على الأنشطة الحربية والعسكرية ، وإنما دخلت إلى مركز القلب فيها : أعمال السياسة والاقتصاد وهذا ما يتطلب نشر رصيد متجدد من ثقافة الأمن القومى بمستوى جماهيرى واسع .

لقد تحدثت عن ضرورة وجود تعاون منظم بين الصفوة السياسية والفكرية فى البلاد وبين المخابرات العامة اضافة إلى أهمية خلق وعى صحيح بشئون الأمن القومى وسوف أتحدث فى هذين السياقين عن تجربة عملية شغلت جانبا من اهتمامى عندما تسلمت مسئولية المخابرات .

خلال سفرياتى العديدة فى الخارج تعرفت على كثير من شبابنا النابه الذى تحول الى علماء يشار إليهم بالبنان فى عدد من الدوريات العلمية الأجنبية ، وقدر لى أن أعرف أن ظروف هجرتهم لم تكن عادية ، إضافة إلى أن بعضهم حاول العودة فى أعقاب الثورة للمشاركة فى عملية البناء الجديد . لكن البيروقراطية قضت على كل أمل لهم فى العودة .

فى هذه المرة كان مستحيلا أن تطلب من أولئك الذين عاشوا سنوات طويلة

خارج الوطن ورتبوا أوضاعهم وظروفهم على هذا الأساس ، أن يخلفوا العوالم التى أقاموها وراء ظهورهم ويعودوا ، ولهذا تصورت أن البديل الصحيح هو خلق مساحة تعاون منظمة بين علمائنا فى الداخل وعلمائنا المهاجرين فى الخارج ، وكنت أحسب - ولاأزال - أن ذلك ضروريا لدفع التقدم العلمى والتكنولوجى فى بلادنا .

كانت العقبة الأولى لتحقيق ذلك ، أنه لابد لعلماء الخارج أن ينظموا أنفسهم تمهيدا لبدء عمل جاد ، وكان همى الأول أن أشجع بعضهم على القدوم الى مصر ، فى الوقت الذى كان القدوم فيه يشكل بالنسبة لهم مخاطرة حقيقية ، بحكم رصيد متراكم من المشكلات بينهم وبين الجهات الرسمية تبدأ من التجنيد وتنتهى بتسديد نفقات البعثات ، فضلا عن مشكلات إدارية أخرى تبدو مستعصية .

بدأت اتصالات مع كثير من الأصدقاء أشرح لهم التصور وأطلب معونتهم ، وكان فى مقدمتهم العالم الجليل الدكتور أحمد مصطفى وزير البحث العلمى أن ذاك والدكتور صلاح هدايت مستشار الرئيس للشئون العلمية والدكتور عبدالوهاب البرلسى وزير التعليم العالى والدكتور محيى الدين الخرادلى مدير معهد البحوث الطبية بالاسكندرية كذلك الدكتور محمد دكرورى والدكتور محمود محفوظ .

كنت أعتبرها بمثابة معركة ضد حرب سرقة عقولنا ، فاتصلت اجتماعاتنا ، وكان أنشط الجميع د . محيى الدين الخرادلى الذى سافر إلى الخارج وناقش الموضوع مع بعض علمائنا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتحمس علماء الخارج للفكرة ، ولكن وقفت نقطة ضمان عودتهم إلى أعمالهم فى الخارج إذا ما قاموا بزيارة القاهرة عقبة فى التنفيذ ، واقترحت أن يرسل العلماء فى الخارج عددا محدودا منهم كرأس حربة فدائية على أن أتعهد باستقبالهم فى مطار القاهرة وأن أضمن توديعهم عند السفر حتى باب الطائرة ، ولهم أن يجربوا ذلك ليطمئنوا أو تثبت لهم عدم صلاحية المشروع .

وبعد تردد طويل حضر بالفعل عدد من هؤلاء العلماء حيث عرضوا مشكلاتهم وناقشوا مع زملائهم فى الأوساط العلمية إمكانات التعاون المشترك ، وتكونت نواة صغيرة بدأت فى الاتساع ، وحين انتهى دورى انقطعت صلتى بالموضوع ولم أستطع أن أعرف مدى التقدم الذى تمكن من احرازه ، حتى قدر لى بعد عامين وأنا مازلت فى السجن أن أعرف خبرا عن تشكيل جمعية أصدقاء العلميين فى الخارج .

لكننى لا أعرف بعد كل هذه السنوات الطوال إلى أين وصل نشاط الجمعية ، وهل استطاعت أن تحقق ما عقد عليها من آمال ، أم أن سكين البيروقراطية - كالعادة - ذبح الدجاجة قبل أن تبيض ؟ ؟ ! !

انعكاسات هزيمة يونيو
على المخابرات العامة

لقد سبق لى أن قلت أننى رفضت العمل فى سلك المخابرات أكثر من مرة قبل ذلك . لأسباب تتعلق بالقصص المتداولة عن عمل المخابرات على جانب ، ولأسباب تتعلق بتكوينى الشخصى ، وهو تكوين يؤثر العمل العلنى العام فى صفوف الناس على جانب آخر .

لكن اهتمامى بعمل المخابرات ـ مع ذلك ـ كان قديما وقد فرض على بحكم عملى المبكر كملحق عسكرى فى باكستان ثم أسبانيا والمغرب .

وعمل الملحق العسكرى بشكل عام ليس بعيدا عن أعمال المخابرات ، لكننى حين ذهبت ملحقا عسكريا إلى أسبانيا عام ١٩٦١ لم تكن لدى أية دراية عن هذه الأعمال ، ولم يتم تأهيلى لها ، وهكذا اخذت أبذل جهدا متصلا فى تعليم نفسى ، فانكببت على جمع وقراءة جميع الكتب التى صدرت عن أعمال المخابرات فى العالم ، وجميع المذكرات التى نشرت لرؤسائها السابقين ، كذلك قصص مشاهير الجواسيس ساعدنى على ذلك اجادتى للغتين الانجليزية والفرنسية ، ولما كانت أسبانيا عامرة بالكثير من ضباط المخابرات الألمانية السابقين ، فقد سعيت الى لقائهم والتعرف عليهم ، وسماع تجاربهم .

وهكذا تعلمت الكثير بالفعل ، واكتشفت أن عمل المخابرات ليس « فهلوة » وإنما هو علم وفن فى وقت واحد .

كان رصيدى من الأسى متجددا ، فلم يستثمرنى أحد فى موقعى ، بل ربما لم يقرأ أحد فى القاهرة تقاريرى أو تقارير غيرى ، كما كانت الأخبار التى تصل إلينا بشكل رسمى تجيىء متأخرة ، وتضعنا وسط بقية الملحقين والدبلوماسيين فى مواقف حرجة .

ولقد تولد لدى دائما احساس بأن معلوماتنا ناقصة ، وأن جزءا كبيرا من أسباب اخفاقاتنا ونجاحات خصومنا أنما ترجع الى عدم توافر قاعدة معلومات صحيحة وشاملة تعين على اتخاذنا للقرارات ، فى حين نجح خصومنا فى أن يوفروا لأنفسهم هذه القاعدة دائما .

كنت أفكر فى ذلك كله خلال الساعات القليلة بين ابلاغى بقرار تعيينى رئيسا للمخابرات العامة ، وذهابى فى اليوم التالى مباشرة لتسلم هذه المسئولية .

قبل أن أذهب الى مكتبى لأول مرة مررت بمكتب سامى شرف لأفهم بوضوح أكثر ما نقل إلى تليفونيا فى الاسكندرية ، ولم أكن أحب بصراحة ووضوح ومن واقع تجربة عملى سابقا فى رئاسة الجمهورية أن أعمل قريبا من سامى شرف ، ولهذا كان قلقى مضاعفا منذ البداية ، حين طلب منى قبل أن أتوجه مباشرة لتسلم المخابرات العامة ، أن أغير مدير مكتب رئيس المخابرات مرشحا لى أحد الأفراد ليقوم بهذه المهمة ولقد جفلت عندما سمعت أسم مرشحه ، فقد كنت أعلم عنه الكثير قبل ذلك .. ورغم أننى وجدته قد سبقنى إلى مكتب سامى شرف فى هذا اليوم إلا أننى اتخذت قرارا بأننى لن أفعل إلا ما أراه صالحا ولن أغير مدير مكتب رئيس المخابرات السابق دون مبرر موضوعى .

ولذلك يلزم أن أقول كلمة إنصاف عن مدير مكتبى الذى تمسكت ببقائه معى دون معرفة مسبقة ، فقد تيقنت من خلال الممارسة ، أنه شاب مؤمن مخلص لعمله ووطنه . وقد مارس دوره معى بأمانة وشرف وصدق . وتلك صفات حين تجتمع فى فرد يعمل مديرا لمكتب منصب من أخطر المناصب ، لابد من أن تعد مكسبا للوطن نفسه قبل صاحب المنصب .

كان لابد أن أضع خطوطا عريضة لما يمكن أن يشكل سياسة عملى فى موقعى الجديد وخلال يومين كنت قد بلورت هذه الخطوط العريضة فى نقاط عامة :

١ ـ أننى أول رئيس للمخابرات يعين بعد فترة ممارسة طويلة فى المجالين السياسى والتنفيذى فقد عملت محافظا لثلاث محافظات وعضوا بالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى وأمينا عاما للشباب ، وعضوا بأمانة التنظيم الطليعى .

وذلك يوفر لى زاد خبرة عامة ينبغى استثماره فى اتجاهين :

ـ الأول هو تسييس المخابرات أى أن تتفهم هى نفسها والآخرون أن عمل المخابرات هو عمل سياسى بالدرجة الأولى هدفه فى النهاية الدفاع عن مصالح الدولة العليا ، وسياستها العامة .

ـ الثانى تطوير عمل المخابرات على أساس علمى ، مع العمل على توطيد صلة الصداقة بينها وبين مختلف أجهزة الدولة ، وقد استثمرت رصيد معارفى الكثيرين الذين أثق فى تأجج روحهم الوطنية لتحقيق ذلك .

٢ ـ أن الهدف الاستراتيجى الأول فى هذه المرحلة ، يمكن أن يحدد فى تأمين مصر ضد أنشطة المخابرات المختلفة وخاصة العدو .

٣ ـ إن إحدى المسئوليات الأولى التى يجب العمل من أجلها بسرعة ، نشر

الوعى بالأمن على المستوى العام ، حيث يكاد مفهوم الأمن القومى - بمعناه الصحيح أن يكون غائبا عن الجماهير .

فقد اكتشفت أن غياب وعى صحيح وعام بالأمن كاد أن يكون الثغرة التى تلقينا منها أغلب الطعنات فى أمننا القومى .

لكى تتوافر فرص حقيقية للنجاح ، لابد من كسب ثقة الجماهير والعمل على تغيير تلك النظرة التى سادت العلاقة بين المخابرات والشعب ، وهى علاقة ساهمت فى صنعها تجاوزات أفراد ولكنها صنعت هوة نفسية وإنسانية بين الأثنين .

كان يخامرنى منذ اللحظة الأولى إحساس عميق بأننى أحارب معركتى الأخيرة ، وأن دورى هذه المرة هو خاتمة رحلة طويلة لم يتوقف خلالها إحساسى بأننى فى صراع مع الزمن وأن الزمن لم يمهلنى فرصة اكتمال عمل واحد ، فقد عملت محافظا لأسيوط ٢٣ شهرا وللاسكندرية ٢٤ شهرا ، وأمينا للشباب ١٩ شهرا ومع الأسف فلم تكن أيا منها كافية لتحقيق ما أريد .

فى اليوم الأول جاء رؤساء الوحدات لمقابلتى للتهنئة ، ولم أكن أعرف أحدا منهم - باستثناء السيد مصطفى كمال لطفى - رئيس وحدة الأمن القومى ، وبعد انتهاء المقابلة طلب مدير مكتبى تحديد جدول مواعيد لكى يتسنى لمندوبين عن الوحدات المختلفة الحضور للتعارف والتهنئة ، ولكننى أبلغته بأننى سأعرف بنفسى موقعا موقعا وشخصا شخصا ، وقد استغرق ذلك منى ثلاثة أيام متصلة ، وقد قابل البعض ذلك باستحسان ، أما البعض الآخر فاعتبره نوعا من المظهرية المتعمدة .

طلبت من الوحدات أن توافينى بتقارير سريعة ومكثفة عن طريقة عمل كل وحدة ، وكان أول ما قرأت بعد ذلك هو « قانون المخابرات » لكننى حين فرغت منه ، أحسست أكثر بثقل المسئولية ووطأتها على الضمير ، إن أعمال المخابرات تتطلب سرعة فائقة وسرية كاملة ولذلك فان جميع أجهزة المخابرات فى العالم تعمل فى إطار قانون خاص بها وتضع نظمها بنفسها دون معقب ، ولذلك لم أجد ما أفعله سوى أن أسأل الله أن يلهمنى الصواب وأن يقينى الزلل - وما أيسره أن عميت القلوب .

كان كثيرون قد توافدوا على زيارتى فى منزلى بمجرد أن علموا بعملى الجديد وحتى قبل أن أتسلمه ، وقد عرضوا جميعا خدماتهم إما بتقديم ما لديهم من معارف أو نصائح ، ولا شك فى أن منهم من كان صادق النية توجهه مصالح الوطن ، ولكننى لم أستحسن هذا العمل ، لأننى أحد الذين يحبون أن يحكموا بأنفسهم - بعد أن يروا ببصيرتهم لا بعيون غيرهم .

أما أكثر ما أزعجنى فهو زيارة أحد المسئولين - وكنت أعتبره زميلا وصديقا -

طالبا أن ينقل من المخابرات لسبب لم يخفه وهو أنه أقدم مني في الجيش وكان طلبا غريبا ، لأنني أفهم أن منصب رئيس المخابرات وهو منصب سياسي ، وينبغي الا يخضع لسلم الأقدميات التقليدي ، وكنت أفضل أن يؤجل مكاشفتي بفهمه ومطلبه حتى أتسلم عملي ، ولم أجد بديلا من ان اطلب منه أن يتنازل عن طلبه بعض الوقت وبعدها سأدبر أمر نقله .

كانت محصلة لقاءات الأيام الثلاثة مع جميع الأفراد قد أعطتني انطباعا عميقا بأن هزيمة يونيه ١٩٦٧ قد تركت بصماتها بشكل واضح عليه ، وانه لم يكن قد تخلص من آثارها بعد ، ذلك أنني أؤمن أن الفرد هو أساس أي عمل في النهاية ، ومهما كان التقدير صحيحا والتخطيط دقيقا .

لقد كان أخطر انعكاسات هزيمة يونيه عدم وجود خطة استراتيجية وخطط تكتيكية ، فالأولى تحتاج إلى تعاون جميع أجهزة الدولة ولم يكن هناك « تنظيم تعاون » علمي مع الأجهزة الأمنية المختلفة (مثل المباحث العامة والمخابرات العسكرية والبحوث والأمن بالخارجية) وإنما كان التعاون يتم طبقا للأحداث .. أما الثانية فتحتاج الى خطة موحدة لوحدات المخابرات حتى يتم تحقيق الهدف ، وكانت كل وحدة تعمل بمفردها ، فضلا عن تنافسها مع بقية الوحدات .

وكان من بين هذه الانعكاسات ايضا ـ تخلخل واضح بين المخابرات والأفراد للذين تركوا خدمتها بعد أن قدموا تضحيات كبيرة ، والذين تركوا لمقاديرهم تفعل بهم ما تشاء .

لقد عاني الجهاز ـ من بعض السلبيات أيضا ـ عبر مراحل سابقة ومن ظاهرة أن كل قيادة جديدة له تأتي من الخارج ومعها طاقمها المساعد ، أما بالنسبة لي فقد ذهبت منفردا كعادتي في كل موقع تم اختياري له .

وقد تكرر معي هذه المرة ما تكرر معي في كل موقع سابق ذهبت إليه ، فلم أجد ورقة واحدة تركتها القيادة السابقة خاصة بحصر المشكلات أو العقبات أو التحديات حتى أبدأ من حيث انتهى من سبقني .

ولم تكن لقاءاتي مع الأفراد العاملين في المخابرات فقط ، بل سعيت مخلصا وصادقا أمد يد الصداقة إلى أولئك الذين أفنوا زهرة عمرهم في خدمتها ، وقد راعني أن بعضهم قد أبعد لمجرد انه عارض خطأ أو أصر على كلمة حق .

وقد يدهش البعض حين أقول أنني لم أقرأ كل ما كتبته وسائل الإعلام عن المحاكمات التي تمت عام ١٩٦٧ لبعض أفراد المخابرات ، حيث أحسست أن هذه المحاكمات لا تدين أفرادا بل تدين نظاما كاملا وأننا مهما حاكمنا من أفراد فإن ذلك لن يكون تغطية على الحقيقة .

ثم أن أغرب ما كنت أتصوره أن تحاكم المخابرات ، أنها سابقة لم تحدث في أية

دولة فى العالم ، فدائما ما تحافظ الدول على أسرار مخابراتها ويكون حسابها دائما بعيدا عن العلنية .

أن أجهزة المخابرات فى جميع أنحاء العالم تتبع أساليب خاصة فى الحصول على بعض المعلومات ، ولكسر مقاومة الأفراد الذين يمكن أن يكونوا مصادر لمعلومات على درجة كبيرة من الأهمية - ضعفا أو خللا فى تكوين هذه الشخصيات أو المصادر - وهذا عمل تعتبره جميع أجهزة المخابرات فى العالم مشروعا ، ولكن السؤال مع من تتبع هذه الأساليب ، أنها دائما ما تتبع مع أفراد أجانب لا ينتمون الى الوطن ، واختراقهم عن طريق نقاط ضعفهم تتم - طبقا لمصلحة الوطن ..

اكتملت الصورة أمامى حين بدأت أطلع على بعض الملفات والتقارير وحيث وجدت أن ثرثرة بعض المسئولين تكشف الكثير من أسرار الدولة .

كنت أبحث عن يقين عن حل ....

يجب أن أتوقف لأقول كلمة إنصاف للتاريخ ، هل كان كل ما قامت به المخابرات من وحى تصرفها ، أقول عن يقين : لا . لأن كثيرا من المواقف كانت أكبر منها .. ولذا فإنها قبلت بما أمرت به ، ونفذت ما تلقته من تعليمات ..

وقد لمست راحة عميقة لما اتخذته من قرارات فقد كان جميع الأفراد عن احتكاك مباشر بهم - من ذوى الخلق والضمير ، وهذا من مفاخر المخابرات التى لا يحس بها الآخرون فى خارجها .

محاولة لبناء استراتيجية جديدة للمخابرات

لقد حدد « مايلز كوبلاند » فى كتابه « لعبة الأمم » دور جهاز المخابرات ـ أى جهاز ـ فى أنه دور رادع أى أنه جهاز ردع ، ولم أكن فى أى وقت منسجما أو متفقا مع هذا الفهم ، فالاعتماد على الردع كقاعدة عمل فى الداخل قد ينجح لفترة ، ولكنه لا يصلح فى كل الفترات ، كما أن مهمته الوحيدة تكون حماية نظام الحكم ، ولم يكن ذلك هو الدور الوحيد للجهاز ، فمعنى التهديد الأمنى أوسع مدى بكثير من أن يكون مجرد تآمر للناس على نظام قائم مهما كان وطنيا وثوريا ، والمخابرات فى تقديرى هى جهاز مقاتل على مستوى عال ، مهمته حماية أمن الوطن فى الخارج وفى الداخل أيضا ، وحماية الأمن فى الداخل لايمكن أن تتم بالردع ، وأنما بالفكر العميق ، ذلك أنه جزء من حرب الدهاء كما يسمونها بحق .

أما على مستوى الخارج فالسؤال دائما : ما دوائر هذا الدور ، وما طبيعته ؟ ، أظنني أيضا ـ لم أكن أتفق مع هذا الفهم الذى أورده ديفيد وايز وتوماس روس فى كتاب « الحكومة الخفية » عن دور المخابرات المركزية الأمريكية فى الإطاحة بالأنظمة المعارضة لسياسة الولايات المتحدة هنا أو هناك أو مساعدة أنظمة عميلة على القفز إلى السلطة . وقد يكون من الطبيعى أن يخطط جهاز المخابرات الأمريكية لدوره بمنهج هذا التفكير الامبراطورى ، أما بالنسبة لنا فلم يكن ينبغى أن يدور تفكيرنا وفق هذا المنهج ، وحتى إذا كنا قد فكرنا فى ذلك لفترة فإنه فى التجربة كان توريطا لنا أكثر منه تورطا ، ولذلك كان السؤال الكبير الذى يبحث فى داخلى عن إجابة هو : ما استراتيجية الجهاز ؟ وما دوره فى ضوء هذه الاستراتجية ؟

من المؤكد أننا نعيش وسط دوائر ثلاث ، هى الدائرة العربية ، والدائرة الأفريقية والدائرة الاسلامية ، وأن مصالحنا الاستراتيجية تتركز فيها ،.ومن الطبيعى إذن أن تشكل هذه الدوائر مجال الحركة أمامنا بكل مستوى ، ولكن هل يمكن للمخابرات أن تصل فى عملها إلى هذا المدى بمفردها ، إن الاجابة المؤكدة : لا بالطبع :

فدون عمق جماهيرى يسند عملها ويساعدها ، لايمكن لها أن تحقق قدرا من السبق والنجاح ، كانت المهمة صعبة ، وأضيف أنه كان يزيد من تعقيدها أننا

نعيش أزمة مركبة : أزمة وطنية ، وأزمة فكرية ، وأزمة سياسية .

فكر سياسى صحيح لا يستند إلى أدوات تنفيذية مؤمنة وقادرة .. أطر سياسية عاجزة عن تعبئة الناس سوى بوسائل البيروقراطية .. خليط من الرأسمالية والاشتراكية دون حسم .. حالة لا سلم ولا حرب .. ثم أزمة لا احتلال ولا استقلال .. كيف يمكن للمخابرات أن تحقق واجبها فى خلال هذه التناقضات المركبة ؟ ؟

كنت كلما تعمقت فى التفكير وجدت أن الأمر يحتاج إلى جهد شاق ، وكنت أومن أن السبيل الوحيد - رغم ذلك كله - هو التخطيط العلمى بعيدا عن رد الفعل أو الانفعال ، لكننى كنت على يقين من أن نقطة البداية لا يمكن أن تكون صحيحة إذا لم يكن هدفها الأول هو تغيير وجه المخابرات الذى أصبح قبيحا فى عيون المواطنين ، بل كان شك الناس فيمن يتصل بالمخابرات يكاد أن يدمر نسيج علاقاته وأصدقاءه وأقاربه ، وقد عانيت أنا نفسى من ذلك ، يوم عينت فى رئاسة الجمهورية مع سامى شرف فى مكتب الرئيس للمعلومات فقد اكتشفت أن أقرب أصدقائى أصبحوا أكثر تحفظا معى وعندما ذهبت بعد ذلك للعمل كمحافظ ظلت تلاحقنى صفة أننى أنتمى إلى المخابرات .

أما عندما عينت رئيسا للمخابرات ، فكانت الصدمة أقوى ، فقد تخوف منى حتى الأصدقاء المقربين ، وأحسست فى لحظات أننى أصبحت وحيدا ومعزولا بمنصبى ، ولذلك زاد تصميمى على أن يكون للمخابرات وجهها الحقيقى المشرق المضىء فى عيون المواطنين . لقد رفض أصدقائى فى مواقع المسئولية وبينهم عدد من المسئولين أن يحضروا لمقابلتى فى مكتبى ، واضطررت إلى أن أخصص يوما كل أسبوع ألتقى بهم فيه فى بيتى ، رغم محاولتى دفع الثقة فى نفوسهم بأنه لا فرق فى الحالتين ، أما بالنسبة للوزراء فقد فضلوا أن يحضروا إلى مكتبى كزائرين ، لا أن أذهب إلى مكاتبهم حتى لا تلاحقهم شائعة اتصالات بالمخابرات ، وكأن فى ذلك عيبا أو عورة .

كان المهم أن يتم التعاون واللقاء بين أجهزة الدولة المختلفة ، والمخابرات ولذلك وافقت على أية صيغة للقاء والتعاون تزيل القلق عن أى شخص أو مسئول .

لقد كان لى داخل مجلس الوزراء عدد من الأصدقاء وكانوا يصارحوننى القول بما يحدث فى اجتماعاته ، وكانت كل المؤشرات تؤكد منذ البداية أن هناك صراعات تزداد حدة داخل مجلس الوزراء وتكاد تهدد وحدة عمله بل واستمراره .

كان رئيس الوزراء د . محمود فوزى يغالب العواصف وسط هذا الخضم ، فقد كان يقود سفينة على متنها أكثر من ربان بينما كانت الحرب ضده شديدة ومعلنة من أكثر من محور .

كانت البلاد فى أزمة طاحنة ، فإسرائيل تحتل جزءا من أراضيها ، بينما كان ما

يشغل بال المجتمعين فى المجلس يدور حول تنشيط السياحة ، ورفع مستوى عمال التراحيل وتسميتهم بالعمال الموسميين .

ولاشك فى أنه من سوء حظ د . محمود فوزى أن يتبوأ موقع رئاسة الوزراء فى أعقاب جمال عبدالناصر وفى وجود الوزراء أنفسهم الذين كان يرأسهم وفيما يبدو فإن الفارق الكبير بين الشخصين والشخصيتين قد ساعد على خلق حالة من الفوضى وعدم الاقتناع ، أو الانسجام بين الوزراء وبعضهم .

لم يمر على وجودى فى المخابرات سوى أسبوعين ، حين دعيت إلى اجتماع عاجل فى مكتب سامى شرف ، وحين ذهبت وجدت أن المدعوين إلى الاجتماع إضافة إلىَّ هم شعراوى جمعه وحسن طلعت - رئيس مباحث أمن الدولة - والعقيد عبدالغنى سلامة رئيس قسم الأمن فى مخابرات القوات المسلحة وسامى شرف طبعا .

وبدأ الاجتماع بتقرير أنه قد وردت إليهم معلومات مؤكدة تفيد أن الاخوان المسلمين يتأهبون للقيام بعمل مضاد ، وأن المستهدف بهذا العمل المضاد شعراوى جمعه وسامى شرف لأن الاخوان يقولون أنه ليس بينهم وبين الرئيس السادات عداوة وأن ثأرهم مع عبدالناصر قد انتقل إلى سامى وشعراوى ، وأكد الأثنان أن المعلومات مؤكدة من بعض المصادر فى بيروت وأن حسن التهامى قد أصبح درويشا ويقول عن نفسه أنه ينفذ تعاليم الأولياء لأنه الخليفة المنتظر .

استمعت إلى التقرير مدهوشا ولم أعلق ، وكان القرار النهائى أن علينا جميعا كأجهزة أمن أن نراقب الحالة وأن نضع تحت الرقابة الكثير من الضباط السابقين الذين قد يتوقع أن يستغلهم الاخوان .

وانتهى الاجتماع وبقيت إلى النهاية مع سامى كما بقى العقيد عبدالغنى لفترة ، وتناول الحديث موضوع أحمد نوح وأمين الناظر ، كان الأول - كما قال سامى فى تلك الليلة - قد تقرر تعيينه وزيرا أو نائب وزير لشئون الطيران المدنى والأرجح أنه سيكون وزير دولة للطيران وتعيين أمين الناظر سكرتيرا عاما لوزارة الحربية ، وفوجئت بأن العقيد عبدالغنى - الذى لم أره قبل هذا الاجتماع - يقول لسامى شرف بشجاعة نادرة .. إن هذا التعيين سوف يكون صدمة للقوات المسلحة وأنه سيتم ضد رغبة الجيش لأن تصرفات الاثنين معروفة ولا ترضى الضباط وأنه يجب على النظام أن يتوقف عن استخدام سياسة « ركلة إلى أعلى أو شلوت لفوق » التى تؤذى أكثر مما تنفع ، وبعد أن انصرف العقيد سلامة قلت لسامى شرف : إن ماقاله الرجل ينبغى أن يوضع فى الاعتبار لأن أسلوب العمل بعد عبدالناصر ينبغى أن يتغير بأن نجذب الناس بوضع الأكفاء فى المناصب التى تحتاج إلى الكفاءة ، لكن سامى شرف عقب قائلا : إن قرار تعيين أحمد نوح وزير دولة لشئون الطيران المدنى قد قام الرئيس بتوقيعه بالفعل .

خرجت من الاجتماع وفى حوزتى أسماء أعداد من الضباط ، يراد وضعهم تحت

الرقابة ، وكانت كلها أسماء ضباط أعرفهم وأعرف عن يقين أنه ليس لهم أى نشاط يستوجب مثل هذا الاجراء وكان فى مقدمة هذه الأسماء أسمان محددان هما : أمين هويدى رئيس المخابرات العامة السابق ، وحسن التهامى ، ولقد ترك هذا الاجتماع فى نفسى أثرا سيئا للغاية ، فهل أصبحت مسئولية أجهزة الأمن وسط الظروف الدقيقة التى نمر بها أن تشغل نفسها بحماية أمن شعراوى جمعه وسامى شرف ، وهل ما يقولونه هو الحقيقة فعلا أم أنهم يدبرون شيئا غير منظور ، ثم ما علاقة أمين هويدى وحسن التهامى بما يتحدثون عنه ، غير أننى ذهبت ونفذت بالفعل ما تم الاتفاق عليه فى الاجتماع .

قبل أن أغادر الاجتماع رن جرس التليفون قريبا من سامى شرف برنين خاص وتمهل سامى قليلا ثم رد كان الحديث فيه شىء من الرسمية ، ولكنه لم يكن يخلو من تسيب ، وعلمت أن المتحدث هو الرئيس أنور السادات ، وحين استعدت مواقف سابقة كنت أسمع فيها سامى شرف وهو يرد على تليفونات عبدالناصر هالنى الفرق ، فقد كان صوته لا يزيد على الهمس وكان يبدأ بأن يشير لجميع من فى غرفته بالتزام الصمت ، ولم يكن يترك الرنين يتصل للحظة ولم يكن يضع سماعة التليفون قبل أن يغلق عبدالناصر الخط .

أصابنى هذا المشهد التليفونى بالقلق فلم يكن مستقيما ولا طبيعيا كما كان ينبىء بتصدع وصراع .

عدت إلى مكتبى وكلفت وحدة الأمن القومى بتقصى الموضوع الذى طرحه شعراوى جمعه وسامى شرف من منبعه الذى قيل عنه ولم يكن عند المنبع شىء يؤكد صدق الرواية .

كنت قد بلورت بعد فترة من القراءة والمتابعة والدراسة المتأنية أو اللقاءات المباشرة داخل الجهاز وخارجه خطوطا رئيسية لخطتى فى العمل .

كان من المهم فى تقديرى أن أبدأ ببعض الاجراءات الداخلية ، لحل بعض المشكلات التى تراكمت واستعادة ثقة الأفراد والقيادات على أن تكون الأولوية للمشكلات البسيطة الحل ، وعلى أن يكون الحل فى الوقت نفسه طويل الأجل ويقوم على قاعدة واضحة من التخطيط العلمى .

وقد تم فعلا ـ فى هذا الإطار ـ وضع تنظيم جديد للعمل بأوقات جديدة تسمح للأفراد بأوقات فراغ أكثر لرعاية أسرهم ، ومن المهم أن أضيف أن البعض كان يخشى من هبوط مستوى العمل نتيجة لذلك ، ولكن المتابعة المستمرة ومن خلال الاحصاء العملى أثبتت أن الأداء العام قد تحسن كما وكيفا ، وأنه قد قل بشكل واضح التقدم إلى العيادة الطبية ، ومعدل صرف الأدوية .

ثم تتابعت مجموعة من الخطط المتزامنة ، خطة كاملة لرفع مستوى اللياقة البدنية والمهارات المختلفة ، خطة كاملة بدورات تدريبية على اللغات مع تفرغ

كامل لها ، خطة كاملة للرعاية الطبية الشاملة ، خطة كاملة للتدريب الثقافى تتداخل فيها جميع عناصر الفنون المختلفة إضافة إلى الرحلات التى أصبحت أسبوعية ، وتتم بشكل أسرى ، كان له أبلغ الأثر على الروابط العائلية والأسرية والشخصية ، خطة كاملة للتدريب السياسى والثقافة العامة ، خطة أخرى لتحريك بعض المشروعات التعاونية التى كان قد بدىء فيها ثم أوقفت .

وبدأ إحساس الأفراد بالراحة والانتماء الإنسانى ، ينعش العمل ويحسن الأداء ويخلق طاقة تحمس جديدة له .

على طريق وضع تخطيط شامل للعمل قمت بالخطوات التالية :

١ ـ التقيت بكبار المسئولين فى أجهزة الأمن الأخرى ووضعنا مبدئيا خطوطا رئيسية ، لتنظيم تعاون ، وقد تحقق فى هذا المجال بعض التقدم ولا مجال للدخول فى تفاصيله لأنها تمس سلامة العمل .

٢ ـ شكلت لجنة اختصت بمراجعة شاملة لجميع المواقف السابقة والدروس المستفادة منها ، وقد اتسعت هذه اللجنة لجميع الخبرات الخاصة السابقة من المخابرات ، كما ضمت آخرين من رجال الدولة .

٣ ـ التقيت بجميع الأفراد القياديين الذين غادروا المخابرات وكرمتهم وطلبت منهم أن يكونوا معى بأفكارهم وآرائهم على أن أكون معهم بكل ما أملكه من إمكانات ، وقد شك كثيرون فى أن يكون ذلك قد تم بناء على توجيه ولكنه تم بمبادرة شخصية إذ أننى لم أتصور أن يعطى هؤلاء الرجال أخصب سنى عمرهم وأعز خبراتهم للمخابرات ثم لا تكون المخابرات بعد ذلك فى خدمتهم بعد أن تنتهى الأدوار والمهام .

٤ ـ تعاونت مع الكثير من الأصدقاء ووضعت مخططات للتعاون فى جميع المجالات سواء فى الداخل أو فى الخارج ، ولقد كنت أحس فى الواقع بامتنان كبير لكل من توجهت إليه طالبا المعونة فلم يتردد ولم يبخل ، وإن كنت قد فوجئت بدهشة الكثيرين من أن الجهاز تقبل وأقبل على هذا الانفتاح .

٥ ـ انتهى ذلك كله إلى وضع خطة شاملة للمخابرات ، ومن المؤكد أنه ليس بمقدورى أو مقدور غيرى أن يدخل فى التفاصيل ولكننى أكتفى بالتأكيد على أن هذه الخطة قد نجحت نجاحا كبيرا .

لقد تحدثت قبل ذلك عن طلب لقائى مقابلة للرئيس السادات التى لم أحظ بها والتى كان هدفها استطلاع وجهة نظره لتحديد الخط الاستراتيجى لعمل المخابرات ، كان لدى الكثير من الآراء التى شكلتها وكونتها وكنت مؤمنا بالتخطيط العلمى وبأن دورنا لا يمكن أن يكون مجرد سلسلة من ردود الأفعال فى مواجهة سلسلة من أفعال الخصوم .

من المهم أن أؤكد أن عمل المخابرات صعب للغاية وأنه يحتاج إلى جهد طويل لأنه يتطلب بناء مصادر أخبار فى دوائر واسعة ، ولا يمكن للمخابرات مهما كانت إمكاناتها أو قدراتها أن تعمل من بعد ، كما أنه ليس صحيحا أن الصورة الوحيدة للوجود عن قرب هو التجسس أنه فقط إحدى هذه الصور ، كما أنه ليس فى أى مكان يجب أن يتوافر جواسيس ، أريد أن أؤكد أيضا أن تجميع المعلومات من مصادر علنية بما فيها وسائل الاعلام ذاتها ، والأصدقاء العاديون والاعتماد على العلاقات الخاصة وبناء العلاقات الشخصية ، إضافة إلى أن ترتيب المعلومات ومعايشة الأماكن والمناخات الخاصة بها تساعد كثيرا على تكوين ملامح الصورة الذى قد يأتى التجسس فى النهاية ليزيدها وضوحا وعمقا .

وفيما يتعلق بعملنا ـ أيضا ـ فى هذا التوقيت ، فقد كنت أرى مفارقة فى أن أغلب القرارات التى تصدر عن الدولة تكون المخابرات هى آخر من يعلم بها ولم أكن أعتقد أن هذا هو الطريق الأمثل ، ذلك أننى أتصور أن إحدى المهام الأساسية للمخابرات هى مساعدة مركز اتخاذ القرار فى تحديد طبيعة واتجاه وتوقيت اتخاذ القرار وذلك جزء من طبيعة الدور والمهمة التى تقتضى متابعة الأحداث ، وبناء سيناريوهات التوقع أو ردود الأفعال ، واقتراح القرار المناسب لكل توقع أو رد فعل ، ذلك فيما أحسب يوفر على مركز اتخاذ القرار وقتا وجهدا فى ترتيب الأولويات والتوقعات والاحتمالات ، ولا يضيع الجهد والوقت فى التركيز على مشكلة واحدة ، كما أنه يساعده فى انتخاب القرار المناسب من بين مجموعة كاملة من القرارات أو الاقتراحات .

إن دور المخابرات لصيق بالرأى العام ، وطبيعة القرار واتجاهه تمر بالضرورة عبر هذا الرأى العام فى الداخل أو فى الخارج ، ولذلك فإن جزءا من المهمة هو المشاركة فى تجميع الرأى العام العالمى حول أولويات قضايانا ومشكلاتنا فضلا عن تجميع رأى عام داخلى حول المهام الأساسية المطروحة .

إن هذا كله قد يبدو فى الأنساق النظرية المحددة أمرا سهلا ولكنه فى التطبيق العملى يشتمل على صعوبات وتحديات كبيرة ، ثم أن مصر فى النهاية ليست دولة عظمى ، ولكن ينبغى أن يكون واضحا فى أذهاننا جميعا ـ أنها رغم ذلك لها فى محيط واسع جدا تأثير الدولة العظمى وذلك جزء من عبقرية وضعها الاستراتيجى ودورها التاريخى .

أريد أن أرد فى هذا السياق على بعض الأراء المجانية التى نشرت بعد أحداث ١٥ مايو ١٩٧١ على لسان أشخاص كانوا بعيدين عن مركز العمل سواء فى المخابرات أو فى الدولة ، والتى حاولت أن تشكل على طريقة القصص البوليسية الرخيصة ، اتهامات مرسلة لى .

كان من بين هذه الآراء ما نشر على لسان حسن رشوان الذى كان ضمن المنتسبين إلى المخابرات والذى تبرع بالقول أننى بدأت الاتصال ببعض العناصر

الطلابية فى الخارج ، لمحاولة تجنيدها ، ولم أفهم إذا لم يكن ذلك من صميم عملى فما هى حتى علاقته بالصراع على السلطة فى الداخل ؟ .

وقد تبرع حسن رشوان بالقول أيضا - أننى قمت بزيارة بعض وحدات القوات المسلحة وقدمت هدايا لبعض الضباط بغرض تجنيدهم .. ولم أكن أتصور أن الايغال فى الكذب والايهام يمكن أن يصلا إلى هذا الحد .. لقد كنا فى مرحلة إعداد للحرب وليس طبيعيا أن يكون الإعداد للحرب شاملا جميع مرافق الدولة دون أن تشارك فيه المخابرات العامة بدور إيجابى ، كما انه لا يعقل أن يقوم كثير من المدنيين بزيارة جبهة القتال ولا يقوم وفد من المخابرات العامة بهذه الزيارة .

أذكر أننى سئلت من صلاح نصار رئيس النيابة العامة ضمن تحقيقات قضية ١٥ مايو : لماذا ذهبت إلى جبهة القتال ؟ .

وأذكر أيضا - أن ردى عليه لم يترك فرصة لإعادة السؤال أو للاقتراب منه مرة ثانية لقد قلت بالنص متسائلا بدورى :

وهل تجد غرابة فى أن يذهب رئيس المخابرات العامة لزيارة جبهة القتال وقد ذهبت لزيارتها راقصات البلد ؟ ! ...

سأتوقف قليلا عند هذه الزيارة التى شاركنى فيها كل رؤساء وحدات المخابرات ومدير مكتبى - وجميعهم أحياء - لقد قدمنا باسم العاملين فى الجهاز هديتين رمزيتين تعبيرا وتقديرا ، للجهد البطولى الذى تبذله القوات المسلحة فى إعادة بناء نفسها وكان طبيعيا أن تكون الهديتان من نصيب اللواء عبدالمنعم واصل واللواء عبدالمنعم خليل قائدى الجيشين الثالث والثانى الميدانيين بالترتيب .

ولم تستهدف الزيارة مجرد التعبير عن التقدير أو تقديم التحية فقد قامت المخابرات العامة - بناء على طلب القوات المسلحة وبترتيب مع قيادتها العامة - ورئيس المخابرات العسكرية اللواء محرز - بتصوير خط بارليف من السويس إلى بورسعيد بالتفاصيل الميدانية الدقيقة وحتى عمق عشرة كيلومترات ، وقامت المخابرات بتقديم صور هذه الأفلام إلى جميع التشكيلات الميدانية على طول المواجهة ، إضافة إلى ذلك فقد قام الجهاز بتقديم مساعدات فنية لبعض التجارب التى كان الجيش الثانى يقوم بها ، بما يتوافر لديها من أجهزة فنية دقيقة ، ويكفينى أننى تلقيت فى هذه الزيارة درعى الجيش الثانى والثالث الميدانيين وهما لايزالان يحتلان موقع الصدارة فى بيتى ويملآن نفسى بالرضا .

محاولة على سفح القمة لفرض قرار الحرب

دعيت بعد أيام قليلة - فى بداية شهر ديسمبر (١٩٧٠) إلى اجتماع لمجلس الدفاع الوطنى ، وكانت الجلسة الأولى للمجلس فى تشكيله الجديد ، أن مجلس الدفاع ينعقد برئاسة رئيس الجمهورية وبوصفه رئيس المجلس أيضا ، وكان تشكيله فى ذلك الوقت يضم حسين الشافعى وعلى صبرى نائبى رئيس الجمهورية ، وعبدالمحسن أبوالنور أمين عام الاتحاد الاشتراكى ، ومحمود فوزى رئيس الوزراء ، وشعراوى جمعه نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، ومحمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، والفريق أول محمد فوزى وزير الحربية ، وسامى شرف وزير الدولة وسكرتير الرئيس للمعلومات ، وأحمد كامل رئيس المخابرات العامة ، والفريق محمد صادق رئيس أركان القوات المسلحة ، واللواء محرز مدير المخابرات الحربية وسكرتير المجلس .

انتابتنى الحيرة حين وصلتنى الدعوة إلى الاجتماع فلم تتضمن آية موضوعات سوف نبحثها ، ولم تشتمل على أى جدول أعمال له ، ولم أعرف ماذا كان مطلوبا منى لهذا الاجتماع كرئيس للمخابرات العامة ، هل كان على أن ألقى بيانا عما هو متيسر لى من معلومات ، ولكن معلومات حول ماذا بالضبط ؟ : حول إسرائيل ، حول الموقف السياسى العام ، حول الرأى العام الداخلى ، ما المطلوب بالضبط ، وما الصورة المطلوب وضعها أمام هذا المجلس وهو أعلى مجلس لاتخاذ أخطر القرارات ؟

تطوعت بالسؤال وجاءت الإجابة أكثر غموضا ، إنه اجتماع تمهيدى ، مع ذلك فقد جمعت ماهو متيسر من معلومات لدى وحدة المعلومات .

ذهبت إلى الاجتماع منفلت الأعصاب بسبب هذا الموقف الصعب الذى وضعت فيه ، فلم يكن فى جعبتى بعد أيام من وجودى فى منصبى الجديد معلومات خاصة تساعد أحدا على اتخاذ قرار . خاصة أن الاجتماع يأتى قبيل انقضاء فترة الثلاثة شهور الأولى على وقف إطلاق النار .

لقد استمر هذا الاجتماع ساعات طويلة تخللتها ساعة واحدة للغداء ، ودارت المناقشات فيه حول موضوع على درجة عالية من الخطورة ، هو موضوع قرار

الحرب ، لكننا كنا نناقش مصير دولة فى أخطر ما تعرضت له ، وما يمكن أن تتعرض له من أحداث فى تاريخها ، بناء على آراء شخصية ، وانطباعات عامة ، لا تستند إلى أى حسابات علمية دقيقة ، بل لعلى أضيف دون أن أجترىء على أحد ، أو أظلم أحدا ، أن المجتمعين فى إطار المجلس وبصدد قضية مصيرية ، كانوا يتناقشون كأنهم فى جلسة « دردشة » عامة .

كانت جلستى إلى جوار الفريق أول محمد فوزى ووجدتنى أهمس فى أذنه فى البداية « إياك أن توافق على قرار بالقتال إلا إذا كنت جاهزا تماما » بدأنا الاستماع إلى تقرير الموقف من الخارجية ، ومن الحربية ومن الداخلية ، وحين جاء دور على صبرى فى الحديث ، فوجئت به يبدى تحمسا لقرار بدء الحرب ، على أساس أن الاتحاد السوفييتى سوف يندفع فى تعضيدنا إذا ورطناه ، وضرب مثلا بما حدث فى حرب الاستنزاف ، ثم انتقل الحديث إلى حسين الشافعى ومنه إلى على صبرى مرة ثانية ، وكان واضحا جدا أن كلا منهما يساند الآخر ، أما الفريق أول محمد فوزى فقد قال أنه خاضع لقرار القيادة السياسية ، ولو أنه ينقصه بعض الأشياء ، وجاء دورى وكنت آخر المتكلمين من الوزراء ، فقلت أننى أعلم أن الجيش تنقصه بعض الأساسيات ، وأن تقديرى للموقف بوضوح ، هو أننا لا ينبغى أن نتخذ قرار الحرب إلا بضمان أمرين : الأول استمرار تدفق الامدادات السوفييتية ، الثانى : هو أن يقرر استكمال الاستعداد العسكرى العسكريون أنفسهم ، وفوجئت بالرئيس السادات يلح على بالسؤال وبجفاء واضح : ما رأيى بالضبط ؟ هل هو مد وقف إطلاق النار أم الحرب ، قلت أننى لا أجد أحدا يوافق على وقف القتال ، إننا جميعا نوافق على بدء القتال ، ولكن على شرط أن يتحقق ما سبق أن قلته ، خاصة أن الجيش حسبما أعلم تنقصه على سبيل المثال المعدات الحديثة لفتح الثغرات وأضفت : إنه إذا تم إقرار وقف إطلاق النار فهذا يتوقف على طريقة إخراج الموضوع .

وإضافة إلى الانطباع العام الذى خرجت به بأن المناقشة لم تكن تستند إلى تقدير موقف صحيح على كل جانب ، وإنما كانت العبارة عن دردشة حول أخطر القرارات فقد كان واضحا أن هناك تعددا فى التيارات داخل المجتمعين ، وكان واضحا - أيضا - أن علاقة الرئيس بعبدالمحسن أبوالنور ليست جيدة فقد ظل الرئيس يصده ويقاطعه بقدر من الخشونة .

نزلنا من الاجتماع لتناول الغداء وكان مقعدى بين مقعدى سامى شرف وعبدالمحسن أبوالنور .

فوجئت بعبدالمحسن أبوالنور يقول : إن الفريق أول محمد فوزى أخبره بأن بدء القتال والعبور الآن سيعرضنا لخسائر رهيبة ، وذكر رقما محددا فى تقدير « فوزى » ، وفى الحقيقة فقد كان الرقم الذى ذكره مفزعا ، كنت أزداد تعجبا فوق

تعجب .. لماذا إذن الإصرار الواضح على القتال الآن إذا لم نكن قد أكملنا استعدادنا له ، وأن الظروف كلها لم تكن تتحمل مغامرة غير محسوبة ؟ .

تذكرت فى تلك اللحظات أننى أرسلت ذات يوم إلى جمال عبدالناصر رسالة قلت فيها : إن ضباط الدفاع الجوى يقولون أنهم يكلفون بعمليات انتحارية مصيرها قتلهم باستمرار ، وكان الرئيس مصمما على دفع الصواريخ إلى الخطوط الأمامية لجبهة القتال بعد الهجمات العنيفة للطيران الإسرائيلى على العمق ، بينما كان رأى محمد صادق أن صواريخ سام ٢ يجب الاستغناء عنها ، ولقد حدثت فى هذا الوقت مناقشة بينى وبين سامى شرف شرحت له فيها من واقع خبرتى كضابط دفاع جوى وصلت إلى موقع كبير معلمى مدرسة الدفاع الجوى ، كيف يمكن دفع الصواريخ إلى الأمام بالتبادل مع بعض المعلومات الفنية ، بل وأذكر أن قضية صواريخ سام ٢ ، كانت موضوع تقرير لى قدمته بعد أن استدعانى المشير عبدالحكيم عامر من أسبانيا لأكتب تقريرا حول الخطة الخاصة بها مع الخبراء السوفييت ، وقد كتبت يومها فى تقرير مطول من ٥٣ صفحة الأسباب الفنية التى رأيت فى ضوئها ضرورة اتخاذ قرار بإرجاء تنفيذ تلك الخطة ، وحين بلغ عبدالناصر ذلك اجتمع بضباط الدفاع الجوى وسألهم هل أنتم جاهزون لتنفيذ الخطة ، وقال له البعض نعم ، فناقش معهم ما كتبت فقالوا له أن هذه هى الحقيقة ، واتخذ الرئيس قرارا بإرجاء التنفيذ ، ثم بدأ يوسع اجتماعاته بضباط الدفاع الجوى حتى مستوى قادة الكتائب لكى يعرف الحقائق كلها .

أقول ذلك لأدلل على أن مثل هذه المسائل التى تتعلق بقرارات الاستعداد للحرب لا يمكن أن تخضع لآراء عامة مبنية على اجتهادات شخصية ، وإنما على حسابات عملية ودقيقة ، وحتى بالحسابات العامة فلم يكن منطقيا ـ فى تقديرى ـ والقيادة الجديدة بعد عبدالناصر لم تستقر بعد أن تبدأ عملها بقرار الحرب ، وأن تتعجل هى إصدار هذا القرار .

وأعتقد أن كثيرين غيرى كانوا يدركون ذلك بعمق ، أذكر أنه فى صباح نفس يوم اجتماع مجلس الدفاع الوطنى ، وقبل الاجتماع مباشرة ، أن حضر الى مكتبى مراد غالب سفيرنا اللامع فى موسكو وقتها ، ولقد جاء إلى ليسألنى سؤالا محددا ، هل أوافق على قرار بدء القتال .

وقلت له : إن الوقت ليس وقت عواطف ، وأن قرار ببدء القتال يحتاج إلى ضمانات بتوافر عنصرين أساسيين : أحدهما يتعلق بضمان تدفق المعدات وقطع الغيار ، وثانيهما ، يتعلق باكتمال التجهيز للعبور وفق حسابات عسكرية صحيحة .

واستمع مراد غالب إلى ماقلت ، ثم قال لى بيقين ثابت ، أنه أصبح الآن أكثر اطمئنانا ، فقد جاء أصلا ليحذرنى من التسرع فى اتخاذ مثل هذا القرار .

ولقد صدر القرار بعدها بالفعل بمد وقف إطلاق النار ثلاثة أشهر أخرى ،

وتنفست الصعداء ، وقد قال الرئيس السادات يومها : إنه انتهى إلى أن قرار الحرب قد اتخذ بالفعل وأنه لا داعى لدعوة المجلس مرة أخرى إلى الانعقاد ، إلا إذا جد جديد فى الموقف ، وأنه يأمل فى أن تنتهى الاستعدادات للمعركة فى أقرب وقت .

خرجت من الاجتماع إلى مكتبى مرهقا ومكدودا كما لم أشعر من قبل ، تدور فى رأسى عواصف مثقلة من الأفكار والاستفهامات .. أصبحت مقتنعا تماما بأن هناك صراعا على وشك أن يظهر ، وأنه قد يؤدى إلى انفجار ، لم تكن لدى دلائل مؤكدة تؤيد ذلك ، ولكن إحساسى بذلك كان طاغيا جدا ووضعنى فى حالة تلبك ذهنى .

بدأت فى مكتبى أراجع ما دونته فى مذكرتى الشخصية من واقع وثائق الاجتماع ، وأحلل المواقف والآراء والعلاقات ، كانت ملامح الصورة أكثر ازعاجا .

كان من بين ملامحها ، أن على صبرى وحسين الشافعى يحاولان أن يشكلا محورا ، وكان من بين ملامحها أن د . محمود فوزى يجيد بالفعل - فن الصمت - وعندما تكلم حرص على ألا يعطى رأيا محددا ، فقد كان كلامه عاما ، بذل جهدا فى تحليل الموقف من وجهة النظر السوفييتية والأمريكية وعرج على موقف القوات المسلحة ، ولكنه أصر فى حديثه على أنه إنما يفتح نقاطا للنقاش ، لأنه يحتاج إلى أن يفكر أكثر ، كانت مهمة رئيس الوزراء فى هذا الاجتماع أن يعبر عن الرأى العام فى الجهاز التنفيذى كله ، بصدد قضية الحرب ، ولكنه مع الأسف الشديد ، تكلم كما لو كان لايزال يمارس مهمته فى الأمم المتحدة .

وكان من بين ملامحها أن عبدالمحسن أبوالنور الذى كان ينبغى أن يعبر عن اتجاهات الرأى العام فى القاعدة الشعبية ، وفى التنظيم السياسى ، تكلم كضابط سابق فى القوات المسلحة ، وكأننا بصدد مناقشة تفاصيل معركة .

ولم يختلف حديث شعراوى جمعه الذى تكلم فى السياسات العامة ، أما محمد فوزى فقد اكتفى بالاشارة إلى النقص فى خطوط عامة ، ولكنه كان يصر دائما على أنه جندى وأنه جاهز لتنفيذ أمر القيادة فى الحال .

وكانت قسمات الصورة فى دلالتها الأخيرة لاتدعو الى الطمأنينة ، كان المفروض أن نستمع من كل مسئول تقديرات محددة عن الموقف فى اختصاصه ، حتى يمكن أن نعرف بوضوح أوجه النقص . وهذا ما لم يحدث ، كانت أكثر الأشياء وضوحا تنبىء بأن هناك تيارات مختلفة قد أخذت تتضح داخل القيادة العليا للبلاد ، وأن هناك رأيا يشكل محورا واضحا ، هدفه أن يدفع المجلس إلى اتخاذ قرار فورى بالحرب ، لقد سمعت تعبيرات من نوع أن المعركة هى الوسيلة الوحيدة لتجميع الجبهة الداخلية ، أما الحديث عن الخسائر والنتائج فلم يكن له نصيب .

كان واضحا أن هناك استهتارا لا حد له فى التجهيز لاتخاذ أخطر القرارات ،

فلم يرد ولو مرة واحدة ذكر إعداد الدولة للحرب ، بينما كان إعدادها يحتاج إلى الكثير والكثير ، ولم يرد ذكر أن مصر عبدالناصر غيرها بعده ، فكيف يمكن جمع الناس فى هذه الظروف حول هدف التحرير ، وكيف يمكن سد كثير من الثغرات والنقائص فى الداخل والتى كنت أعرفها جيدا ، بحكم عملى السابق كمحافظ ، ولكن هل كان بمقدورى أن أصحح شيئا من ذلك كله ، كيف يمكننى أن أضع أمام الجميع صورة حقيقية للموقف ؟ كنت أرى أن المخابرات وبكل الامكانات المتاحة لها قادرة على أن تحقق الهدف الذى أريده فى هذه الفترة الوجيزة .

كان من بين ما اقلقنى فى الاجتماع المذكور ، ما لاحظته على العلاقة بين الرئيس السادات وعبدالمحسن أبوالنور من توتر ، ولم تكن معلوماتى تفسر هذا الجفاء الذى اتضح فى طريقة رد الرئيس على ما طرحه عبدالمحسن أبوالنور فى الاجتماع ، ذلك أن محمد دكرورى - مدير مكتب الرئيس السابق - كان دائم الاتصال بى وكان بيننا رصيد كبير من الثقة والاطمئنان المشترك ، وكان من بين ما أكده لى أن الرئيس يعتمد على عبدالمحسن أبوالنور وأنه موضع ثقته بشكل متميز .

كنت أعرف أن ما بين الرئيس ومحمد دكرورى ثقة أكبر وانفتاح أوسع ، فقد كان دكرورى يصارح الرئيس بكل شىء ، ولكنه بعد عن الرئيس بعد وفاة عبدالناصر ، وكان قد قابله قبيل الاستفتاء على رئاسة الجمهورية ، وشرح لى ما دار بينهما ، وأنه لم يخف على الرئيس أن هناك نقاطا ثلاثا ينبغى أن يضعها فى اعتباره وهو يبدأ مهمته الجديدة فى موقع المسئولية الأولى فى الدولة ، فى مقدمة هذه النقاط ما يتعلق بأسرته وتدخلها ووضع أخوة الرئيس ، وكنت أثق فى أمانة محمد دكرورى وفى شرفه وشجاعته ، وأنه قرين للرئيس لدرجة أن يناقش معه كل شىء دون تحفظ ولهذا ظللت أرجوه وألح عليه فى أن يذهب للقاء الرئيس وأن يبقى إلى جواره لأنه قد أصبح بمفرده تقريبا ، ولكنه كان دائم الرفض لأن الرئيس لم يستدعه ، وأن كرامته تمنعه من أن يذهب بنفسه ، أو أن يعرض نفسه .

وعلى طول ما ناقشت محمد دكرورى فى ذلك وألححت عليه ، بأن يلتمس تجاوزا لأى مشاعر شخصية لأن الوطن فى محنة ، ولأنه سيكون مفيدا جدا وهو إلى جوار الرئيس ، على طول إصراره على ألا يذهب إلى الرئيس إلا إذا قام الرئيس بطلبه .

ولم تنقطع صلتى مع ذلك بمحمد دكرورى الذى كان دائم الاتصال بى ودائم الحضور إلى مكتبى أحيانا بمفرده وأحيانا مع محمد عثمان ومع أحمد عبدالآخر ، وكنت أتعامل مع كل ما ينقلونه لى على أنه الصدق ، ولكننى أخضعت بعض ما نقل لى إلى وحدة الأمن القومى للتحقق منه واكتشفت بعدها أن بعضه كان حقيقيا أما بعضه الآخر فكان يعبر عن آرائهم الشخصية .

المهم أننى بعد فترة من المقابلات والمناقشات ، أحسست بتيار جديد يتشكل ، وكان أبعد ما يكون عن ذهنى أو ذهن غيرى من المسئولين ، كما أنه كان مؤشرا

إلى أن التشقق سيعم كل أرضية المسرح .

روعت حين اكتشفت أن هناك تيارين يتواجهان لأول مرة ، وكأننا كنا نبحث عن انقسامات أو مواجهات جديدة ونلح فى طلبها ، كان التيار الأول هو تيار بحرى أو الوجه البحرى ، وكان الثانى بالضرورة هو تيار قبلى أو الصعيد .

مشكلة جديدة تطفو على السطح كنت أراها بالغة الخطورة ، فقد كانوا يقولون أن جميع المحافظين ينتسبون الى محافظات الوجه البحرى وكذلك جميع الوزراء ، وليس هناك ممثلون فى قيادات الجهاز التنفيذى كله لمصر العليا أو الصعيد .

وسألتهم فى أوج المناقشة حول الموضوع : لماذا لم تظهر هذه المشكلة قبل وفاة جمال عبدالناصر ، وكانت إجابتهم أنه كان يكفى الصعيد قبل أن يكفيهم أن الرئيس عبدالناصر صعيدى ، ومع أنهم نقلوا المشكلة لى على أنها رأى الصعيد كله ، إلا أننى تحققت بعد ذلك من أنها مجرد رأى شخصى لهم .

تواصل عملى ، وكنت - حسب تعليمات الرئيس - أرفع تقاريرى باستمرار إلى مكتبه حيث يتم تسليمها إلى السيد سامى شرف ، ولكن بعض التقارير التى كانت تحتاج الى توجيه الرئيس كانت ترد إلى دون أن أجد ردا له عليها ، واضطررت إلى أن أرفع المذكرة الواحدة أكثر من مرة حتى يأتى رد الرئيس عليها فى النهاية ، وحين بحثت عن سبب ذلك ، لم يكن ثمة مدعاة للدهشة . فقد أكد لى دكرورى أن الرئيس لا يطلع على البريد جميعه ، وقد أفهمنى أنه لذلك أثناء عمله مع الرئيس كان يقوم بفرز الموضوعات التى تحتاج الى بت سريع ويقوم بعرضها عليه ، وأنه كان يلح عليه كثيرا فى قراءتها ، وفى اتخاذ قرار بشأنها كما كان يتحين الفرصة ليعرض عليه كثيرا من الموضوعات فى السيارة ، سواء وهو فى الطريق إلى منزله بالهرم ، أو أثناء قيامه برحلة طويلة ، المهم أن محمد دكرورى كان يكيف نفسه مع ظروف الرئيس ، ومع استعداده الشخصى ، لكى يحصل فى النهاية على قرار فى الموضوعات التى تحتاج إلى بت عاجل .

كان يفترض أن يكون هذا واجب سامى شرف وهو وزير شئون رئاسة الجمهورية ، ولكن سامى لم يعد متفرغا لعمله كما كان من قبل مع عبدالناصر كسكرتير للمعلومات لا يغادر مكتبه ، أما مع منصبه الوزارى الجديد فقد استهلكت وقته أو استهلكه فى لجان الوزارة واجتماعات الرئيس الكثيرة .

أصبحت مهمتى أكثر صعوبة ، فقد كان سامى هو الجسر الذى حدده الرئيس لعبور كل شىء من ناحيتى إليه ، ومن ناحيته إلى ، ولذلك عادت كثير من المذكرات إلى دون رد عليها من الرئيس رغم الأهمية القصوى للموضوعات التى كانت تتناولها .

ورغم الحاحى فى لقاء الرئيس لمناقشة القضايا المعلقة ، وبناء اسلوب جديد للعمل ، فقد ظللت أنتظر لقاء لم يقدر له أن يتم أبدا .

الصورة فى عمق المسرح
السياسى بعد رحيل عبدالناصر

إذا استخدمت التعبيرات المسرحية ، لقلت أن الذروة الميلودرامية لما حدث فى ١٥ مايو كانت تبدو ذروة طبيعية ، وحتمية بتتابع المشاهد التى قادت إليها فى عمق المسرح ، حتى وأن بدت انفجارا مفاجئا ، يفتقر إلى الحبكة الدرامية بحكم ما كان يبدو على مقدمته .

إن ما كان يحدث فى عمق المسرح السياسى المصرى ، بعد رحيل جمال عبدالناصر يختلف كثيرا عن ترتيبات الصور والمشاهد التى كانت تجرى أمام المتفرجين الشاخصين الى مقدمة الخشبة ، وباختصار فإن هذه الذروة الميلودرامية كانت نتاج شهر عسل ولد سفاحا بعد الرحيل الفاجع لجمال عبدالناصر .

كان حضور عبدالناصر على مسرح السياسة المصرية قويا - انه المؤلف والمخرج وبطل العرض الأول والأخير ، وكانت سطوة هذا الحضور القوى ترتب لكل الواقفين على خشبة المسرح أدوارهم ، واقترابهم من المقدمة أو انسحابهم إلى المؤخرة أو اختفائهم المؤقت أو الطويل فى الكواليس ، أو حتى خروجهم الى مقاعد المتفرجين ، ولم يكن بمقدور أحد - من الذين يلعبون الأدوار الكبيرة ، أو يؤدون حركات الكومبارس على السواء - أن يعترض أو يتمرد ، أو يخرج على النص أو حبكة العرض . وبغياب المؤلف والمخرج والبطل اختلطت الأدوار وتداخلت المواقف ، واختفت المساحة بين المقدمة والمؤخرة ، وبين ما هو رئيسى وما هو ثانوى ، وبدت المشاهد فوق خشبة المسرح ، وكأنها جزء من مسرحية عبثية ارتجالية .

لقد قلت أن تفسير ما حدث لن يبدو منطقيا ، إلا بالعودة إلى الصور والمشاهد التى كانت تختفى فى عمق المسرح ، لا على حافته الأمامية ، ولذلك سأحاول أن أقترب أكثر من هذا العمق لا مسك بجانب من الخيوط الخفية التى كانت تحرك الأحداث وتدفعها إلى نهايتها العاصفة .

كان مرض عبدالناصر الذى اشتد عليه فى عامه الأخير ، يبدو بمثابة انذار واضح ، ولذلك اتخذ عبدالناصر قراره بتعيين السيد أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية ، على الرغم من شائعات كثيرة عن عودة عبداللطيف البغدادى رئيسا

للوزراء انطلقت من لقاءات مكثفة كانت تتم بين عبدالناصر والبغدادى فى هذه الفترة ، ولقد اختفت هذه الشائعات بعد تعيين أنور السادات ، ولكنها عادت ووجدت تعبيرا عنها فى قصة الخبر الذى تساءل عبدالناصر وهو يحتضر عن عدم اذاعته فى نشرة الساعة الخامسة ، والذى كان ينتظره قبل أن تصعد روحه إلى بارئها .

ولقد برز وضع أنور السادات قبل ذلك بشهور قليلة ، خاصة بعد تنحية على صبرى من أمانة اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى ، والتى تولاها أنور السادات ، وبعد تعيين السيد أنور السادات أمينا للعمل السياسى بدأ حركته ، حيث كنت أيامها محافظا للاسكندرية ، وكان - كما قلت - دائب الاتصال بى ، كما كانت لقاءاتنا مفتوحة وواضحة ، ولقد قفز إلى جوار أنور السادات فى ذلك الوقت كمدير لمكتبه شاب طموح ، والغريب أن هذا الشاب كان يعمل قبل ذلك مع على صبرى نفسه وقبلها عمل مع سامى شرف ، هذا الشاب هو محمد دكرورى ، لقد بدأ محمد دكرورى حياته ضابطا بالمباحث العامة ، ثم انتقل للعمل فى مكتب سامى شرف ، ثم عمل مديرا لمكتب وزير سورى فى عهد الوحدة ، ثم سافر إلى أمريكا وحصل على الدكتوراه .

كان محمد دكرورى يعمل باخلاص شديد مع أنور السادات ، وكان يعد له كل شىء بكفاءة ممتازة ، ولقد كان فى الوقت نفسه صديقا حميما لشقيق سامى شرف ، (عزالدين شرف) الذى كان يعمل ضابطا بالبوليس ، ولقد علق عزالدين شرف يوما على عمل محمد دكرورى مع أنور السادات بأنهم ماكانوا يحبون له أن يرتبط اسمه باسم السادات ، بل أذكر أننى عندما كنت أتحدث مع سامى شرف فى هذا الوقت ويتطرق الحديث إلى المؤتمرات التى يعقدها أنور السادات بوصفه نائبا للرئيس ، كنت افهم من حديث سامى شرف أن بعض ما يقوله أنور السادات فى هذه المؤتمرات هو رأيه الشخصى ، وأن الرئيس عبدالناصر كان يناقش أنور السادات ، عندما يطرح آراء لا تعبر عن تصوره وأن السادات كان يدفع ذلك بأنه لا يشغل منصبا تنفيذيا وبالتالى فلا ضرر من التنصل منها سياسيا ، ولم تخل تعليقات سامى شرف معى عن هذه المؤتمرات من حس تهكمى واضح .

ورغم الحركة الواسعة لأنور السادات فى هذا الوقت ، فإن الرئيس عبدالناصر لم يضمه للتنظيم الطليعى ، وقبل أن أعرف ذلك ، فقد اختلط الأمر على كثيرا وأنا أتحدث مع أنور السادات عن التنظيم ، فأفاجأ بأنه يتصور أننى أقصد الاتحاد الاشتراكى .

خلال سفريات جمال عبدالناصر فى العام الأخير ، كان يكلف مجموعة من الأشخاص بممارسة العمل اليومى القيادى فى الدولة بشكل جماعى ، وكانت هذه المجموعة تتكون من ثلاثة أشخاص : أنور السادات ، وسامى شرف ، وشعراوى جمعه ، حتى أنه وفق معلوماتى فإنهم كانوا يتحدثون معه ثلاثتهم تليفونيا فى وقت واحد .

وهكذا بدأ حضور السادات يصبح واضحا ، وإلى جواره مدير مكتبه محمد دكرورى الذى كان يشغل فى الوقت نفسه موقع أمين محافظة المنيا ، وعضو مجلس الشعب ، وعميدا لمعهد التجارة الخارجية ، ولذلك اعتمد محمد دكرورى على مجموعات الصعيد فى مجلس الشعب أو على أمناء الوجه القبلى وفى مقدمتهم أحمد عبدالآخر أمين سوهاج ، ومحمد عثمان أمين أسيوط .

وأصبح مكتب أنور السادات فى الاتحاد الاشتراكى مكتظا بالحركة ، وتبدو على حركته سيماء النجاح .

وبدأت ملامح صراع بسيط ، تبدو بين محمد دكرورى وسامى شرف ، فى الوقت الذى كان فيه أنور السادات يدرك جيدا نفوذ سامى شرف وشعراوى جمعه لدى الرئيس عبدالناصر ، ولكنه كان يؤجل الصدام معهما ، بل ويحاول أن يتجنبه .

كان شعراوى جمعه فى هذه الفترة مكتظا بأعباء أعمال مطولة يحتاج كل منها وحده إلى تفرغ كامل ، لقد كان وزيرا للداخلية وأمينا لتنظيم الاتحاد الاشتراكى بدلا من على صبرى ، وأمينا للتنظيم الطليعى أيضا ، ولقد أدت مسئوليات هذه المناصب المتعددة ، إلى ارتباك فى أداء شعراوى جمعه ، خصوصا مع اعتماده على عدد من الذين مارسوا العمل معه فى السويس ، وهو ما أدى أيضا إلى أن يفقد عددا من الذين أحبوه ووجدوا فيه صورة مشرقة للأمل بما مثله من فكر متقدم وأداء تنفيذى ناضج ، خاصة بعد تجربته الناجحة كمحافظ لمدينة السويس .

كان محمد دكرورى فى هذا الوقت على علاقة وطيدة بى ، وكان كثيرا ما يشاركنى فى تطورات ونجاحات العمل الخاصة بالسادات ، وكنت أحذره من الاندفاع فى العمل حتى لا يثير ذلك حفيظة سامى شرف بالذات ، وقد حدث ما توقعته وأثيرت بعض الخلافات والمشادات ، ولكن كان لحكمة السادات طريق دائم فى التغلب عليها .

وعندما كنت لدى سامى شرف ذات يوم ، وجدته فى حالة غضب عارم على محمد دكرورى لأنه ـ كما قال ـ جعل سكرتيره يتصل بسامى شرف محددا موعدا ، وقال سامى لى معلقا « لقد كبر جدا » ولكنه أصر على أن يرد له الصفعة فى وجودى ، فقد حضر الى مكتبه للقائه ولكنه رفض أن يستقبله .

لم يكن وجود أنور السادات بهذا الشكل الجديد محل رضا من الآخرين ، ولم تتوقف محاولات تحجيمه أو وقف نمو دوره ، وأذكر قبل سفر الرئيس عبدالناصر الأخير الى الاتحاد السوفييتى ، وكنت محافظا للاسكندرية أن انفجرت فى المحافظة مشكلة وجود عدوى بالكوليرا وصباح يوم سفر الرئيس عقد اجتماع برئاسة السادات وبحضور الآخرين لمناقشة المشكلة بناء على تعليمات من عبدالناصر ، وشرحت فى هذا الاجتماع الموضوع كله بتفاصيله ، واقترح أنور السادات إصدار قرار باعطائى سلطات الحاكم العسكرى لمواجهة الوباء الذى

يهدد المصيف كله ، كما وافق على غيره من الاقتراحات التي طالبت بأن يصدر بشأنها قرارات ملزمة ، ولكن هذه القرارات لم يصدر بشأنها قرار تنفيذى لأن الأوامر أعطيت لسامى وشعراوى .

وعندما عقد فى الأسبوع التالى مؤتمر للجنة التنفيذية العليا ، حضرت بصفتى محافظا لمتابعة الموقف ، وقلت منفعلا بأن قرارات الجلسة السابقة لم تتحول إلى اجراءات تنفيذية ولم يتم اصدارها ، واحتوى أنور السادات الموقف بهدوء شديد وقال : إنه ليس ثمة مشكلة فى ذلك ، وأن على أن أعتبر أوامره الشفوية بمثابة قرارات مكتوبة ملزمة ، وأن أتصرف على هذا الأساس .

فى وسط هذا المناخ رحل عبدالناصر ، كان الوضع الدستورى ينص على أن يتولى السيد أنور السادات رئاسة الجمهورية ، ورئاسة لجنة انتخاب رئيس جمهورية جديد ، خلال شهرين اثنين . كان أنور السادات هو من بقى من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الحكم إلى جوار السيد حسين الشافعى .

وكان أعضاء المجلس الباقون على قيد الحياة خارج الحكم أربعة هم عبداللطيف البغدادى وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين .

لقد كان أنور السادات يتحرك حركة واسعة فى شكل لقاءات شعبية ، بتعليمات من جمال عبدالناصر ، أما السيد حسين الشافعى فقد كان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا يحضر اجتماعاتها وينتهى دوره خارج هذه الاجتماعات ، ولقد أصابت المسئوليات التى وضعها جمال عبدالناصر على عاتق أنور السادات فى هذه الفترة السيد حسين الشافعى بالحنق الشديد ، وأراد أن يوصل احساسه الى جمال عبدالناصر بأقصر الطرق فاستدعى سامى شرف الى مكتبه وقال له : « إن الرئيس عبدالناصر لم يعد يعطى الناس أقدارها واستحقاقاتها ، وان من حوله للأسف يؤثرون عليه » .

كان حسين الشافعى يدرك أن سامى شرف لن يحتفظ برسالته لنفسه ، وأنه سينقلها بنصها إلى جمال عبدالناصر خلال دقائق حتى لو قيلت له فى معرض حديث يبدو عابرا ، أو تعبيرا عن ضيق مؤقت .

ولقد نقل سامى شرف فى مساء اليوم نفسه وفى أعقاب اللقاء نص ما قاله حسين الشافعى ، وكانت النتيجة أن جمال عبدالناصر قرر أن يرد على الرسالة عمليا بتعيين أنور السادات نائبا له ، وأن السادات حلف اليمين فى الصباح الباكر قبيل مغادرة عبدالناصر الى موسكو ، بل والأغرب من ذلك أن قرار تعيين أنور السادات نائبا للرئيس كان قد وقع فى الصباح الباكر وقبل أن يحلف نائب الرئيس اليمين القانونية بالفعل .

بعد وفاة عبدالناصر مباشرة ، تحرك حسين الشافعى بدوره وأرسل رسولا هو أخوه إلى محمد المصرى حتى يبلغ سامى شرف وشعراوى جمعه رسالة محددة ،

أنه يبدى استعداده لأن يصبح رئيسا للجمهورية ، ويتعهد بأن تسير كل الأمور كما يريدان بالضبط ، وفيما أعرف فقد قام سامى وشعراوى بإبلاغ أنور السادات بالواقعة والرسالة .

لكن المناورات لم تتوقف ، فقد فوجىء الجميع بنشر محمد حسنين هيكل لنعى زكريا محيى الدين لجمال عبدالناصر فى الأهرام وكان صدى هذا النص فى القوات المسلحة قويا للغاية ، حتى أننى أستطيع أن أقول ، من موقع الرؤية القريبة ، أن الجيش تبنى فى هذا التوقيت مسألة ترشيح زكريا محيى الدين لموقع رئيس الجمهورية ، وتحول الأمر داخل القوات المسلحة الى اتجاه عام ، ولعلى أضيف أن المخابرات العسكرية فى هذا التوقيت وتحت تأثير هذا الاحساس قامت باجراء استطلاع للرأى فى صفوف القوات المسلحة وكانت نتيجة الاستطلاع لصالح زكريا محيى الدين .

وكان الجيش من أكثر العناصر تأثيرا فى الموقف بالطبع ، ومع أن هيكل نفى بعد ذلك علاقته بنشر نعى زكريا محيى الدين بعد تأثيره المدوى والصقه بممدوح طه ، على أساس أنه كان على سفر إلا أن المسألة أصبحت أكثر تعقيدا بل أستطيع أن أؤكد أيضا أن عددا من كبار ضباط القوات المسلحة فى أوج هذه الأزمة ، طلبوا من الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة ، أن يتحرك للاستيلاء على السلطة ، تخليصا للبلاد من بلبلة وأزمة لا تحتملها الظروف ولا تتحملها التحديات .

وتحرك أنور السادات بسرعة ومهارة ، ففتح جسوره على اتساعها مع شعراوى جمعه وسامى شرف ، ولقد كان سامى وشعراوى وأمين هويدى ومحمد فوزى هم الذين أنيطت بهم فى عام مرض جمال عبدالناصر مسئولية تسيير أمور الدولة ، لكن القرار فى النهاية كان ملكا خالصا لجمال عبدالناصر .

وتحرك شعراوى جمعه مستجيبا ، ومؤيدا ، فبدأ التنظيم الطليعى ينشر فكرة ترشيح أنور السادات رئيسا للجمهورية وسط مقاومة واضحة ، وتم الترشيح بضغط شديد من التنظيم وقيادته ، أما فى داخل القوات المسلحة فقد قام الفريق أول محمد فوزى بجهد كبير لاقناع قيادات الجيش ، وكان نجاحه فى ذلك مرتبطا بمدى التقدير والاحترام والثقة التى يحظى بها كقائد عسكرى فى صفوف القوات المسلحة .

ومع أول تغيير وزارى حقق أنور السادات لسامى وشعراوى جميع طلباتهما ، فقد عاد محمد فائق الى وزارة الاعلام وعاد حلمى السعيد الى الوزارة وزيرا للكهرباء ، وعين سعد زايد وزيرا للاسكان ، ولم يعيدوا أمين هويدى الى المخابرات التى تسلمت مسئوليتها ، وكان حجتهم فى ذلك أنه ليس من الممكن أن يعيدوا من أخرجه جمال عبدالناصر مع أن ذلك بنصه كان ينطبق على إعادة محمد فائق وحلمى السعيد .

وبدأ التنظيم الطليعى الذى لم يكن أنور السادات عضوا فيه يفكر فيمن سيكون رئيسه خلفا لجمال عبدالناصر ، ورفض ترشيح السادات للموقع وفضل شعراوى أن يبقى هو على رأس التنظيم ، وكانت الظاهرة الواضحة وسط ذلك كله هى حالة التضامن والتوافق الكامل بين شعراوى جمعه وسامى شرف ، حد الالتصاق ، فقد كانا لايفترقان عن بعضهما وكانا محط تركيز أنظار الصحافة ، خاصة الأهرام .

سوف أسمح لنفسى أن أؤكد مادمنا نتحدث فى خلفية المسرح ـ أن محمد حسنين هيكل قد لعب أخطر الأدوار وأبدعها فى هذه الظروف ، أقول ذلك دون دخول فى التفاصيل ـ بحكم ما توافر لى من معلومات فى رئاسة المخابرات العامة .

وبعيدا عن التفسير السياسى أو غيره فاننى أجزم أنه مارس بعمق دورا فى تعميق جميع الفجوات بين الأطراف المختلفة .

لقد كان هيكل يكتب خطب جمال عبدالناصر ومن بعده خطب أنور السادات ، وكان جمال عبدالناصر وكذلك السادات من بعده ، يمضيان الساعات الطويلة فى الحديث مع هيكل فى التليفون ، وكما أعلم فقد كان هيكل مستمعا أكثر منه متحدثا ، كان يعلق على ما يسمع بخبر جديد ، أو بقصة قديمة ذات دلالة ، أو برأى ينسب لغيره وفى كل الأحوال فقد كان يوحى بما يريد ويعمق اتجاهه بشكل هادىء ومؤثر وغير مباشر .

كانت علاقة السادات بهيكل قد أصبحت متينة للغاية ، حتى أن أنور السادات نقل إلى برجس المشرف على المصالح الأمريكية فى مصر أن عليه أن يتصل بهيكل إذا أراد منه شيئا ، بل أن هيكل هو الذى كان يتولى أحيانا تحديد لقاءات برجس مع السادات فى غيبة عن الخارجية ، فقد كان السادات يضيق بمعارضة وزير الخارجية محمود رياض ، وكان واضحا أن هيكل أصبح ذا تأثير طاغ على الرئيس ، سوف أذكر واقعة تبين ذلك .. ففى يوم ١٠/٥/١٩٧١ ألقى الرئيس أنور السادات ووزير الخارجة محمود رياض خطابين أمام مجلس الشعب ، كان خطاب الرئيس هجوما واضحا على أمريكا ، وكان خطاب وزير الخارجية اعلانا باليأس من أى أمل فى أمريكا أو دور أمريكى . ولقد سمعت مذهولا إلى حديث جرى بين هيكل وبين الرئيس السادات فى أعقاب الخطابين إذ طلب هيكل من الرئيس أن يتصل فورا بوزير الاعلام محمد فائق ويطلب منه وقف إذاعة أو نشر الخطابين لأنهما سيزيدان الموقف حرجا وتعقيدا مع الأمريكان ، وبالفعل أصدر السادات قرارا فوريا بمنع اذاعة أو نشر خطاب رئيس الجمهورية أمام المجلس أو، خطاب وزير خارجيته .

لقد أحس شعراوى جمعه وسامى شرف فى هذا الوقت بمدى تأثير هيكل على الرئيس السادات فسعيا إلى توطيد علاقتهما معه وأظنه كان سعيا مشتركا من الجانبين ، فقد كان هيكل يعرف أيضا مدى نفوذهما الواضح ، ولدى ما يؤكد أن

هيكل لم يكن يحب سامى شرف وأن كان هذا لم يمنعه من استثماره ، لكننى كنت أرى أنه يميل الى شعراوى جمعه وحتى عندما وصلت الأزمة الى ذروتها كان يقول للرئيس السادات : أنه لا يهمه أحد منهم جميعا سوى شعراوى .

استطاع هيكل بحنكة عالية ، أن يجمع نهايات الخيوط كلها فى يده : رئيس الجمهورية ، رئيس الوزراء ، سيد مرعى ، عزيز صدقى ، شعراوى جمعه ، سامى شرف ، وعندما بدأ قلقه يزداد ، دعم علاقته بشعراوى جمعه واستطاع شعراوى أن يقنعه بأن رئيس الوزراء محمود فوزى ليس هو الرجل المناسب لشغل هذا المنصب فى هذا الوقت بالذات ، وأبدى هيكل اقتناعه لشعراوى إلى حد أنه تكلم معه فى أن يتولى هو - أى شعراوى - رئاسة الوزارة ، وقد نقل ذلك الى الرئيس السادات بالفعل ، ولكن الأزمة كانت قد وصلت إلى ذروتها .

لكن المدهش فى ذلك كله ، أن هيكل كان يعرف من التفاصيل مالا يتوافر لغيره ، كان يعرف تفاصيل ما دار فى اللجنة التنفيذية العليا وكان يعرف نية أنور السادات للاطاحة بعلى صبرى وبضياء داود ، باختصار شديد فإننى كنت أرى من موقعى فى رئاسة المخابرات العامة أن هيكل كان يملك أمضى الأسلحة لتعميق الفجوات بين كل الأطراف ، وأنه مارس ذلك بدأب وذكاء .

على حافة الزنزانة
فى السجن الحربى

لقد شكلت لى بعض التقارير عن بعض المسئولين ، هما داخليا يوميا وصبت فى أيامى مذاقا بالغ المرارة ، فقد تعرت أمامى أساليب فى الحكم لم أكن أعرفها ، وأشخاص كنت أراهم من الخارج بألوانهم الزاهية ، فلما رأيت ما تحت الثياب أصابنى الفزع واعترف بأننى فكرت جادا فى الاستقالة لوقف هذا الهم وهذه المرارة ، كنت أريد أن أهرب بنفسى خارج اللعبة كلها ، فلم أعد أحتمل وضعى المحشور فى التناقض بين مظاهر بعض الذين يمارسون لعبة الحكم وبين حقائبهم الداخلية ، ولم أجد أحدا فى البداية أكتمه سرى ورغبتى سوى زوجتى التى كانت تثنينى دائما كلما زاد هذا الهاجس فى داخلى وتذكرنى بأننى جندى ليس من حقه أن يفكر فى أن يغادر ميدان المعركة ، ثم صارحت ـ بعد أن زادت الضغوط فوق كاهلى ـ الأخ الصديق أحمد حمروش ، ولو أننى لم أكشف له عما أرى وإنما قلت له أننى أرى صراعا شديدا على الحكم وأن ذلك يشكل ضغطا عصبيا ونفسيا على لا أحتمله ، لكنه احتوى قلقى بهدوئه وألح ناصحا ألا أستقيل ، وحين التقيت به بعد أن أنتهت المسرحية كلها ، بفاصل السجن الأخير فيها وجدته يندفع نحوى قائلا : صدقنى لو كنت أعلم كل ذلك لشجعتك على الاستقالة من وقتها .

المهم أننى كنت أغالب ضيقا داخليا متزايدا ، وكنت أشعر فى الوقت نفسه أننا نعيش فصلا هاما فى التاريخ المصرى ـ وأنه ليس من حقى أن أتخذ قرارا بإعدام أعماق صورة هذه المرحلة برجالها وصراعاتها وضجيجها ، وأنها ينبغى أن تظل محفوظة حتى يرى من يأتون من بعدنا كيف كانت تدار الدولة .

من يتصور ـ إذن ـ أن قرارى الخاص بالتحفظ على هذه التقارير ، هو الذى أعطى الرئيس السادات سلاحه الذى استخدمه بعد ذلك فى محاولة إقامة أركان قضية ١٥ مايو ، ويبدو أن القدر أوحى لى بهذا القرار حتى أوفر للسادات سلاحه الذى استخدمه فيما استخدمه ضدى .

لقد تحدثت عن الأسباب العميقة للخلاف بين المجموعة وبين الرئيس فى فصل سابق ، وعن سعيها للاستحواذ على القرار من خلاله ، ولكن الرئيس السادات كان يتصرف فى الفترة الأخيرة بمنطق من يريد أن يؤكد لنفسه قبل غيره أن القرار معلق بإرادته المستقلة .

وقد تكون بعض التصرفات من حوله محفزة على ذلك لكن من المؤكد أيضا أنه كان يحفر مجرى سياسيا خاصا ، ويحاول أن يعبر طريقا مختلفا .

كانت أول كلمات قالها الرئيس السادات فى أول اجتماع لمجلس الدفاع الوطنى فى أعقاب أول زيارة سرية له الى الاتحاد السوفييتى أنه لا يحب العمل طوال النهار ، كما كان يفعل جمال عبدالناصر ، ولا يحب أن يصبح الليل امتدادا لأعباء عمل النهار ، الذى ينبغى أن ينتهى فى الثانية ظهرا قبل أن يضيف أمام كبار المسئولين فى أجهزة الدولة ، أريد تقارير مركزة وينبغى ألا يزيد التقرير مهما تكن القضية أو الموضوع على صفحة واحدة .

وعندما طالت المناقشات فى هذا الاجتماع المشترك بين مجلس الدفاع الوطنى وبين اللجنة التنفيذية العليا ، قال د . محمود فوزى رئيس الوزراء : « يجب أن ترفع الجلسة لنؤدى واجب البطون » .

وعلق الرئيس السادات قائلا : لننهى الجلسة ونستأنفها بعد الظهر ولكننى آسف فليس فى المنزل ما أستطيع أن أقدمه لكم للغداء .

لكن سامى شرف قطع الحديث قائلا : لقد أعددت الغداء بالفعل ، وكانت مفاجأة للسادات نفسه ، وأظنه رأى فيها مظهرا من مظاهر السيطرة ، لا المساعدة .

والحقيقة أن كلام الرئيس السادات فى اجتماع مجلس الأمن القومى عن التقارير المكثفة ، والعمل بأسلوب الموظفين فى الدولة لم يكن جديدا ، فلقد كان السادات ـ كما أسر إلى كثيرا وطويلا ـ يعرف الكثير فى وجود جمال عبدالناصر ، ويعانى الكثير ، ولكنه كان قادرا دائما على أن يتجنب الصدام ، وكان يفسر ذلك عندما أبدو أو يبدو غيرى مدهوشا من موقفه ، بأنه كافح كثيرا وتعب كثيرا وعاش قبل الثورة أياما سوداء ، وأن من حقه أن يعيش حياته ويعوض أيامه عما فاتها .

فى أعقاب اجتماع مجلس الدفاع الوطنى ، قدم السادات أمام مجلس الشعب فى خطاب رسمى ، مبادرته السلمية لفتح قناة السويس ، وقد فوجئت جميع القيادات السياسية قبيل القاء الخطاب بدقائق بما سوف يعلنه ، ولم يكن أحد من رئيس الوزراء إلى وزير الخارجية فى الجهاز التنفيذى ، ومن أعضاء اللجنة التنفيذية العليا إلى أعضاء اللجنة المركزية فى الجهاز السياسى ، قد علم بمبادرة الرئيس فضلا عن مناقشتها أو ابداء الرأى فيها ، وأعلنت المبادرة وظلت فى غموضها حتى صححها محمد حسنين هيكل عندما قام بنشرها ، وكانت تلك هى أول أزمة غير مكتومة ، ثم بدأت الأزمات من بعدها تترى .

وكانت أكثرها وضوحا ، هى أزمة الوحدة الثلاثية بين مصر وليبيا والسودان ، لقد عقدت جلسات مباحثات الوحدة فى القاهرة وضمت الرؤساء السادات ونميرى والقذافى ، ومن المؤكد أن السودان وليبيا يشكلان عمقا استراتيجيا لمصر ، وقد شكلا هذا العمق عمليا لقواتنا المسلحة فى أعقاب هزيمة يونيه ١٩٦٧ دون وجود

إعلان شكل وحدوى ، كان الرئيس السادات متحمسا لاعلان الوحدة الثلاثية فورا ، وكان الآخرون يضغطون على بعض دروس الوحدة المصرية السورية عام ١٩٦١ التى تستوجب التمهل والدراسة والتدرج ، حتى لا تصاب فكرة الوحدة نفسها بانتكاس تاريخى جديد .

وعندما انتهت جلسات مباحثات الوحدة الثلاثية فى القاهرة ، عانت أجهزة الدولة من مأزق غريب ، فقد اختفى رئيس الدولة فجأة دون أن يتمكن أحد من العثور عليه ، أو معرفة مكانه ، لمدة ساعتين كاملتين ظهر بعدهما فى مكان كان آخر التوقعات أو البحث .

كان من مسئوليات المخابرات العامة المحددة بقانون انشائها الحفاظ على أمن رئيس الجمهورية فى جميع تحركاته وما يتطلبه ذلك من توفير الحراسة ، والأمن الشخصى ، وكان هذا واجبا معمولا به خلال فترة حكم الرئيس عبدالناصر ، لكن الرئيس السادات قرر فى بداية حكمه أن يضع هذا الواجب على عاتق الحرس الجمهورى وأفراد الحراسة الخاصة للرئيس .

بعد انهاء الرؤساء الثلاثة مباحثاتهم ، خرج الرئيس السادات لتوديع الرئيس معمر القذافى الذى كان عائدا إلى ليبيا .

بعد وقت قصير اتصل بى محمد سعيد سكرتير سامى شرف وسألنى : أين الرئيس ؟ دهشت من سؤاله ، وقلت أننى أعرف أنه خرج لتوديع الرئيس القذافى .

أضاف محمد سعيد : أننا فى الرئاسة لا نعرف مكانه ، فقد غادر فندق الشيراتون حيث كانت تجرى الاجتماعات دون أن يعلم أحد إلى أين ذهب بالضبط .

ثم تعددت دائرة الأسئلة والبحث : سألنا فى منزل الرئيس ، سألنا فى مطار القاهرة ، سألنا فى كل مكان يحتمل أن الرئيس قد ذهب إليه ، أو يمكن أن يذهب اليه ، وكانت النتيجة لا أحد يعرف مكان الرئيس ، وبقيت الدولة بأجهزتها المختلفة ، تحاول العثور على الرئيس أو تحديد مكانه دون جدوى .. ثم فوجئنا بعد ساعتين باعلان رسمى فى طرابلس عن وصول الرئيس السادات مستقلا نفس الطائرة مع الرئيس القذافى ، وهكذا بقيت الدولة هذه المدة لا تعرف مكان رئيسها حتى ظهر فى دولة أخرى .

يضاف إلى ذلك كله ـ تعبيرا عن اتجاه الرئيس السادات للاستحواذ على القرار وحده ، ونيته لفتح طريق سياسى جديد ـ أنه واصل تعميق قناة خلفية للحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية .

كان الحوار ضروريا بالطبع ، ولكنه كان يتم خارج أجهزة الدولة المختلفة وفى مقدمتها وزارة الخارجية ، وكنت أعلم بحكم موقعى جانبا من طبيعة هذا الحوار ،

بل إن المخابرات المركزية الأمريكية هي التى تكفلت عن طريق قناة خاصة ومباشرة ، بأن تنقل إلى وأنا على رأس المخابرات بعض التصورات والاقتراحات الأمريكية التى نقلها المبعوثون الأمريكيون إلى الرئيس السادات ، وكانت كلها اقتراحات شكلية تدور حول الموضوع ولا تصل الى عمقه ، ولقد قلت يوما لمندوب المخابرات المركزية الأمريكية ـ الذى جاء ينقل التصورات ـ أننى لا أرى جديدا ، وأننا جادون فى البحث عن السلام ، لكنكم تحرجون الرئيس بهذه المواقف المائعة التى لا تقدم جديدا ولاتضيف شيئا .

لقد شرحت قبل ذلك كيف تجمعت الخيوط ثم تناقضت ووصلت الى ذروة الصدام فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، بعد أن أعطت المجموعة فى استعراضها للقوة أمام الرئيس فى اجتماع اللجنة المركزية فرصة ذهبية ليتخلص منها نهائيا ، ولكن حتى بعد أن اتخذ الرئيس السادات قراره بإقالة على صبرى فقد لبث يظن أن السوفييت سيقومون برد فعل معاكس ردا على القرار ، ولكن لم يكن هناك ـ على عكس ما توقع ـ أى رد فعل ، ولعل الذين تعاملوا مع السوفييت طويلا وعميقا يدركون أن قانونهم العام فى التعامل هو أنهم يتعاملون مع وظائف رسمية فى الحكم لا مع أشخاص ، وأن خروج الشخص من إهاب الوظيفة يعنى بالنسبة لهم أنه أصبح لا شىء .

تداعت الأحداث بعد ذلك ، وانتهت الزوبعة كلها الى السجن بعد أن فشلت محاولة محمد حسنين هيكل المتأخرة لاصلاح ذات البين ، ووجدت نفسى دون مقدمات منطقية اختفى خلف الجدران .

اننى حتى الآن لا أجد تفسيرا لكراهية مبكرة تملأ نفسى تجاه السجون ، ومن المؤكد أن ذلك يشكل احساسا عاما يتوافر لدى كل الناس ، لكنه كان بالنسبة لى لا يخلو من حساسية خاصة ، فطوال فترة عملى محافظا لثلاث محافظات كان السجن فى كل محافظة هو الاستثناء الوحيد الذى لم أقم بزيارته ، رغم تكرار طلب هذه الزيارة ، كان شيئا فى داخلى يجزع من السجن ، وكنت أغير طريق سيرى دائما حتى لو كان يعنى مجرد المرور قريبا منه .

فى تلك الليلة ، ١٥ مايو ، أوصلتنى سيارة الشرطة الى مبنى السجن ، وحين هبطت وانتظرت الخطوة التالية ، وجدت فوق رأسى لافتة كبيرة « السجون الحربية » والى جوارها لافتة أصغر « تأديب وتهذيب واصلاح » .

وأخذت أغوص حتى رأسى فى بركة آسنة من المرارة والأسى ، قررت وأنا أعبر العتبة الأولى ، أن أقطع علاقتى تماما بالسجائر التى أدخنها بشراهة منذ خمسة وعشرين عاما ، وبالقهوة التى كنت أحتسى فناجينها دون حساب .

تسلمنى السجن على أوراق تسليم وتسلم كأننى أحد المهمات أو المقاعد ، وصلت الى زنزانتى ، كانت المرة الأولى التى أرى فيها زنزانة وقد غير ما رأيت تصورى تماما ، فقد كانت مضاءة بالكهرباء وبها سرير صغير ، ومقعد ومنضدة .

سمعت صرير اغلاق الباب من خلفى ، وجلست على طرف المقعد الخشبى دون حراك لم أعرف بالضبط ماذا كان على أن أفعل ، لكننى غصت فى أعماقى بين شظايا صغيرة مختلفة ، تتداخل مراياها ومشاهدها بشكل غريب ، كانت سنواتى الماضية كلها تستعيدنى دفعة واحدة وهى تلخص نفسها فى صور صغيرة ، تمرق فى عينى كأنها تحدث كلها فى وقت واحد ، من الطفولة الى الكلية الحربية ، الى فلسطين ، ومن ليلة الثورة الى صبيحة الانفصال .. من عيون أمى الذابلة التى تركتها خلف باب منزلى كومة عظم فى السبعين الى وجه أبى الذى كنت أجمع ملامحه بصعوبة من الطفولة المبكرة ..

أظلمت الزنزانة فجأة ، وفتح الباب . وجدت أحد المساعدين يقول لى معتذرا أنه عطل مفاجىء ، لكننى وجدت نفسى أسأله : ماذا على أن أفعل بالضبط ؟ .

قال : ما تريد .. يمكنك أن تنام ..

خلعت ملابسى وتلمست مسمارا على الحائط علقتها عليه ، ثم تمددت على السرير الخشبى جاحظ العينين حتى الصباح .

وجاء نهار اليوم التالى ثقيل الخطى فارغا ، أحسست أن مشكلتى الرئيسية أصبحت أننى بلا عمل بعد سنوات طوال لم أهجع فيها للراحة غير سويعات قليلة كل يوم ، كنت أعمل ١٨ ساعة يوميا فى المخابرات ، إلى حد أن أحد أصدقائى كان يسألنى دائما : هل يحتاج العمل إلى كل هذا الوقت ، وكنت أؤكد له صادقا أنه يحتاج إلى المزيد .

ما أكثر الأزمات التى اعترضت حياتى ولكننى كنت أخرج من أى أزمة بأمرين : الرياضة والقراءة ، ومع الأسف فإن كليهما أصبح صعبا .

مر قائد المعتقل فى اليوم التالى ، وكان جم الأدب وسألته عن شىء أقرأه ، فقال لى أنه غير مسموح الا بكتاب الله ، وقد أصبح القرآن زادى بعد ذلك .

فى يوم ٥/١٦ وبعد أربعة أيام من اعتقالى بدأ التحقيق معى ، وكان التحقيق الأول فى دار القضاء العالى ، كانت الرحلة من السجن الحربى هناك بسيارة الشرطة القديمة المتآكلة وسط زحام المرور وأعباء التوقيت تبدو كأنها رحلة الموت .

لقد تم التحقيق معى ثلاث مرات بثلاثة محققين مختلفين ، استمر التحقيق الأول من ٥/١٦ إلى ٥/٢٦ وتم بواسطة فؤاد شوقى المحامى العام ، والثانى من ٥ الى ٦/٨ وتم بواسطة صلاح نصار رئيس النيابة ، والثالث والأخير بين ١٤ و٦/١٥ وكان المحقق أحمد نشأت .

وبخلاف صلاح نصار الذى كان يسعى الى معرفة التفاصيل الدقيقة ليلم بالقضية الماما صحيحا ، فلم يكن هناك أحد من المحققين الآخرين يهتم بالوقائع

السياسية وإنما كان يحصر المهمة كلها فى إطار الفهم أو المفهوم الجنائى ، ولم نكن بصدد واقعة جنائية ، وإنما بصدد قضية سياسية بالأساس ، لا يمكن لأسلوب التحقيق الجنائى الذى يقوم بصدد موضوع وللإجابة عن سؤال واحد : هل تم الفعل الجنائى أم لم يتم ، أن يحتوى مضمونها أو طبيعتها .

إننى فى هذا السياق لا أدافع عن الجريمة السياسية ، فهى بالتأكيد أشد فتكا من الجريمة الجنائية ، ولكن من المؤكد أن تناولها ينبغى أن يكون فى إطار مختلف .

لقد لفت نظرى أن محققى النيابة جميعهم كانوا يرتدون البذل الكاملة وأربطة العنق ، وكنا فى قلب حريق الصيف ، وتذكرت أننى عندما كنت أعمل أمينا للعمل السياسى فى التنظيم الطليعى بين عامى ٦٤ و١٩٦٥ وفى أحد اجتماعات لجان المحافظات ، لفت نظرى أن المحافظ وحده من بين جميع أعضاء اللجنة هو الذى يرتدى البذلة الكاملة ورباط العنق ، ووجدتنى أهمس فى أذنه ، لماذا هذا التزمت فى الملابس وفوجئت به يقول : « إنها هيبة الحكم يا أستاذ » .

ولم تبرح إجابته رأسى حتى عينت محافظا لأسيوط بعد عام واحد ، وفى أول صيف أصدرت تعليمات على مستوى جميع أجهزة المحافظة بعدم ارتداء البذل ورباط العنق والاكتفاء بالملابس الصيفية العادية ، وكنت أول من مارس ذلك بالفعل ، ولا أعتقد أن هيبة الحكم قد أصابها الضر ، بل على العكس من ذلك تماما .

كان المحقق فى سياق تصوره الجنائى ، يسقط من التدوين الشهادات والوقائع السياسية الأساسية ، لأنه لا يراها ذات معنى ، ولكن التحقيق مع ذلك كان يتسم بالأدب والمناخ الإنسانى ، ولم يكن فيه ما يوحى بغير أنه سبيل للوصول إلى الحقيقة ، لكن الطريق كما قلت لم يكن صحيحا .

ولشد ما آلمنى أن المحقق نفسه كان بعيدا عن فهم صحيح لدور ووظيفة المخابرات ، خاصة أنه حاول الإيحاء لى بمعرفته للكثير من التفاصيل ، وقد ظل يتصور أننى بوظيفتى كرئيس للمخابرات أتابع جميع الأفراد حتى فى حياتهم الشخصية وطلب منى فى إحدى الجلسات أن أتحدث عن الحياة الخاصة لعدد من المسئولين الذين وضعوا فى السجن .

ولعله لم يصدقنى ، حيث قلت له : إننى أسمع مثلك بعض الشائعات ولكن ليس هذا هو عمل المخابرات المصرية ، وفيما يبدو فإن أسطورة ، المخابرات التى تركض وراء كل مواطن ، ويكمن داخل كل بيت كانت مسيطرة على عقله هو الآخر .

فى يوم ١٦ مايو أخبرنى المحقق أنه لم يصل معى إلى نتيجة واحدة ولذلك فإنه سيتبدل بمحقق آخر ، ولم يصل المحقق الجديد إلى نتيجة هو الآخر ، ثم تكرر الموقف مع المحقق الثالث .

أريد أن أضيف أن دور المباحث العامة خلال مراحل التحقيق كان إيجابيا فقد كانوا جميعا مثالا لتأدية الواجب فى اتجاهه الصحيح ، كما تحلوا جميعا بأدب جم فى المعاملة .

وحيث انتهت النيابة العامة من جميع التحقيقات المطلوبة لم تجد فى رصيدها النهائى ما يستوجب تحويل القضية إلى القضاء ، وهكذا صدر قرار بإحالة القضية إلى المدعى العام الاشتراكى .

وبعد انتهاء التحقيقات طلب ممدوح سالم وزير الداخلية أن يرانى للمرة الثانية وكان قد أخبرنى فى اللقاء الأول بأن نتيجة التحقيق معى تبعدنى عن شبهة الاتهام ولكنه وهو يستقبلنى بود أيضا فى اللقاء الثانى أبلغنى أنه قد تم الاتفاق على أنه من الأفضل أن تستمر اجراءات المحاكمة معى أيضا ولم أفهم لماذا ؟ وكان رده أن الاتفاق أيضا أن يصدر الحكم بعد انتهاء المحاكمة ببراءتى وأن الحكم بالبراءة فى هذا الإطار هو الأفضل ، لأنه سيكون حكما نهائيا يقطع جذور المسألة كلها .

وقلت له : إذا كان الأمر كذلك فإننى أكرر إصرارى على عدم زيارة أسرتى لى ، وعليهم أن ينتظروا - أيضا - حتى يصدر حكم البراءة .

وانعقدت المحكمة وفوجئت بالمدعى العام يقول فى خطابه الافتتاحى أننى من أصدقاء سامى شرف ولا أعرف من أين نبتت فى رأسه هذه الفكرة ، ولكننى علمت بعد ذلك أن عزيز صدقى قد تطوع بأن ينقل للرئيس السادات فى الوقت نفسه معلوماته اليقينية على أننى صديق شخصى لسامى شرف بالفعل .

ولا أعرف كيف صدق الرئيس السادات ذلك ، فقد كان يعرف تماما أنه ليس بينى وبين أحد من أفراد المجموعة أية صلات شخصية فوق أننى لم أكن على امتداد مسيرة الثورة منتميا أو منتسبا لتجمع أو شلة .

انتهت اجراءات المحاكمة وتوقفت لانتظار الحكم بالبراءة ، ولكن العاصفة كانت عاتية ، حيث أصدرت المحكمة حكمها بسجنى لمدة سبع سنوات خففت بعد ذلك إلى ثلاث سنوات أمضيتها جميعها باليوم الواحد مقيد الحرية .

أما الرئيس السادات فقد حاول أن يخفف الموقف بأن أصدر أمرا بإحالتى إلى مستشفى القوات المسلحة لإمضاء سنوات السجن ، وإن كان قد أصر على أن يحولنى من المستشفى إلى سجن طره لأقضى ليلتى الأخيرة قبل الإفراج عنى فى صباح اليوم التالى ، ولعله أراد أن أعود إلى الحرية ومذاق السجن عالق بفمى .

وتبددت فرصة تاريخية للتصحيح

لفهم ماحدث فى ١٥ مايو ١٩٧١ ينبغى إدراك أن رحيل جمال عبدالناصر قبلها كان يعنى فراغا سياسيا حقيقيا ، فى وقت غير مناسب لمصر ، وفى الوقت الذى كانت فيه طبيعة الأشخاص والأدوار والنظام السياسى نفسه لا تشكل قاعدة استقرار أو استمرار ، ولهذا كان التحول من ضفة إلى أخرى سهلا وبسيطا ، وتلك مشكلة مزمنة فى تجربة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ليس هذا مكان مناقشة أسبابها ومظاهرها .

بالنسبة لى فقد كان إحساسى بالمرارة مضاعفا داخل السجن لأننى كنت أعرف أن الرئيس السادات يدرك عن يقين أن خلافاتى مع هذه المجموعة قديمة ومستمرة ، وسابقة على تسلمه موقع المسئولية الأول فى الدولة ، وكان يعرف ـ أيضا ـ أن خلافاتى معهم لم تكن يوما خلافات شخصية لأنه لم يكن بينى وبين أى منهم مساحة علاقة اجتماعية يمكن أن تنبت فى تربتها مثل هذه الخلافات ، وإنما كانت خلافات عمل خلافات حول الأسلوب أحيانا ، وخلافات حول الرؤية السياسية فى أحيان أخرى ، بل إن بعض خلافاتى المستمرة معها كانت أحيانا تصل إلى جمال عبدالناصر عن طريقه ، فضلا عن أننى كنت فى مقدمة الذين كان السادات نفسه ـ وهو فى موقع نائب الرئيس ـ يأتمنهم على شكواه منهم ، ومتاعبه معهم .

وكانت متاعبى ـ كمتاعبه ـ قد وصلت إلى ذروتها بعد هزيمة يونيه ١٩٦٧ ، بعد الهزيمة بأيام قليلة وعندما كنت محافظا لمحافظة أسيوط فوجئت بعبدالمحسن أبوالنور ذات مساء متأخر على التليفون ، كان صوته مفعما بالآثار الرهيبة للحدث ، وكانت نبراته تغالب مشاعر أسى عميق ، قال باقتضاب شديد :

أحمد .. نريدك معنا ..

قلت وقد أخذتنى الدهشة : فين ؟

قال : معنا هنا تعالى إلى القاهرة لنتكلم .

لم أفهم بالضبط ماذا كان المقصود ، ولا ما طبيعة المهمة أو العمل الذى يرى

أننى مناسب له فى هذه الظروف المعقدة الصعبة ، ولم أكن أعلم حتى هذه اللحظة أنه عين أمينا مساعدا للاتحاد الاشتراكى .

لم يكن ثمة مناص من اتمام المقابلة فتركت أسيوط وجئت إلى القاهرة ، وكان همي الوحيد أن أقنع الأمين العام بأننى لا أصلح لهذه المهمة ، وأننى « شايف شغلى ومبسوط فى أسيوط » وبدا لى أنه أقتنع ، فعدت أدراجى إلى أسيوط أواصل عملى بشكل اعتيادى ، لكن هذه المرة عاود سامى شرف الاتصال بى بعد أربعة أسابيع أخرى ، وكانت المكالمة أكثر اقتضابا : أحضر إلى القاهرة .. نريدك ..

ذهبت إلى مكتبه حيث أخبرنى أنه لا مناص من موافقتى على تسلم مسئولية الشباب وحين كررت رفضى ، أغرورقت عيناه بالدموع ، وقال : إن الظروف صعبة والرئيس يعاني ولا بديل .

ذهبت إلى عبدالمحسن أبوالنور وقلت له هذه المرة : لقد جئت أتسلم مسئولية الشباب ، ولم أعد إلى أسيوط بعدها .. ففى مساء اليوم نفسه كنت أحمل حقيبتى الصغيرة كالعادة ، وأتسلل تحت الظلام نحو مبنى منظمة الشباب دون أن يعرف أحد أو يعرفنى أحد .

بدأت عملا مكثفا فى منظمة الشباب ، ساعدت عليه طبيعة المرحلة والظروف ، كانت الأجيال الشابة الجديدة فى مصر هى أكثر الجميع تمزقا ، فقد دهمها حدث الهزيمة كما لو كان قطارا مسرعا ، وهى تئن غير مصدقة وغير متوقعة تحت عجلاته الثقيلة ، وبدا فى لحظة أننا أسقطنا أحلام هذه الأجيال من أعلى قمة الأهرامات إلى سفح عميق ماله قرار .

فى كل اجتماع أو لقاء مع مجموعات الشباب على مستوى محافظات مصر كلها ، كنت أرى فى العيون من حولى ، صرخات مكتومة ، ثم وفى الوقت نفسه طاقة فعل بلا حدود ، وكان لابد من عمل سياسى صحيح ، أولا لإطلاق طاقات فاعلة تريد أن تمنح نفسها دون منة أو منفعة لإعادة بناء ما أنهار فى لحظات ، وثانيا : لأنه دون إطلاق هذه الطاقات فى اتجاه صحيح فعلا ، كما كنت أومن – وما أزال – فإن العواقب ستكون وهيمة ، لأن الثورة ستجد نفسها دون مقدمات فى تناقض غير مبرر وغير منطقى مع أجيالها الجديدة ، وهو تناقض لا يهدد استمرار التجربة فقط ولكنه يحول الوطن بأكمله إلى كائن معوق .

بدأت عملى فى منظمة الشباب خلال الفترة الأولى بعمل مؤتمرات فى كل المحافظات لننتهى إلى وضع إطار خطة عمل لعام ١٩٦٨ ، وكانت هذه المؤتمرات دون مبالغة نقطة تحول فى تاريخ مصر ، لأننا كنا أول منظمة سياسية تقوم بأوسع عملية نقد ذاتى ، وهو ما انعكس تلقائيا على بيان ٣٠ مارس ، الذى قدمه عبدالناصر لإعادة البناء .

لكن كنت أتحسب مساحة صدام بين قيادات الاتحاد الاشتراكى وبين الأجيال الجديدة التى اندفعت تمارس النقد على نحو واسع .. وسرعان ما اتسعت هذه المساحة بعد أن أصدرنا جرائد باسم الشباب فى كل محافظات مصر ، ارتفعت فيها نبرة نقد حادة ضد القيادات السياسية المحلية ، وأعضاء مجلس الشعب .

لم يكن ثمة سبيل سوى إطلاق طاقة الشباب فى الاتجاه الصحيح والصحى ، ولهذا آليت على نفسى ألا ابرر شيئا مهما كان وفى مناخ الشباب ، وفى قلب توهجه الوطنى ، كنت أتكلم مثله مندفعا ومتحمسا ، وناقدا دون أن ألزم نفسى بقيد .

أذكر فى مؤتمر للشباب عقد فى هذا الوقت بمركز شباب الجزيرة أن خيم على المؤتمر حدث غريب تم فى أحد أقسام القاهرة .

فقد واجه أحد الطلاب من أعضاء المنظمة ، أحد أعضاء مجلس الشعب ، ونقده بشكل حاد ومتحمس لما كان العضو البارز يطرحه حول لا جدوى من المقاومة بعد الهزيمة ، وكانت النتيجة أن النائب قد جمع عددا من أتباعه وانهالوا وهو معهم على الطالب اليافع ضربا بكل ما وصل إلى أيديهم فأحدثوا به إصابات متفرقة ، ثم أقتاده النائب بنفسه إلى « المباحث العامة » وأودعه الاعتقال على أساس أنه تكلم كلاما خارجا فى حق القيادة السياسية ، وأصبح شباب القاهرة كلها فى حالة غليان فى اليوم التالى ، ولقد قلت فى هذا المؤتمر بالحرف : إنه لا بديل أمامنا سوى أن نكون ككسارة البندق ، إحدى ذراعيها هو جمال عبدالناصر والذراع الأخرى هى الشباب لنكسر كل من يحاول أن يعوق مسيرتنا .

ورغم أن جمال عبدالناصر قد عرف بقصة الطالب ، وتم الإفراج عنه فى اليوم التالى ، وعاد يمارس نشاطه بشكل اعتيادى ، فإننى فوجئت بشعراوى جمعه يسألنى بعد أيام دهشا : من الذى استخدم تعبير « كسارة البندق » ..

فقلت له : « إنه أنا .. وكيف لم يبلغك من أخطرك به عن اسم صاحبه » ..

ولم يكن ما يفعله الشباب على كل حال مرضيا لقيادات الاتحاد الاشتراكى هنا أو هناك .

وفى بداية ١٩٦٨ صدرت أحكام الطيران وتصاعد الغضب ثم الغليان ، واندلعت المظاهرات وبدأت من مصنع ٦٤ الحربى ، خرجت المظاهرات من المصنع وحاصرت قسم البوليس ودوى صوت الرصاص وسقط عاملان مصابين بالطلقات النارية ، فى الوقت الذى أخذت فيه تجمعات طلابية فى جامعتى القاهرة وعين شمس تتسع بسرعة بعد أن وصل إلى الجامعة خبر إطلاق النار على العمال فى حلوان ، وامتلأت حناجر الطلبة بشعار : يحيا اتحاد الطلبة مع العمال .

عندما وصلنى خبر إصابة عاملين بطلقات نارية فى حلوان كلمت وزير الصحة النبوى المهندس وقلت له : أرجوك أن تذهب إلى مستشفى حلوان وأن تبذل

قصارى جهدك لإنقاذ حياة العاملين المصابين ، لأنه إذا حدث لا قدر الله وماتا ، فلن نستطيع أن نوقف المضاعفات فى صفوف الشباب والطلاب والعمال ولن نستطيع أن نلم الموقف .

وذهب النبوى المهندس إلى مستشفى حلوان بالفعل وكلمنى من هناك ، قال : إن حالة العاملين مطمئنة وأن الأطباء يبذلون قصارى الجهد لإنقاذ حياتهما ، ولعلها مناسبة أن أشهد بهذا الطبيب العالم الذى لم ينل حقه من التكريم أو الاشادة ، بالرغم من أن تاريخه فى وزارة الصحة يستحق أن يكتب بمداد من ذهب .

أخذت المظاهرات فى الاتساع وانتقلت إلى جميع الجامعات المصرية ، ثم إلى المنطقة الصناعية بشبرا الخيمة وأصدرت تعليمات لشباب المنظمة بأن يقوموا باحتوائها سياسيا ، غير أن الاحتكاك سرعان ما بدا بين الشباب والشرطة ، وفشلت محاولات التهدئة أو الاحتواء (مرفق ضمن الملاحق تقرير تفصيلى للأمانة بسير أحداث المظاهرات من يوم ٢١ إلى يوم ١٩٦٨/٢/٢٧ مع تحليل تفصيلى لأحداثها) .

فى بداية المظاهرات طلبت على صبرى تليفونيا بوصفه الأمين العام للاتحاد الاشتراكى ، قلت له :

أرجوك أن تذهب إلى الجامعة فورا .

قال : لماذا ؟

قلت : هناك حلقات طلابية غاضبة إذا تركت فسوف تتحول إلى مظاهرات عارمة .

قال : لا ... لا أرى مبررا لذهابى ..

قلت : إذن اسمح لى أن أذهب وأناقش الطلاب ..

قال : وأنت أيضا لا تذهب ..

كان قرارا وكان على تنفيذه ، لكننى لم استطع أن أحبس انفعالى فقلت له : تذكر إذن أن أحمد باشا ماهر الذى نصفه بأنه من رجال العهد البائد اختار أن يذهب إلى الجامعة عندما كان رئيسا للوزراء وأبلغ بمظاهرات بين الطلاب تهتف بسقوطه .. تذكر أنه ذهب بدون حرس واستطاع أن يفض المظاهرة بالحوار وأن يقنع الطلاب ، حتى أنه خرج من الجامعة محمولا على أعناقهم .

وأتصور أن على صبرى لم يتحمل كل ما قلت ، فقد أحسست أن سماعة التليفون قد وضعت على الجانب الآخر قبل أن أنهى كلامى .

الغريب بعد ذلك أنهم حملوا منظمة الشباب نتائج ما حدث ، بل ومع الأسف

الشديد ، فإن تقارير الأمن والمخابرات التى قدمت إلى عبدالناصر حاولت أن تحملنى شخصيا مسئولية النتائج باعتبارى العامل الأول فى إثارة الطلاب أو العمال . وبصراحة فقد أطلعنى سامى شرف بعد ذلك على صور من تقارير أرسلها أمين هويدى رئيس المخابرات آنذاك إلى الرئيس تتحدث عن وجودى فى شبرا الخيمة قبل اندلاع المظاهرات ووجودى فى حلوان قبل انفجارها .. وهكذا فإن وجودى فى كل مكان كان هدفه هو مساعدة الغضب على أن يتحول إلى صدام ، وطلب إلى سامى أن أرد ، وقد شكلت لجنة تحقيق من المنظمة أثبتت كذب هذه الدعاوى لأننى كنت فى مكتبى لا أغادره مطلقا وفى اجتماعات مستمرة مع الطلاب أو أساتذتهم لمحاولة التغلب على هذه الأزمة .

فى أعقاب الصدام بين الشرطة والمتظاهرين ، اتصلت بسامى شرف وقلت له : لقد تفاقمت المسألة فى الشارع ، أرجوك أن تطلب من الرئيس أن يلقى خطابا من الراديو والتليفزيون فى أسرع وقت ممكن .

ورد سامى شرف : أنا لا أستطيع .

قلت : والحل ؟

قال : إذا كنت ترى ذلك أرسل له أنت خطابا باسمك ..

وجدت أنه لامناص من فعل ذلك ، فجلست وكتبت مذكرة كاملة للرئيس كان من بين ماقلت فيها :

« سيادة الرئيس .. أريد أن أراك بسرعة والشعب وسط هذه العاصفة ينتظر منك كلمة (نص صورة من المذكرة مرفق بالوثائق) .

فى اليوم التالى (٣ مارس) وجدت الرئيس على التليفون سألنى مباشرة :

لماذا تريد أن تقابلنى بشكل عاجل ؟ ! أنا آسف اننى مشغول بتجهيز الخطاب الذى سوف ألقيه فقل لى ماذا تريد ..

قلت : أريد أن أشرح لسيادتك الحقائق ..

تساءل دهشا : أية حقائق ؟ .

قلت مباشرة : هناك عمال ضربوا بالرصاص ..

قال دون أن أكمل : لا .. هذا غير صحيح ..

قلت : لقد حدث ذلك يافندم ..

قال : كل البيانات التى لدى تقول إنهم ضربوا ببنادق رش .

قلت : لا يافندم .. لقد ضربوا برصاص حقيقى .

قال مستنكرا ومدهوشا : ماذا ؟ .. ماذا تقول ؟ .

قلت : تستطيع أن تسأل وزير الصحة النبوى المهندس فقد تحدثت إليه ورجوته أن يذهب إلى مستشفى حلوان خشية أن يموت المصابون فيزداد الموقف سوءا ..

قال : أمر غريب ...

واصلت حديثى : الأمر الثانى أن هناك طلابا من الثانوى والاعدادى قد تم القبض عليهم واعتقالهم والناس .....

قاطعنى مرة ثانية مستنكرا : طلبة ثانوى وأعدادى ايه .. وكيف يقبض عليهم ؟

قلت : لهذا يا سيادة الرئيس كتبت إليك راجيا أن توجه كلمة للشعب ..

اتسعت المكالمة بعد ذلك لمناقشة التفاصيل ، فقد قدمت للرئيس عرضا لأسلوب العمل فى المنظمة ، وطلبت منه أن يدعو (خالد) نجله للانضمام إلى شبابها ، ولكنه قال لى أن اهتمامات خالد تدور حول هوايات كثيرة ، وقد لا تكون لديه اهتمامات سياسية ، وطالبت الرئيس بالافراج عن المعتقلين من طلاب الثانوى والاعدادى والجامعة ، وقد أمر بالافراج الفورى عن ٢٥٤ طالبا واعادة المفصولين منهم الى كلياتهم ومدارسهم وتحدثت عن موضوع صرف الأرباح للعمال الذى تزامن مع خطاب الرئيس ، وقلت له أن هناك شائعات ظهرت بأن الرئيس يرشو العمال قبل أن يلقى خطابه ، وقال الرئيس وهو يبدى دهشته إن صرف الأرباح كان مقررا من شهر مضى ، وقبل أن تحدث الملابسات الأخيرة بما فيها اندلاع المظاهرات .

وانتهى الحديث وأغلق التليفون .

ورغم أن الرئيس ألقى كلمته بالفعل ، وقال إنه لا ينبغى أن نسمح بأن يكون هناك تناقض بين الثورة والشباب ، لأن الشباب هم الحقيقة والمستقبل وهم الثورة فى نقائها ، إلا أن الصراع لم يتوقف ، والمعالجات الخاطئة لم تنته .

فى ليلة ٢١ ، ١٩٦٨/٢/٢٢ وبعد يومين من اعتصام الطلاب فى كلية الهندسة وجدت السيد على صبرى يطلبنى تليفونيا ويقول لى : لقد صدر قرار بأن يقبض على طلاب الجامعة من داخلها بواسطة الشرطة ، ولذلك أرجو أن يعاون أعضاء المنظمة قوات الشرطة فى تبرير القبض على هؤلاء الأشخاص .

قلت له : لا يمكن .. مطلقا ..

قال : يعنى ماذا ؟

قلت : هذا اجراء لا يصلح وأنا غير موافق عليه .

ازدرد ما قلت فى هدوء وقال : على كل شعراوى جمعه سيتكلم معك حول

الموضوع ، بعد قليل كلمنى شعراوى جمعه بنبرة رقة وود :

يا أحمد نريد أن يساعدنا أولادك فى الجامعة وسوف نلتقى غدا ونتكلم ..

قلت باصرار : هذا ليس ممكنا ...

قال وقد تغيرت نبرته : ماذا تعنى .. انه قرار الرئيس ..

قلت : ليكن .. قل للرئيس أن أحمد كامل ليس موافقا على هذا القرار .

قال : ماذا تقصد ؟

قلت : ما الذى يدخل الشرطة إلى الجامعة للقبض على الطلاب وما دخلها فى ذلك .. الجامعة بها عمداء ومجالس تأديب يمكن أن يحال الطلاب إليها وتحاسبهم حتى لو حاسبتهم بالرفت .

تذرع بالصمت فأضفت : أتصور أن دخول الشرطة إلى الجامعة للقبض على الطلاب لن يكون علاجا ، بل العكس سوف يعنى تحريض الطلاب على التظاهر من جديد .

قال : قلت لك إنه قرار الرئيس .. ولم يكن ثمة بديل عن أن ينهى المكالمة ..

اتصل بى سامى شرف بعد دقائق وقال : يا أحمد إنه قرار الرئيس بالفعل ..

قلت : حسنا .. اطلب الرئيس وقل له إن هذا رأيى وإننى أرفض ...

قال : كيف أطلب الرئيس .. الساعة الآن الثالثة صباحا وقد تأكدت أن الرئيس قد نام بالفعل ، وعلينا أن نتحرك صباحا ..

قلت : إذن أيقظ الرئيس من النوم وأخبره ..

قال : لا هذا غير ممكن .. لا أستطيع إيقاظ الرئيس ..

قلت : وأنا أيضا لا أستطيع تنفيذ القرار .

كان هذا الحديث فى حضور مكتب أمانة الشباب فى مكتبى حيث كنا نتدارس أساليب وحل المشكلة .

وضع سماعة التليفون ولم يرد ، وفوجئت بعد دقائق معدودة بسامى شرف يطلبنى مرة ثانية ، كان قد أيقظ الرئيس من النوم ونقل اليه حواره معى ولم أفاجأ هذه المرة به وهو يقول باقتضاب .

لقد وافق الرئيس على رأيك ..

فى اليوم التالى ١٩٦٨/٢/٢٢ كان ثمة إخراج آخر للموضوع ، فقد أقيم

مؤتمر مع مديرى الجامعات حضره على صبرى وكان حريصا على أن يصطحب معه أمين هويدى ، وشعراوى جمعه ، إضافة لى ، وكان ما قاله على صبرى لرؤساء الجامعات :

« حاسبوا أنتم الطلاب .. الرئيس لا يريد أن يتدخل فى الجامعة .... »..

ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد ، فقد سبقته مواقف أخرى ليست أقل توترا أو انشدادا ..

أذكر فى أوج عمل المنظمة وقبل أحد مؤتمراتها الموسعة مع قياداتها على مستوى أمناء المحافظات والمراكز أن طلبت على صبرى وقلت له : الشباب يريدون أن يجلسوا معك .

قال : حسنا ...

اجتمعنا فى المؤتمر قبل أن يأتى على صبرى وسألنى بعض الشباب على مسمع من الجميع ، ماذا نقول :

قلت : قولوا ما تريدونه .. بحرية كاملة ..

وقد كان ، قالوا ما يريدون وبلا ضوابط وكانت عاصفة حادة من النقد والمحاسبة تحملها على صبرى بهدوء .. لكن نتائجها لم تنته بالنسبة لى ..

كان مطلوبا بعد ذلك وبالحاح أن أترك المنظمة ، ثم أن يقلص دورها وأن يحل وبعد بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ مباشرة أعلن عبدالناصر عن اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة بالانتخاب المباشر .

لقد كنت أشغل منصبين فى التنظيم : أمين اللجنة المركزية للمنظمة وأمين الاتحاد الاشتراكى فى الوقت نفسه ، وكان منطقيا أن قرار الانتخاب لا ينطبق على أحدهما وهو أمانة اللجنة المركزية للشباب .

ومن المؤكد أن الرئيس عبدالناصر كان يعرف ذلك ، لكنه سمح للقرار أن يشمل الموقعين ويبدو أنه كان مطلوبا أن أترك منظمة الشباب فلم يعد وجودى مصدر راحة لبقية المسئولين فى المنظمة والدولة ..

وكان قرار اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب قد صدر على أن تتم استقالة الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى ١٩٦٨/٥/٣ وبعد اجتماع الأمانة العامة بعلى صبرى فى ١٩٦٨/٤/٣٠ والذى حدد فيه أن يتولى أمين المنظمة بالنيابة الشخص التالى للأمين فى منظمة الشباب وكان هذا الشخص هو الدكتور مفيد شهاب والذى صدر باسمه قرار بأن يزاول أعمال أمين الشباب بالنيابة اعتبارا من ١٩٦٨/٥/٣ .

وهنا نقطة عليها علامات استفهام كثيرة .. لماذا أعفيت من منظمة الشباب .. سؤال سوف يبقى سرا مع عبدالناصر ...

ثم بادرت بعد ذلك بالاتصال بسامى شرف وحملته رسالة إلى الرئيس كان مضمونها يقول : إننى أشكره ، وأبلغه رغبتى فى الاستقالة التماسا للراحة ..

وعاود سامى شرف الاتصال بى ، ونقل لى رد الرئيس : لا استقالة ..

وابتلعت الرد وقبعت فى بيتى ..

بعد يومين اتصل سامى مرة ثانية وقال :

الرئيس أصدر قرارا بتعيينك محافظا للمنيا ..

رددت دون أن أراجع كلماتى : « يعنى من زفت إلى أزفت يا قلبى لا تحزن » ..

قال : يعنى إيه ؟

قلت : يعنى من الصعيد للصعيد ..

لم أتصور أن سامى سوف ينقل نص كلماتى إلى الرئيس .. لكننى سمعتها بعد ذلك بستة أشهر ومن الرئيس شخصيا وهو يضحك ..

ذهبت منكسر القلب إلى المنيا .. كنت أرى أن العواصف لن تتوقف وأن فرصة تاريخية للتصحيح سوف تتبدد وتضيع .. كنا فى منظمة الشباب قد تأهبنا لنزول معركة الانتخابات ، ولو حدث ذلك لتجنبت مصر كثيرا من المفاجآت التى حدثت بعد ذلك .. لكن الضربة لم توجه لى وإنما فى الأساس إلى الأجيال الجديدة المملوءة حماسا ونقاء ورغبة فى العطاء والتغيير ، ولم تتوقف الاشتباكات ولا المعارك .

عندما تمردت الأجيال الجديدة ومنعت
من المشاركة فى رفع أنقاض الهزيمة

لم تأت علاقتى بالشباب من فراغ ، فقد كان عملى فى القوات المسلحة منذ البداية يشكل بيئة متصلة بالشباب الذين ينخرطون فى خدمة القوات المسلحة ، ويمثلون شرائح المجتمع المختلفة اجتماعيا وثقافيا وجغرافيا .

ولقد بدت أول فرصة للعمل السياسى مع الشباب عندما تركت خدمة القوات المسلحة وتفرغت فى رئاسة الجمهورية ، فقد كان المشرف على أنشطة الشباب فى ذلك الوقت هو السيد زكريا محيى الدين ، وقد أرسل لى يوما أنور بهاء الدين يبلغنى برغبة زكريا محيى الدين فى أن أعمل معه فى قطاع الشباب ولكننى علقت إمكان ذلك على موافقة يستحصلها من جمال عبدالناصر .

وحين عملت بعد ذلك فى أمانة التنظيم الطليعى كان كثير من العمل يدور مع الشباب ، إلى أن أعلنت منظمة الشباب ، وتولى أمانة لجنتها المركزية د . حسين كامل بهاء الدين ، وكان ضمن أمانة الشباب السيد سمير حمزة الذى كان عضوا فى التنظيم الطليعى من مجموعة سامى شرف ، وكان دائم الاتصال بى كما كنت على معرفة كاملة بما يجرى فى المنظمة .

لقد عينت بعد النكسة أمينا للشباب ، فى ظل ظروف كادت الصدمة فيها تبدد فى قلوب وعقول الشباب الحلم والأمل واليقين .

وكانت الصدمة أيضا من نصيبى مبكرا فقد زارنى فى أسيوط عندما كنت محافظا يوم ٧ يونيه ١٩٦٧ وقبل يومين من إلقاء عبدالناصر لخطاب التنحى الأخ البشارى وكان من ضباط الطيران ليخبرنى أن الطيران قد دمر وأنهم جاءوا ليقيموا فى مطار أسيوط .

ولا أستطيع أن أدعى أن الحلم والأمل واليقين داخلى لم تتعرض لعاصفة عاتية كذلك ، ولهذا كنت أسائل نفسى وأنا فى طريقى إلى منظمة الشباب ، ماذا سأقول لهؤلاء الشباب ؟ وكيف يمكن لى أن أساهم وسط أنقاض الهزيمة فى أن أعيد إليهم الثقة بأنفسهم أولا وبوطنهم ثانيا ؟ .

دخلت إلى مبنى المنظمة تحت جنح الظلام ، منفردا وبحوزتى حقيبتى

الصغيرة . قطعت الحديقة دون سائل ، ثم كان أول من قابلنى الأخ علاء قاسم ولم يكن أحدنا يعرف الآخر فسألته : أين مكتب أمين الشباب فقال لى : أنه ليس لدينا أمين للشباب ، فقلت له : أنا أمين الشباب ، ثم سرت إلى جواره دون تعليق حتى أوصلنى إلى مكتبى ، ثم جلسنا لساعات فى حوار طويل وعميق ، كان العمل مع الشباب هو إطاره ، وقد لمست فى كلماته اقترابا حميما من رؤيتى فقد كان يرى أن المشكلة ليست فى تلقين الشباب أبواب الميثاق العشر وإنما فى العمل على غرس القيم السياسية والاجتماعية الايجابية فيهم .. وكانت رؤيتى ـ باختصار ـ تدور حول ضرورة اعتماد اسلوب التربية السياسية لا التلقين وقد كان ذلك مصدر خلاف حاد ـ فيما بعد ـ مع عدد من قيادات المنظمة .

كان من الطبيعى أن أبدأ عملى بالاجتماع مع مكتب الأمانة حتى أتعرف على الموقف كاملا ، وكان مكتب الأمانة يتشكل من د . عادل عبدالفتاح ، د . محمود شريف (محافظ القاهرة حاليا) ود . عبدالأحد جمال الدين (رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة حاليا) وصلاح الشرنوبى ، عزت عبدالنبى ، عبدالغفار شكر (عضو الأمانة العامة لحزب التجمع حاليا) ، لواء جمال هدايت ، سعيد حشمت (مدير جهاز الرياضة بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة بعد ذلك) ، نور الدين فهمى ، هاشم العشيرى ، صلاح عبدالله .

قبل أول اجتماع للأمانة مباشرة ، فوجئت بكاريكاتير فى الأهرام لصلاح جاهين يصور استقبالى فى المنظمة ولم أفهم ماذا يقولون فسألت من بجوارى فقال : إنهم يقولون أهلا ، وقد أثار هذا الكاريكاتير غضب المنظمة كلها ، فقد اعتبروه إهانة لهم ، وكان على أن أبدأ بمحاولة امتصاص بعض أبخرة الغضب .

أعقب ذلك حضور الأخ محمد رجائى من التليفزيون (مدير القناة الثالثة حاليا) ليجرى معى حوارا ، لكن ما قلته فى الحوار ساعد على احتدام الغضب ، فحين سألنى عن وظيفة منظمة الشباب قلت إنها منظمة تربوية سياسية ، ولم ترق هذه الإجابة للشباب فقد قالوا أن التربية مسئولية وزارة التعليم ، أما المنظمة فهى تنظيم سياسى .

كانت تلك هى البداية ، ولذلك لم يكن غريبا أن يكون الانطباع السائد فى المنظمة بعد ذلك أننى إنما جئت مكلفا بتصفية المنظمة ولم يكن لذلك أى نصيب من الصحة بالقطع .

قلت منذ اليوم الأول إن أمامنا مهمة صعبة لإعادة الثقة حتى لا ينهار البناء العظيم الذى أقيم ، وترجمنا ذلك إلى برنامج لقاءات مع الشباب فى مواقعه المختلفة على مستوى جميع المحافظات ، وكانت اللقاءات والاجتماعات صاخبة وعاصفة ، يلقى فيها الشباب بكل الحنق والألم والتمزق دون تردد ، وكان الرد أكثر صعوبة بكثير فلم يكن هناك ما يمكن أن يقال تبريرا أو تخفيفا ، ولم يكن ثمة بديل عن أن تبدأ المنظمة بنفسها أول نقد ذاتى عام دون قيود أو ضوابط ، بدأنا من

القاعدة حتى القمة فى جميع مفردات خطة جديدة لعام ١٩٦٨ ، وقمنا ببناء الخطة بالفعل ، وقد بذلت فى سبيل تحقيق ذلك جهود كبيرة توجت بمؤتمر عام للمنظمة لمناقشة الإطار العام للخطة وإقرارها .

لم تتوقف المشكلات من حولنا ، فقد فوجئت ـ مثلا ـ بأنباء عن القيام بتشكيل تنظيم شبابى جديد فى الجامعة وأن المكلف ببناء هذا التنظيم هو السيد توفيق عويضة (سكرتير المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) وكان غريبا أن تتعدد تنظيمات الشباب دون تنسيق ، وقد كتبت بذلك إلى سامى شرف ثم صدرت التعليمات بوقف التنظيم الجديد .

وفوجئت فى ١٩٦٨/٨/١١ باستدعاء من السيد عبدالمحسن أبوالنور (الأمين العام للاتحاد الاشتراكى) لعقد اجتماع فى مكتبه ، وحين ذهبت وجدت د . حسين كامل بهاء الدين وقد تقدم بمذكرة يحتج فيها على الإطار العام لخطة ١٩٦٨ بانفعال شديد ، وقد كان انفعالا شخصيا ليس له ما يبرره ، فقد تصور أن التقييم النقدى لأعمال المنظمة فى الفترات السابقة ، يعنى طعنا فى قيادته أثناء توليه أمانة الشباب ، وهو ما لم يجل بخاطرى أو خاطر أى ممن شاركوا فى وضع هذه الخطة ، وقد تمنى أن يذكر فى مذكرته أن اسلوب رصد السلبيات هو اسلوب لا أخلاقى وهدام ، على الرغم من أننى لم أخاطب الشباب مرة واحدة دون أن أثنى على العمل الكبير الذى قامت به القيادة السابقة للمنظمة قبل النكسة ، ولقد وجدت أن التعامل الصحيح مع هذه المذكرة هو كتابة رد عليها وتحويلهما « المذكرة والرد » إلى مكتب الرئيس (وكلاهما موجود فى الوثائق الملحقة) .

لقد كانت العلاقة أيضا بين المنظمة والاستاذ محمد حسنين هيكل ينقصها كثير من الدفء والود ، فقد كان شباب المنظمة يأخذون عليه أنه لا يسمح بنشاط المنظمة فى مؤسسة الأهرام ، وقررت أن أذهب للقائه حيث دار بيننا حديث طويل بدأ بذكريات معرفتى الأولى به حينما كان يعمل مراسلا حربيا فى فلسطين خلال حرب عام ١٩٤٨ ، وقد طلبت منه أن يقرأ الإطار العام لخطة المنظمة وأنه يسعدنى أن أتعرف على رأيه .

وقد علمت بعد ذلك أن الرئيس عبدالناصر حول له الخطة لابداء الرأى ، وأنه كتب إلى الرئيس تعليقا بالغ الايجابية عليها ، ثم دعوته إلى لقاء مباشر مع الشباب ليقولوا فى حضوره مفردات نقدهم له وأبدى ترحيبا بذلك ، واتفقنا على أن يحضر مؤتمر الشباب فى ٥ فبراير ١٩٦٨ ، ولكن فى مساء يوم ٤ فبراير اتصل معتذرا عن عدم تمكنه من حضور المؤتمر لسفره إلى أسوان حيث كان الرئيس تيتو فى زيارة لمصر ، وكان قد صدر فى اليوم نفسه قرار بتعيين على صبرى أمينا للاتحاد الاشتراكى ، ولما كنت أعلم انشداد العلاقة بينهما ، فلست أعرف حتى الآن ما إذا كان الاعتذار بسبب زيارة تيتو ، أو بسبب وجود على صبرى .

لقد بدأنا هذا المؤتمر بنشيد « بلادى بلادى » فقد وقع اختيار المنظمة عليه

ليكون نشيدا خاصا بها ، وتم تعميمه فى كل مؤتمر واحتفال عام ، وقد أصبح هو النشيد الوطنى المصرى بعد ذلك عندما سمعه الرئيس أنور السادات في أحد المؤتمرات فقرر أن يصبح نشيد الوطن كله .

في يوم ١٩٦٨/١/٢٧ دعيت إلى لقاء مع على صبرى واستمر الحديث فى هذه المقابلة لمدة ساعتين متصلتين ، كان بدوره يبدى اعتراضا على خطة المنظمة الجديدة ، ولم تخرج اعتراضاته عن ذلك السياق الذى تضمنته مذكرة د . حسين كامل بهاء الدين ، بل إن أكثر ما أدهشنى اعتراضه على فكرة نشر البرنامج على نحو علنى فى جريدة الأهرام حسب اتفاقى مع محمد حسنين هيكل . فقد قال إن ذلك معناه إدخال أناس غير مسئولين فى مناقشة الخطة ، وكأنه يتصور أن منظمة الشباب أو أن العمل السياسى عموما هو كهنوت محظور على غير كهانه الاقتراب منه ، وكان من أغرب الأمور التى أثارها إيمانه الكامل بالكم لا الكيف ، رغم أن أكثر ما كنا نقوله قبل ذلك أن الاتحاد الاشتراكى يضم فى عضويته كذا والمنظمة كذا ونحن نشعر بالزهو أمام الأرقام الهائلة.

ثم انهار كل ذلك مع أول اكتشاف للحقيقة فى لحظة الهزيمة الدامية فى يونيه ١٩٦٧ ، ودون أن أدخل فى مزيد من التفاصيل فقد أوضح لى هذا اللقاء أن الأفكار الثابتة القديمة ماتزال متشبثة بذهنه ، رغم أنه فرضها على المنظمة قبل ذلك ، وكان أهم أسباب انهيارها ، ولكنه يعود بعد إعادة تعيينه لمحاولة فرضها من جديد ، وفى ظروف مختلفة ومناخ جديد ، كان يقينى أنه سيكون من الصعب التعامل معه وأن العمل الجديد الذى يدفع نبضا حارا فى عروق المنظمة والشباب لن يقدر لدورته أن تكتمل ، وقد سعيت الى مقابلة سامى شرف يوم ١/٢٨ وعرضت عليه كل ما دار وما أراه ورجوته أن يوصل ذلك إلى الرئيس لأننى غير مستعد لأن أتنازل عن الأسلوب الذى أراه صحيحا ، وكررت الأمر نفسه مع شعراوى جمعه ، أملا فى أن يرفع الرئيس التضارب ، ومع الأسف الشديد فإن ذلك لم يحدث .

لقد حاولنا فى المنظمة أن نستبق حوادث الصدام التى حدثت بين الثورة والأجيال الجديدة من الشباب ، وحاولت مذكرة أمانة الشباب - التى رفعت إلى التنظيم الطليعى فى ١٩٦٨/٢/١٢ أى قبل انفجار المظاهرات بعشرة أيام - أن تؤكد - حتى قبل صدور أحكام الطيران - أن المناخ العام يؤذن تحت تأثير الضغوط الشديدة على الجماهير بانفجار عام ، وسوف أورد بعض سطور هذه المذكرة (التى أرفق نصها بالوثائق الملحقة) .

قالت المذكرة :

« إن الجماهير التى خرجت فى التاسع والعاشر من يونيه الماضى والتى تتمسك بطريق النضال تعيش اليوم حالة من البلبلة والتشكك وفقدان الثقة فى القيادات وفى إمكان إحراز النصر ، إن مكتب أمانة الشباب قد استعرض الموقف الحالى

بكل أبعاده وجوانبه وبكل ما يحمله من خطورة على النظام والجماهير فى ظروف العدوان ، قبل التقدم بهذا التقرير .

وبالنسبة للاتجاهات السائدة بين الجماهير ، فقد كان للموقف المتناقض بين ما أعلنه السيد الرئيس فى ٢٣ يوليو و٢٣ نوفمبر الماضيين (١٩٦٧) وبين ما يجرى فى الحياة اليومية من أحداث وتغييرات لا تعبر عما يريده الشعب والقائد أثرا بالغا فى حالة اليأس والتشكك التى اجتاحت الجماهير فى الفترة الحالية والتى انعكست فى الاتجاهات التالية :

أ - الاستنكار التام لموقف أجهزة الإعلام فى الاذاعة والصحافة والتليفزيون وما تقدمه للمواطنين من مواد لا تتناسب مع واقع المعركة واحتياجاتها ، ومع استنكار الجماهير لموقف أجهزة الإعلام تتساءل فى الوقت نفسه عن موقف الأجهزة الثقافية التى تغرق الأسواق بالأفلام الجنسية والاباحية التى زاد معدلها بعد الخامس من يونيه فى الوقت الذى يملك فيه العالم عديدا من الأفلام البطولية أثبتت تجربة عرضها الاقبال المتزايد عليها .

ب - بينما يتحدث الرئيس عن اقتصاد الحرب فى ٢٣ نوفمبر (١٩٦٧) ويقول :

« إذا أردنا أن نصمد لابد أن يكون اقتصادنا اقتصاد حرب يتحمل معركة طويلة لأن عدونا سيستخدم ضدنا كل الأسلحة بما فى ذلك أسلحة الضغط الاقتصادى » ترى الجماهير فى مظهر الرخاء الذى يسود الحالة التموينية ما يتعارض ويتناقض مع احتياجات اقتصاد الحرب ، وفضلا عن ذلك فإن الاستهلاك ، الحكومى لم يحدث به من التغييرات ما يشير إلى أن الأمور جادة فى تطوير الاقتصاد لخدمة المعركة .

لقد زاد استياء الجماهير فضلا عما تقدم ، فإن هناك بعض التصرفات والتصريحات من بعض المسئولين تسير فى اتجاه يخالف ما أعلنه السيد الرئيس وتتطلبه احتياجات المعركة ، ويشيرون بذلك إلى القرار الصادر بتعيين « ٥ وكلاء وزارة جدد لوزارة الاقتصاد ليكون عددهم ١١ وكيلا وتصريحات وزير التموين عن إغراق الأسواق بالمواد التموينية) .

وكان طبيعيا أن تنعكس هذه الحالة على الانتاج فى المصانع وعلى الخدمات فى المواقع المختلفة خاصة الخدمات الصحية والمواصلات حيث تشير معدلات الانتاج ومستوى أداء الخدمات إلى حالة اليأس والحيرة التى تنتاب الجماهير .

جـ - وبينما يتحدث السيد الرئيس فى ٢٣ يوليو الماضى عن الجدية والحزم والتخطيط ودقة التنفيذ كدروس مستفادة من النكسة ، تعيش الجماهير مظاهر متعددة للارتجال والتخبط فى كثير من الأجهزة المسئولة .

د - وعندما يتحدث الرئيس عن مبدأ الثواب والحساب وعن ضرورة تجديد

القيادات وتمكين الأجيال الجديدة من المواقع المختلفة ترى الجماهير ما يتناقض مع هذه المبادىء والشعارات فضلا عما تردد بين الجماهير من آراء حول إعادة تعيين بعض الوزراء رغم تصرفاتهم السابقة التى يعلمها الجميع .

كما تنظر الجماهير إلى بعض القيادات المسئولة فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى والتى خلقت لها أمانات جديدة أو وضعوا دون عمل لمجرد الاستغناء عن خدماتهم فى الجهاز التنفيذى .

ومع هذه التساؤلات تنتهى الجماهير إلى الحكم بأن المعايير الشخصية فى الحكم على الأفراد لازال لها السيادة وأن من خرج ليلة الثورة مازال يحسب على الثورة بصرف النظر عن كفاءته وقدرته على العمل .

هـ - ولقد انعكست حالة فقدان الثقة فى القيادات واتخاذ التفسيرات المضادة للظواهر المختلفة على اتجاهات الرأى العام حول قضية التآمر على نظام الحكم فبينما يتساءل البعض عما حدث فى عامى ٥٧ و ١٩٦٢ كما ورد فى أقوال عباس رضوان ، وعن موقف الثورة من عملاء المتآمرين فى القطاع العام ومؤسسات الدولة ، وقد تمثلت آراء الجماهير فى هذه المحاكمات فيما يلى :

أ) أن هذه المحاكمات صورية وأنه حتى لو صدرت الأحكام بالإعدام فإن السيد الرئيس سيصدر أوامر بتخفيف الحكم .

ب) أن هذه المحاكمات تعبر عن مرحلة جديدة من مراحل التصفية الداخلية بين القيادات .

جـ) أن قفص الاتهام كان يمكن أن يجمع القيادات المسئولة فى مواقع الحكم ويوجه إليها الاتهامات نفسها فيما لو نجحت المؤامرة .

د) أن كل ما ذكر من انحرافات للقيادات المتآمرة ليس فيها جديد وسبق أن كشفها الشعب ، وكانت القيادات تقدم لها التبريرات أو أساليب الردع مما حال بينها وبين معرفة الحقيقة .

إن هذه الموجة من التردد والتشكك ونوبات اليأس تنتهى بالجماهير إلى عديد من النتائج :

أننا لم نستفد من دروس النكسة والهزيمة ولا زال الارتجال والتخبط يحكم الكثير من تصرفات الأجهزة التنفيذية والشعبية .

ثم يمضى التقرير بعد ذلك فى تقديم مقترحات تفصيلية للعمل لمواجهة الموقف من خلال اجراءات عاجلة وأخرى على المدى البعيد ، وثالثة متعلقة بالاتحاد الاشتراكى وبالديمقراطية .

وفى اجتماع الأمانة العامة للتنظيم الطليعى (٢/٢٠) رفضت المذكرة بعد أن

قدم سامى شرف مذكرة أخرى وردية اللون عن الوضع العام ، وحدثت مناقشة حادة أبديت خلالها إصرارى على رفع المذكرة للرئيس حتى لو اقتضى الأمر رفع المذكرتين ، ولكن شعراوى جمعه تدخل لتشكيل لجنة تضع مذكرة جديدة كنت أحد أعضائها ، وفى أثناء الاجتماع وصلت تقارير الرأى العام عن اثر إصدار أحكام الطيران ، وكانت التقارير توحى باحتمال قيام مظاهرات فى الجامعة فى اليوم التالى (٢/٢١) وكان ذلك هو ماحدث بالضبط .

ثم بدأت تتجمع تقارير الرأى العام على مستوى محافظات الجمهورية من داخل المنظمة بشأن الأحكام ونحن ما نزال داخل الاجتماع ، كان تقرير محافظة القاهرة يقول - مثلا :

أ - الاتجاه العام استياء شديد للغاية .

ب - ستخرج غدا مظاهرات على جميع مستويات الطلبة .

جـ - كتب على حائط احدى المؤسسات بوحدة قضايا الحكومة العبارة الآتية :

« صدقى محمود + ١٥ ألف شهيد فى سيناء + نكسة البلد + ضياع المعدات والأسلحة = ١٥ سنة فقط .. يا بلاش » .

محافظة الاسكندرية : « تربط الجماهير بين عقوبة المخدرات والاخوان وبين أحكام اليوم - أحكام السجن المؤبد على الرتب الصغيرة لتجنب الحكم على المسئولين الكبار » .

المحلة الكبرى : « اهتزت ثقة الجماهير فى كلمة الرئيس الأخيرة والتى أكد فيها أنه لن تكون هناك حلول وسط » .

المنيا وملوى : « رأى يقول أن التهمة ملفقة وأن الرئيس يهادن على مصلحة البلد » . « هذه الأحكام نكسة النكسة » .

سوهاج : « تتردد نكتة : شمس بدران وعباس رضوان حياخدوا لفت نظر » ..

أسيوط : « ضآلة الأحكام تدل على أن هناك مسئولين آخرين مشتركين فى مسئولية النكسة » .

(نص تقرير الرأى العام على مستوى محافظات مصر كلها ملحق بالوثائق تحت عنوان : طليعة الاشتراكيين - سرى للغاية - تقرير بشأن الرأى العام حول موضوع الأحكام) .

استمرت المظاهرات بعد ذلك دون انقطاع ووصلت إحداها إلى مجلس الأمة ، وخرج لها أنور السادات - رئيس المجلس آن ذاك - ولكن لأن المظاهرة لم تكن منظمة فلم يصل إلى نتيجة معها .

وفى يوم ٢٤ صدر قرار وزارة الداخلية بمنع المظاهرات ، ولكنها استمرت فى اليوم التالى أيضا ، وفى صباح يوم ٢/٢٧ اجتمع مكتب الأمانة مع على صبرى الذى صب على المنظمة هجوما شديدا ، واتهمها بأنها المسئولة عن تفجر المظاهرات ، وكان قولا غريبا ، فقد كان على صبرى قابعا فى مكتبه على امتداد الأحداث الساخنة ولم يبد رأيا أو توجيها ، ولم يمارس عملا سياسيا واحدا لمواجهة الموقف ، بينما كانت المنظمة تبذل قصارى جهدها لاحتواء الموقف وفض اعتصام الطلاب .

فى مساء اليوم نفسه عقد فى مجلس الشيوخ (مجلس الشورى حاليا) اجتماع مع طلاب كلية الهندسة شارك فيه ٢٠٠ طالب وحضره أنور السادات الذى وافق الطلاب على أن ما حدث كان خطأ .. وقد حضر الاجتماع شعراوى جمعه ولبيب شقير (وزير التعليم العالى) ومديرو الجامعات .

عقدت بعد ذلك جلسة لمجلس الأمة لمناقشة الأحوال السائدة ، وكان يرأس الجلسة أنور السادات ، وقد كانت جلسة صاخبة ، جال وصال فيها أحد الأعضاء حيث سب الاتحاد الاشتراكى وقيادته والمنظمة واتهمهم بتدبير المظاهرات ، وحين ألقى شعراوى جمعه بيانه أمام المجلس ذكر أن هناك اتفاقا بين الاتحاد الاشتراكى والمنظمة ووزارة الداخلية بمنع المظاهرات منعا باتا وهو ما لم يحدث بالفعل ، وقد كان واضحا أن هناك تآمرا مشتركا على المنظمة باتفاق أقوال على صبرى صباحا وأقوال شعراوى جمعه أمام مجلس الأمة ، وتقارير أمين هويدى من المخابرات العامة ، مما دفعنى إلى أن أكتب مذكرة ثانية إلى الرئيس اخترت أن أرسلها أيضا عن طريق محمد أحمد (مرفق نص المذكرة بالوثائق الملحقة) .

وبالرغم من تعليمات الرئيس التى صدرت فى اليوم السابق والتى جاءت ببيان وزير الداخلية أمام مجلس الأمة ، فإن الطلبة الذين سبق أن أمنهم أنور السادات رئيس المجلس عند لقائه بهم قد تم القبض عليهم فى اليوم نفسه ليلا فى منازلهم مما أدى إلى زيادة تفاقم الموقف فى صباح اليوم التالى .

وفوجئت بعلى صبرى يطلب منى فى هذا اليوم أن تتصدى المنظمة للرجعية وأن تكشفها وتعمل على تعريتها حتى بين أعضاء مجلس الأمة ،.كما طلب منى تشكيل لجان للدفاع عن « الثورة الاشتراكية » غير أنه عاد فى اجتماع آخر يوم (٣/١١) إلى النغمة الأولى مؤكدا أن المنظمة هى السبب فى كل الاضطرابات ، لأنها تسير حسب ألفاظه نفسها على « الخط الشيوعى » وأنها تخلق مع الجماهير قوة ضغط على القيادة وتشكك فيها .

كانت المنظمة قد نجحت فى فض الاعتصام بكلية الهندسة ، وقد كان للأستاذ الدكتور أسامة الخولى فضل كبير فى معاونة المنظمة على فض الاعتصام ، وهو الأستاذ الفاضل الذى كان يسعى إلى خير طلبته وخير الوطن .

في يوم ٣/١١ أبلغت بقرار لعلى صبرى كان يعنى إلغاء استقلالية المنظمة نهائيا ، وذلك - كما قال - بتوحيد القيادة بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى عن طريق أمناء المكاتب التنفيذية ، وفى مساء اليوم نفسه قابلت سامى شرف وشعراوى جمعه وشرحت لهما كل متاعبى مع على صبرى ، وكان تقديرى أن على صبرى قد أصدر قرارا بإعدام منظمة الشباب ليس لأنها حاولت أن تستوعب طاقة الأجيال الجديدة ، وأن تمارس بها دورا تصحيحيا للأخطاء التى تراكمت ، وإنما لأنها - أيضا - لم تعد بحكم ما تراكم فيها من طاقة ، غير خاضعة لسلطته .

وفى يوم ٤/١٤ عقد اجتماع مع قيادات المنظمة على مستوى أمناء المحافظات والمراكز وحضره على صبرى ، وحين سألنى الشباب قبل الاجتماع ماذا يقولون ، قلت لهم أن يقولوا كل ما يعتمل فى نفوسهم دون تردد أو خشية ، وكانت المواجهة بين على صبرى والشباب ملتهبة ، فقد اندفعوا فى نقد حاد لكل الإجراءات التى اتبعت والاعتقالات التى تمت ، وتقارير المخابرات ووصل الصدام والاحتدام حد أن أحد الشباب سأل دون مواربة ، من أين له تلك الفيللا الفاخرة التى تقطنها والتى قيل عن تكاليفها الكثير ، ورد هو بأنها ثمن بعض الأفدنة التى كان يمتلكها وباعها ، وخرج على صبرى من هذا الاجتماع بأن كل الاجراءات التى اتخذت لتحجيم دور المنظمة وإلغاء استقلاليتها لم تكن كافية .

وهكذا حين صدر بعد بيان « ٣٠ مارس ١٩٦٨ » قرار باستقالة الأمانة العامة ، كنت العضو الوحيد الذى أبهجنى القرار لأنه سيعفنى أن أترك العمل مع على صبرى .

وقد استعدت فى تلك اللحظة نص كلمات قالها لى جمال عبدالناصر فى لقاء منفرد :

لقد قال لى جمال عبدالناصر بالحرف الواحد :

« إن على صبرى رجل غلبان ، فالناس تحسبه على روسيا وهو أبعد ما يكون عن ذلك ، وبعض الناس تحسبه على أمريكا وهو لا هذا ولا ذاك » .

كانت اللطمة شديدة ، ليس بالنسبة لى فقد حاولت بقدر ما وسعنى الوقت والجهد والظروف ، ولكن بالنسبة للأجيال الجديدة التى كانت تريد أن ترفع أنقاض الهزيمة لتعيد بناء وطنها .

فى أتون تجربة منظمة الشباب

لايمكن تقييم تجربة منظمة الشباب فى هذه الظروف دون الرجوع إلى حقيقة أساسية تنطبق على جميع التنظيمات الشبابية التى أقيمت بعد الثورة ، ودون أن أدخل فى التفاصيل فإن هذه الحقيقة يمكن تلخيصها فى أن الهدف من أى من هذه التنظيمات لم يكن فى الواقع هو استثمار طاقات الأجيال الجديدة ولا الزج بهذه الطاقات فى معارك البناء والتنمية ، ولكنه كان أقرب إلى احتواء هذه الطاقات ولذلك لم يكن مسموحا للشباب بأن يعبر عن خصوصيته بشكل مستقل ، ولا أن يتعامل مع أى مرحلة من مراحل الثورة تعاملا نقديا ، كان المطلوب هو الاصطفاف القوى باسم مخاطر الثورة المضادة ، والتعبئة ، بمقاييس الحكم المعروفة ، بينما لم يكن بمقدور الحكم أن يضع قاعدة رصيد راسخة ، ولم يكن الاكتفاء بالهتاف الموحد ، يمكن أن يشكل حائطا يمنع الثورة المضادة من أن تأكل البراعم الجديدة قبل الجذور .

لقد حاولت ـ خلال تجربتى ـ أن أعبر عن رؤية مختلفة ، وكان أقرب الوسائل للتعبير عن هذه الرؤية ، هو عدم الانفصال عن مشاعر الشباب ، ولذلك حاولت أن أكون أمينا فى التعبير عن هذه المشاعر فى أعقاب صدور أحكام الطيران ، وأن تصل هذه المشاعر بدقة إلى الرئيس عبدالناصر ، ولهذا لم أتورع عن إرسال برقية باسم الشباب فى أوج المظاهرات التى اندلعت ضد الأحكام إلى الرئيس عبدالناصر ، وهى برقية اعتبرها البعض اساءة إلى النظام ورأى آخرون عندما وقعت فى أيديهم أنها لا يمكن إلا أن تكون مزورة .

كان نص البرقية يقول بالحرف الواحد :

« السيد الرئيس جمال عبدالناصر ...

مكتب أمانة الشباب يستنكر الأحكام على المسئولين عن نكسة الطيران ويرى أنها لا تعبر عن الحساب العادل لمسئولية هذه الأشخاص .. باسم الشباب الاشتراكى نطالب بإلغاء هذه الأحكام وإحالة القضية إلى محكمة ثورة ..

إن وفاءنا للثورة وإيماننا بقيادتكم وإخلاصنا للمبادىء التى ناضلتم من أجلها يجعلنا نصر على ضرورة اتخاذ اجراءات حاسمة تحمى الثورة ومصالح الشعب .

أحمد كامل عضو الأمانة العامة وأمين الشباب » .

كان أحد بواعث إرسال البرقية ـ أيضا ـ أن الشباب لم تتح له مع القيادة من قبل سوى قناة اتصال واحدة وحيدة الاتجاه من أعلى إلى أسفل ، وكنت أرى أن الوضع ينبغي أن يصحح وأن تكون قنوات الاتصال ذات اتجاهين حتى تسمع القيادات صوت القواعد الصحيح .

إذا عدت إلى موضوع المظاهرات الطلابية العارمة في عام ١٩٦٨ فإنني أريد أن أؤكد أن كل من يملك بصيرة سياسية كان يمكن أن يتوقع الانفجار قبل ذلك بشهور طويلة .

كان الشعور بالرفض واضحا في القواعد الشعبية ، ولكن القيادة السياسية ظلت تعيش في أحلام قوتها الغاربة ، فلم تدرك أن هزيمة ١٩٦٧ أوصلت الثورة إلى مرحلة الشيخوخة ، وكان أحد عيوب المهيمنين على السياسة في بلادنا أنهم اعتمدوا بشكل كلي على تقارير الأجهزة وتصوروا أنه يمكن امتصاص مشاعر الغضب والرفض بالتبريرات والمهدئات المختلفة ، لقد تصوروا أيضا أن تمسك جماهير الشعب بجمال عبدالناصر في ٩ و١٠ يونيه ١٩٦٧ ، كان بمثابة توقيع شعبي على « شيك » على بياض للقيادة السياسية ، ولم يكن ذلك صحيحا ، لأنهم لم يلمسوا نبض الجماهير الحقيقي ، ولم يتبينوا أن تمسك الجماهير بعبدالناصر

كان مشروطا بضرورة التغيير في كل شيء .. كانت الجماهير تريد من جمال عبدالناصر أن يعمل باسمها لتغيير نظام الحكم بما فيه تلك القيادات التي تصورت الجماهير أنها كانت السبب وراء الهزيمة النكراء .

وجاءت أحكام الطيران بصراحة ووضوح لتهز ثقة الناس في أن النظام قادر على أن يصحح نفسه بنفسه ، ويغير بيديه .

كان الشباب في هذه المرحلة هو نبض بلادنا الحقيقي ، وفي كل مؤتمراته كان التقاط الصورة الحقيقية لا يحتاج إلى مجهود ، كانت هناك استفهامات وتساؤلات عن إعادة على صبري لأمانة الاتحاد الاشتراكي في ١٩٦٨/١/٢٧ بعد أن عزل عنها في أعقاب الهزيمة وكان ذلك أول محك لعدم الجدية في التغيير الذي ينتظره .

أذكر أنه في يوم ١٩٦٨/٢/١٢ عقد اجتماع للأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي ، وأثير فيه موضوع الرأي العام ، ومطالبه الواضحة الضاغطة بالتغيير وكان رد على صبري واضحا : أنه لا تغيير حاليا وأن العمل سوف يسير على ما هو عليه .

أذكر أيضا أنه في يوم ١٩٦٨/٢/١٩ عقد اجتماع لأمانة طليعة الاشتراكيين وقد عرضت فيه مذكرة مكتب الأمانة ، واختلف الرأي حولها ، لأن سامي شرف تقدم وقرأ تقريرا يقدم صورة وردية للموقف ولرضا الناس ، وهو ما كان يجافي الحقيقة تماما ، وقد اعترضت على هذه الصورة الوردية التي تضمنها التقرير ، حتى احتدم الخلاف بيننا ثم تدخل شعراوي جمعه وأحال التقرير إلى لجنة تتولى تقديم تقرير آخر للرئيس عبدالناصر في اليوم التالي .

وقد تم فعلا اجتماع اللجنة في يوم ١٩٦٨/٢/٢٠ في مكتب سامي شرف ، وكنت أحد أعضائها ، وفي هذا اليوم صدرت أحكام الطيران وبدا للوهلة الأولى أن هناك اعتراضا شعبيا على هذه الأحكام ، حيث بدأت تتوالى علينا ونحن في الاجتماع تقارير الرأى العام من المنظمة ومن تنظيم طليعة الاشتراكيين بالقاهرة ، وكانت كلها تجمع على تبلور احتجاج شعبي شديد على الأحكام ، وقد تضمن بعضها احتمال انفجار تظاهرات وأعمال عنف ، كرد فعل للأحكام .

وفي أوج الاجتماع اتصل الرئيس عبدالناصر بسامي شرف وقدم سامي عبر أسلاك التليفون إلى الرئيس في حضورنا صورة عن الموقف ، وهذا كله يعني أن المظاهرات لم تكن مفاجأة لجمال عبدالناصر .

فعلى الرغم من ظهور الأحكام في جريدة « المساء » حتى لا تعطى أهمية إعلامية ، فما أكثر ما تضمنت التقارير قيام أناس عاديين بتمزيق الجريدة في وسائل النقل العام ، مثلما داسوها على الأرصفة .

وفي نفس هذا الاجتماع اتفق على أن تتولى المنظمة محاولة احتواء المظاهرات ، وتهدئتها أو تحويلها إلى مؤتمرات بدلا من خروجها إلى الشوارع ، وقد أبلغت هذا الكلام إلى على صبرى في المساء ، كما يفترض أن سامي شرف أبلغه إلى الرئيس فور انتهاء الاجتماع .

ثم كان اليوم التالي هو يوم ٢١ فبراير ، وهو ذكرى يوم الطالب العالمي الذي يحتفل به الطلاب في جميع أنحاء العالم بعد أن أتخذوه عيدا لهم تحية لنضال الطلاب المصريين في الحادثة المشهورة عام ١٩٤٦ .

كان طلاب الجامعة قد حاولوا أن يحصلوا على تصريح من وزير التعليم العالي بعقد اجتماع احتفائي للمناسبة في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، ولكن خشية المسئولين من اجتماع هذا العدد الكبير من الطلاب الذي يمكن أن يكون في حد ذاته محرضا على الانفجار حالت دون منحهم التصريح بإقامة الاحتفال .

وتم الاتفاق بالفعل على أن يحتفل الطلاب في كلياتهم دون تجمع مركزي ووافق الطلاب على ذلك ، ومر الصباح هادئا بالجامعات حتى بدأت بوادر المظاهرات العمالية في حلوان ، وعلى وجه التحديد من مصنع ٣٦ الحربي ، وقد تجمهر العمال في البداية ولكن مدير المصنع تصرف معهم بحس بيروقراطي متسلط فازدادت الإثارة ، وتحول التجمع إلى مظاهرة .. خرجت منظمة وسلمية وكان ينظم حركتها شباب المنظمة أنفسهم ، ثم انضم عمال مصنع ١٣٥ و ٣٦٠ وكلها بالمناسبة مصانع طائرات إلى عمال مصنع ٣٦ ، وحضر إلى المظاهرة عبداللطيف بلطية حيث حمله العمال على أكتافهم تعبيرا عن مظاهرتهم السلمية للتعبير عن آرائهم في الأحكام ، لكن الشرطة واجهت المظاهرة دون حوار بخراطيم المياه ثم بالقنابل المسيلة للدموع ، وفي مناخ التوتر والرفض تصاعدت الإثارة ، وتعرض

قسم حلوان إلى الاعتداء ، ومع تصاعد الموقف وتأزمه ثم انفجاره ، استخدمت الشرطة بنادق الخرطوش ثم الطلقات الحية التى أصيب من جرائها عاملان نقلا إلى مستشفى حلوان .

وكان طبيعيا أن تصل هذه الأخبار مهولة ومبالغا فيها كالعادة إلى طلبة كلية الهندسة بجامعة القاهرة ، حيث كانت الكلية الوحيدة التى تأجل مؤتمرها إلى ما بعد الظهر وبدأت المظاهرة فى الجامعة احتجاجا على تصرف الشرطة مع العمال فى حلوان ولم يعرف عبدالناصر بخبر إطلاق الرصاص على المتظاهرين ، كما سبق وأن أوضحت ، إلا من تلك المكالمة التليفونية التى تمت معى يوم ٣ مارس .

وفى اجتماع تم بمكتب على صبرى يوم ٢٢/٢ حضره مديرو الجامعات وأمناء المكاتب التنفيذية ولبيب شقير وزير التعليم ، وأمين هويدى وزير الدولة إضافة إلى شعراوى جمعه وسامى شرف ، بدا تجاهلى تماما ، واتفق على أن يجتمع وزير التعليم العالى بالطلاب ، ولم يقدر لهذا القرار أن يرى النجاح ، فقد انفجرت المظاهرات ثانية فى شكل تجمعات داخل الحرم الجامعى لجامعة القاهرة ، وبدلا من تركها داخل الجامعة ، تم التعامل معها من خارج الجامعة بقذفها بالقنابل المسيلة للدموع .

وقد اتصل بى فى هذا التوقيت بعض أساتذة الجامعة يستغيثون ويحذرون من نتيجة هذا الاستفزاز ، ولم يحل ذلك كله دون أن تخرج المظاهرات العارمة من الجامعة ، وأن تصل وهى تطلق شعارات تعبر عن التمزق والألم والعنف حتى قلب ميدان التحرير ، ولم تمنع خراطيم المياه والعصى والقنابل المسيلة للدموع من استمرار المظاهرات فى اليوم التالى فى جامعتى القاهرة وعين شمس ، قبل أن يعتصم طلاب هندسة القاهرة وعين شمس فى مقار كلياتهم .

كانت الناس تطالب بالتغيير إذن ، وقد صدمتها أحكام الطيران لأنها رأت فيها علامة على أن التغيير الذى تنتظره لن يجيء .. كانت الجماهير تتجه إلى مجلس الشعب معبرة عن رفضها للأجهزة السياسية القائمة التى لم تعد تمثلها ولم تعد قادرة على استيعاب حركتها السياسية ، لكن بعض تداعيات الوضع فى النهاية كان

نتيجة مؤكدة للأسلوب الإدارى الذى تعاملت به أجهزة الدولة مع بوادر ومقدمات الغضب والرفض التى كانت واضحة قبل ذلك بشهور ، ثم لهذا الأسلوب نفسه الذى تصدت به لفورة الحماس الوطنى للشباب الذى كان يتعجل التغيير وهو يحاول أن ينفى الهزيمة فى داخله .

كانت الأجهزة السياسية كلها قد أصابها الشلل ، بينما كانت منظمة الشباب هى الجهاز السياسى الوحيد الذى يعمل والذى لم يفقد ثقة الطلاب والشباب به ، ولذلك كان طبيعيا أن يسارع بقية المسئولين لتحميل منظمة الشباب نفسها مسئولية انفجار المظاهرات والتحريض عليها ، وكان ذلك يعنى أيضا من بين ما يعنيه أن القيادات السياسية مصرة على الاستمرار فى غيها ، وفى يوم ١٩٦٨/٢/٢٧

اجتمع على صبرى مع مكتب الأمانة العامة واستمر الاجتماع أربع ساعات متصلة ولكن ظل على امتدادها متمسكا برأيه فى عدم التغيير لأنه لم يكن مقتنعا أن الناس تطلب التغيير بالفعل وكان مثله الذى ضربه فى ذلك تشرشل وحكومة الحرب البريطانية التى كانت تتكون من خمسة أفراد أداروا الدولة وأداروا آلة الحرب البريطانية فى مجتمع ليبرالى دون اعتراض .

أما بالنسبة للرئيس عبدالناصر ، فمن المؤكد أن جميع التقارير قد وصلت له قبيل المظاهرات وأثناءها وبعدها ، ومن المؤكد أن صوت الشعب الحقيقى كان قادرا على أن يخترق الصفوف ويصل إليه ، ومن المؤكد أن برنامج ٣٠ مارس لم يأت من فراغ وإنما جاء محاولا أن يتجاوب مع الصوت الداخلى للمظاهرات ، ولكن روح برنامج ٣٠ مارس رغم كل ذلك لم يقدر لها أن تتحقق أو تسود .

بالنسبة لى فقد حاولت أن أضع ما أراه كاملا بين يدى الرئيس ، وقد اخترت فى هذه اللحظة قناة أخرى غير قنوات التنظيم الطليعى ، وسامى شرف ، فقد تحدثت مع محمد أحمد سكرتير الرئيس واتفقت معه على أن أرفع مذكرة شاملة للرئيس من خلاله ، ووافق وتسلم المذكرة يوم ١٥ مارس ١٩٦٨ وسلمها إلى عبدالناصر بالفعل .

إن هذه المذكرة تعكس الوضع كاملا ، وقد لا تحتاج بما تتضمنه أى شرح أو توضيح ولذلك فإننى حريص على أن أوردها بنصها :

لقد كان نصها يقول :

السيد الرئيس :

تحية واحتراما وولاء

فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ وطننا أجد أن من واجبى أن أضع تحت أنظار سيادتكم بعض الحقائق التى توضح موقفا يؤخذ من المنظمة حاليا ، فمنظمة الشباب الآن متهمة بأنها هى سبب جميع الاضطرابات ، بل أن تفكك قيادتها وتسيبها هو الذى أدى إلى أن تظهر المنظمة بهذه الصورة التى يحاول أن تلصق بها ، وأحب أن أعرض على سيادتكم الحقائق التالية :

١ ـ أننى يوم استلمت عملى بالمنظمة وجدتها فى حالة رهيبة من التفكك بل قوبلت أنا نفسى بشعور عدائى استمر لفترة طويلة نتيجة تولى ضابط سابق ، وقد حرصت على أن أعرف حقيقة الأمور بنفسى وقد زرت حتى الآن ١٤ محافظة اجتمعت خلالها بكثير من شباب المنظمة الذى عبر عن نفسه بصدق وأعلن رفضه لجميع الأساليب القديمة .

٢ ـ أن قيادات المنظمة فى السكرتارية المركزية كانت دائما ما تقول أنها كانت

تعمل بأوامر القيادة السياسية وقد قال لى حسين كامل بهاء الدين أنه لم يكن مسئولا عن شيء وأنه كان يعمل بتعليمات وتوجيهات القيادة السياسية .

٣ ـ لم أسع إلى تطهير المنظمة وهى فى هذه الحالة من التسيب الشديد لسببين :

أ ـ عدم قدرتى على الحكم الصحيح بالنسبة لكفاءة الأفراد حيث أننى كنت أعمل بنفس القيادات القديمة والتى كانت دائما ما تحاول أن تغطى جميع الأخطاء التى ارتكبت فى ذلك الوقت .

ب ـ خوفى الشديد من أن من تطهره المنظمة سوف تلتقطه أية تنظيمات مضادة خاصة أن الشباب دائما ما كان يعبر عن ضرورة التغيير بعد الظروف التى مرت بها البلاد وتصورهم المستمر أنه مازالت هناك مراكز للقوة تحول بين الزعيم والقائد والقدرة على التغيير .

٤ ـ بعد ذلك خرجت بعد الدراسة المستفيضة بخطة عمل عرضتها على القواعد لمناقشتها وقد تضمنت هذه الخطة النقد الذى وجه إلى المنظمة بواسطة الاعضاء أنفسهم وضمنها أسلوب علمى لجميع ما ورد من نقد . وقد بدأت هذه الخطة فى جذب الكثير من الشباب للبدء فى عمل جدى منظم .

٥ ـ فى جميع مجريات الأمور وجميع التصرفات كنت أخطر بها السيد سامى شرف كذلك السيد عبدالمحسن أبوالنور وكثيرا ما طالبت بالتوجيهات فيما أقوم به من عمل وخاصة فى موضوعين رئيسيين وهما موضوع العلاقات الخارجية كذلك موضوع الخطة ولكن لم تصل إلى أية توجيهات فى هذا الشأن .

٦ ـ فوجئت بعد ذلك بمهاجمة شديدة للإطار العام للخطة من السيد حسين كامل بهاء الدين فى خطاب أرسلت صورته إلى السيد سامى شرف وعرضته على السيد شعراوى جمعه ونصحت بتجاهل هذا الخطاب وعلمت بعد ذلك أن السيد على صبرى قد ضايقه أيضا نشر الإطار العام للخطة .

٧ ـ تطورت الأحداث بعد ذلك وعين السيد على صبرى أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى العربى وقد قابلته فى اجتماعات طويلة وشرحت له تفصيلا حقيقة الأمور فى المنظمة وحقيقة موقفى ، وقد عرضت صورة كاملة لما دار بينى وبينه من أحاديث على السيد سامى شرف وعلى السيد شعراوى جمعه وقد نقلت إليهما إحساسى بأن السيد على صبرى لا يرضى عن وجودى فى موقع عملى فى المنظمة وأننى أرجو أن يعرض كل ذلك على سيادتكم .

٨ ـ كان واضحا لى باستمرار إصرار السيد على صبرى على نظريته بأن الكم هو الأساس بالنسبة للمنظمة وأنه يرى تسيبا فى المنظمة وأن الالزام هو الأساس فى عمل أى تنظيم وكان هذا يناقض باستمرار واقعا أعيش فيه من خلال عملى

المستمر ولقاءاتى المستمرة بالشباب ورفضهم المستمر للأسلوب القديم فى العمل داخل المنظمة ونقدهم المر لجميع أوجه الحياة فى داخل التنظيم السياسى وفى خارجه ، وقد كان كل ذلك واضحا فى اجتماع السيد على صبرى بأمناء لجان المحافظات فى ١٩٦٨/٢/٣ وفى خطابه إلى مؤتمر شباب القاهرة فى يوم ١٩٦٨/٢/٣ ، ١٩٦٨/٣/٤ .

٩ - من اللقاءات الكثيرة مع الشباب ومن تقارير الرأى العام وما كانت تعبر عنه ، رأى مكتب أمانة الشباب أن من واجبه أن يرفع مذكرة شاملة عن الموقف وما وصل إليه الرأى العام وانتهى من إعداد هذه المذكرة فى ١٩٦٨/٢/١٢ وكلفت برفعها إلى السيد الأمين العام .

١٠ - فى يوم ١٩٦٨/٢/١٣ عقد اجتماع للأمانة العامة للاتحاد برئاسة السيد على صبرى وقد أثير فيه موضوع الرأى العام ومطالبته الشديدة بالتغيير وكان رد السيد على صبرى واضحا أنه لا تغيير حاليا وأن العمل سوف يستمر على ما هو عليه ، وأنه لا ينتظر عقد اجتماعات للأمانة وأنه يميل أكثر إلى الاتصالات الفردية ، وعلى هذا فضلت ألا أعرض المذكرة التى تم إعدادها بواسطة مكتب الأمانة لأننى أعتبرت أن هذا رد كاف على المذكرة .

١١ - عقد اجتماع يوم ١٩٦٨/٢/١٩ لأمانة طليعة الاشتراكيين وقد عرضت فيه مذكرة الأمانة واختلف الرأى عليها وأحال السيد شعراوى جمعه جميع التقارير المقدمة إلى لجنة الأمانة كلفت أن أكون أحد أعضائها لتعد تقريرا شاملا يرفع إلى سيادتكم .

١٢ - فى يوم ١٩٦٨/٢/٢٠ اجتمعت اللجنة فى مكتب السيد سامى شرف وفى هذا اليوم صدرت أحكام الطيران وبدا من أول وهلة أن هناك اعتراضا شديدا على الأحكام ، وفى أثناء وجودى بمكتب السيد سامى شرف بدأت تتوالى تقارير الرأى العام من المنظمة وبدأ تجميع الرأى العام من تنظيم الطليعة بالقاهرة وكانت كلها تتفق فى الاحتجاج الشديد على الأحكام ، ومن ضمن تقارير الرأى العام كان

هناك احتمال قيام مظاهرات فى بعض الأماكن وبدأت المنظمة تسأل عن واجبها ، وكان على أن أتخذ قرارا وبعد بحث الموضوع من كل وجوهه ، وكان قد تم اتصال سيادتكم بالسيد سامى شرف استقر الرأى على أن أصدر التوجيهات التالية :

أ - أن يحاول أعضاء المنظمة تفرقة أية تجمعات صغيرة ولا اعتراض أن يعبروا عن رأيهم باسلوب منظم .

ب - إذا حدثت تجمعات كبيرة فليحاول أعضاء المنظمة جعلها تتحرك إلى مؤتمرات تعبر عن رأيها بأسلوب منظم .

جـ - إذا أصرت الجماهير على الخروج فى مظاهرة فليكن واجب المنظمة حمايتها من أى تدخل من جانب القوى الرجعية .

وقد اتصلت تليفونيا بالسيد على صبرى فى حوالى منتصف الليل وقرأت عليه تقارير الرأى العام والتوجيهات التى سوف أصدرها للمنظمة وطلبت توجيهات سيادته فى ذلك فوافق .

كل ذلك صدر بحضور السيد سامى شرف ومن مكتبه وقد طلبت منه أن يخطر الداخلية بهذه التعليمات لدى المنظمة حتى لا تتعرض الشرطة للمظاهرات ويحدث مالا يكون فى الحسبان .

١٣ ـ فى الأيام السابقة أيضا تم اتصال بين اتحادات الطلاب والسيد وزير التعليم العالى بطلب عقد يوم الطالب العالمى وهو يوم ٢١ فبراير فى قاعة الاحتفالات الكبرى فى جامعة القاهرة ورفض السيد الوزير الطلب وأبلغت أن الطلبة يقولون أن السيد وزير التعليم العالى أخطرهم أن هناك اتفاقا بين المنظمة وبينه بهذا الخصوص فاتصلت به وأفهمنى أن هذا لم يحدث وأنه فعلا لم يوافق على عقد المؤتمر فى قاعة الاحتفالات الكبرى ولكنه صرح بعقد مؤتمرات على مستوى الكليات وقد أثار هذا التصرف الطلاب .

١٤ـ فى يوم ٢١/٢ مر اليوم هادئا فى الصباح بالجامعات ، ولكن بدأ التبليغ عن مظاهرات فى حلوان من مصنع ٣٦ ، وكان متوقعا هذا من اليوم السابق ، وكان تصرف السيد مدير المصنع هو الذى أثار العمال وفى النهاية تحول تجمهرهم إلى مظاهرة خرجت منظمة وكان ينظم حركتها شباب المنظمة ، وخرج مع عمال مصنع ٣٦ عمال من مصنع ١٣٥ ، ٣٦٠ وكلها مصانع الطائرات ، وللأسف الشديد تعرضت الشرطة للمظاهرة بخراطيم المياه والقنابل المسيلة للدموع مما أدى إلى إثارة الجماهير وانتهى بإطلاق بنادق الخرطوش والرصاص (يقال أنه من مسدس المأمور)

لماذا إذن لم يغير جمال عبدالناصر أولئك الذين كان يعتقد الناس أنهم أحد أسباب الهزيمة .

أن أكثر التفسيرات ابتذالا تقول إن جمال عبدالناصر لم يكن قادرا على أن يغيرهم ، بسبب ظروف مركبة فى مقدمتها أنهم تحولوا إلى مراكز قوى حقيقية فى ظل مرضه ، وفى وقت الاستعداد لمعركة التحرير .

أستطيع أن أؤكد أن جمال عبدالناصر كان مصرا على التمسك بهم ، فقد انتقاهم بنفسه ، وأستطيع أن أؤكد أكثر أنه لم يكن من الممكن أو المتاح أن ينشأ مركز قوى إلى جوار عبدالناصر لا يمتلك هو كل الوسائل الحاسمة للاطاحة به .

لم يكن عبدالناصر عاجزا أو ضعيفا أمامهم ، ولم تكن فرصة التغيير قد تبددت من يده ، ولكنه كان يعتقد ـ وليكن للتاريخ حكمة كما يشاء بعد ذلك ـ أنهم ينبغى أن يظلوا فى أماكنهم على مقاعد الحكم .

أستطيع أن أستعيد صورة عزل على صبرى من أمانة الاتحاد الاشتراكى للمرة

الثانية بعد الهزيمة ، لقد طلب عبدالناصر أخذ الموافقة على القرار برفع الأيدى ، وتسابق أعضاء اللجنة المركزية فى إعلانهم على الموافقة ، بل لقد ارتفعت الأيدى الموافقة بسرعة خاطفة حتى خيل للمرء أن عددها قد تضاعف ، كان هناك سبق من الأعضاء على الموافقة ولم يمض وقت طويل حتى تم اختيار على صبرى عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا ثم مسئولا عن الطيران بدرجة وزير ، وكان الاختيار فى كل مرة من نصيب شخص واحد هو جمال عبدالناصر .

أستطيع أيضا أن أستعيد جانبا من تلك المكالمة التليفونية التى جرت بينى وبين جمال عبدالناصر ، عند نقطة محددة سألنى عبدالناصر بتحديد صارم :

ماذا يطلب الناس ؟

قلت : إنهم يطلبون التغيير .

كنت أعلم أنه شديد الحساسية فى مواجهة هذه الكلمة ، ولهذا لم أفاجأ حين جاءنى صوته مشبعا بالتوتر والضيق .. وما التغيير الذى يريدونه ؟

قلت وأنا أحاول أن أتوازن : اسلوب الحكم .

استطرد بهدوء أكثر : أوافق على تغيير الأسلوب ، لكن الأشخاص من أين نأتى بهم .. هل نلجأ إلى الاستيراد ؟

قلت : سيادة الرئيس أى تغيير فى اسلوب الحكم يعنى تغيير الأشخاص القائمين عليه حاليا ، إذ كيف تغير الأسلوب بنفس الأشخاص .

رد عبدالناصر وهو ينهى الحديث : الموضوع يحتاج إلى التفكير .

كان عبدالناصر ـ إذن ـ قويا وقادرا ، ولكن هو نفسه لم يكن يميل إلى إحداث التغيير المطلوب .

أما الرد الثانى على مسألة عدم تغيير الأشخاص بأنه كان يحتاج للتخلص منهم إلى طريقة دستورية ، فيكفى أن يكون الرد عليه فى شكل تساؤل : منذ متى كانت الطريقة الدستورية هى وسيلة تغيير الأفراد فى نظام حكم جمال عبدالناصر ؟ .

يبقى الرد الأخير ، وهو أن عبدالناصر قام بمحاولة ثانية للتغيير فى أعقاب ذلك ، فى صورة تشكيل لجنة المواطنين من أجل المعركة .

ولا أعتقد أن أحدا سيختلف معى اذا قلت أن هذه اللجنة التى وضع على رأسها حافظ بدوى قد ولدت ميتة .

لقد تم اختيارى عضوا فى هذه اللجنة ، وتم تقسيمها إلى لجان ، كان أغلب أعضائها من التنظيم الطليعى ، وتم ترشيحهم من قبل سامى شرف وشعراوى جمعه ، ولقد حضر عبدالناصر الاجتماع الافتتاحى لأعمال اللجنة ، وكانت طلباته تنطوى على استحالة عملية ، فقد كان يريد لهذه اللجنة أن تهز التنظيم الطليعى وتنقيه وترشح له ، ولعلها استهانة بالمنطق والعقل أن إقول أن جمال عبدالناصر كان لا يدرك عن يقين طبيعة وأسباب هذه الاستحالة العملية ..

من أسيوط الى الاسكندرية الى
رئاسة الجمهورية .. المتاعب مستمرة

ظللت محافظا للمنيا مدة ستة أشهر فقط ، لم تكن بالنسبة لى فترة توهج أو نشاط ، كنت أؤدى عملى بدرجة أقل من الحماس ، فلم تبرح تجربة منظمة الشباب رأسى ولا وجدانى .

بعد ستة أشهر بالضبط طلبنى سامى شرف ، وقال لى ضاحكا :

تعال إلى القاهرة .. نريدك ..

قلت : هل أجمع حوائجى ؟

استطرد : نعم أقفل مكتبك وتعال فورا ..

لم أكن قد نقلت أثاث بيتى إلى المنيا بعد .. فأعددت حقيبتى الصغيرة وذهبت إلى القاهرة ، وإلى مكتب سامى شرف مباشرة .

قلت لسامى : ما الموضوع ؟

قال : لحظة واحدة ، وطلب الرئيس عبدالناصر وأعطانى سماعة التليفون .. كلمنى عبدالناصر ، كان صوته أكثر دفئا .. قال :

حمدا لله على السلامة يا سى أحمد .. لقد عينتك محافظا للاسكندرية حتى لا يكون تعيينك من زفت إلى أزفت وضحك عبدالناصر ولم أعلق ..

استطرد : عليك أن تذهب فورا إلى الاسكندرية ..

نظرت إلى سامى شرف مفتوح العينين ، ولم يبد على سامى شرف شىء ، فقد اعتبر أنه تصرف بشكل طبيعى جدا عندما نقل إلى الرئيس عبدالناصر ملاحظتى التى كانت سوقية الألفاظ عندما صدر قرار تعيينى محافظا للمنيا .

تسلمت عملى كمحافظ للاسكندرية ، وانفجرت المظاهرات العارمة فى جامعة الاسكندرية ، كان الطلاب قد تحصنوا بالجامعة ، وأعلنوا اعتصاما مفتوحا ، وكان الموقف يؤذن بانفجار واسع .

تذكرت أننى قلت لعلى صبرى مرة قبل شهور قليلة مع مقدمات مظاهرات القاهرة : أنزل إلى الطلاب وحاورهم .. ولذلك كان لزاما على أن أفعل ما نُصحت به .

ذهبت إلى الجامعة ، كانت تحت حصار بوليسى مكثف .. لم أكن بعد وجها مألوفا أو معروفا كمحافظ ، ولذلك وجدت إلى جوارى ضابط شرطة يطلق بندقية رش فى اتجاه الطلاب المعتصمين ، خطفت البندقية من يده ، وكادت تنشب معركة جانبية ، لولا أن رآنى سيد فهمى مدير مباحث الاسكندرية آن ذاك ووزير الداخلية بعد ذلك .

قلت له : اخرج هذا الضابط بعيدا من هنا ، وأحضر حسن الشاطر رئيس اتحاد طلاب الاسكندرية - آن ذاك - من السجن فورا .

وجاء سيد فهمى بحسن الشاطر وهو فى نوبة بكاء حادة ..

قال : ضربونى يا أفندم ..

قلت له : كن رجلا .. أدخل إلى الجامعة الآن واجمع زملاءك فى القاعة الكبيرة وسوف أدخل وراءك لنجلس ونتناقش جميعا ونرى من المخطىء ونحاسبه .

حذرنى مسئولو الأمن بأنه من قبيل المغامرة غير المحسوبة أن أدخل وحدى إلى الحرم الجامعى وسط آلاف الطلاب الغاضبين وأنهم لا يضمنون سلامتى فى هذه الحالة ، ولكننى أصررت على الدخول .

جلست فى مواجهة الطلاب الغاضبين ، وقد أحضروا طالبا ينزف من طلقات البندقية ، ثم قال أحدهم بصوت محرض ووسط غيوم ثقيلة من الانفعالات وهو يشير إلى زميله الطالب : أنظر ماذا تفعلون .. أى تفاهم يمكن أن يكون بيننا .

قلت : أنا لا أعرف شيئا ، ووزير الداخلية هو الذى أعطى تعليماته لمسئولى الأمن بهذا الخصوص ، وهو قرار خاطىء تماما ، واستمر الحوار المنفعل بينما مسئولو الأمن خارج حرم الجامعة فى حالة ترقب وقلق .. وهكذا اتصلوا بوزير الداخلية واتصلوا بمكتب الرئيس وقالوا : ان المحافظ دخل مبنى الجامعة ، ونحن نخشى أن يفتك به الطلاب الغاضبون .. ماذا نفعل .. هل نقتحم الجامعة لانقاذه ؟

ونقل سامى شرف على الفور الموقف إلى الرئيس عبدالناصر ، وكان رده : لا اقتحام اتركوه يتصرف وحده .

لم يكن ممكنا أن تجرى المناقشة مع آلاف الحناجر الغاضبة ، ولذلك اقترحت عليهم أن يشكلوا لجنة تتولى مهمة الحوار ، ولكن الحوار تواصل إلى الصباح دون أن نصل إلى تفاهم أو اتفاق ودون أن تهدأ جذوة الغضب والانفعال .

غادرت الجامعة قبل موعد الفطور فقد كنا فى شهر رمضان الكريم وقفز نحوى

الضباط الذين أمضوا يوما مضطربا وقلقا على مصيرى المعلق .

اتجهت إلى مبنى المحافظة بعد الفطور مباشرة وتركت الصحفية حسن شاه فى منزلى بعد أن اعتذرت عن إمكان الادلاء بحديث صحفى فى هذه الظروف المتفجرة ، كنت فى حالة من الاجهاد الشديد ، وقد خرجت من الجامعة بانطباع أن تجربة الحوار لن تحقق النتائج المنتظرة ، تزاحمت التقارير على مكتبى خلال الساعات التالية ، بأن الطلاب المعتصمين داخل الجامعة قد جهزوا كميات من قنابل المولوتوف ، وأن اتجاه سيناريو الأحداث وفق ذلك يعنى أن الجامعة ستتحول الى ساحة معركة لا يمكن التنبؤ بنتيجتها أو خسائرها .

اتصلت بسامى شرف وقلت له : أبلغ الرئيس أننى أطلب تدخل الجيش لانهاء الاعتصام .

قال سامى مندهشا : الجيش ؟ جيش إيه ؟

قلت : لا مناص ، فالموقف بالغ الصعوبة ، كانت قد تمت بضع محاولات لإحراق محطات بنزين وأشعلت حرائق فى مناطق مختلفة من المدينة مما أعاد إلى ذاكرتى حريق القاهرة .. وانتابنى الخوف على مصير المحافظة خاصة أن ضغوط الموقف واحتمالاته كانت تتعدى قدرات أجهزة الأمن بالمحافظة .

قال سامى شرف : كيف ؟

قلت : أبلغ الرئيس أننى مسئول عن ذلك ..

بعد دقائق جاء رد سامى :

الرئيس أمرنى بأن أتصل بالفريق أول محمد فوزى ـ القائد العام للقوات المسلحة وأن أبلغه بأن يتصل بك لكى تتفاهما معا فى الموضوع وتنسقا طبيعة الأجراء المطوب .

بعد دقائق أخرى كلمنى الفريق أول محمد فوزى وقال : لقد وضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قيادتك .. أخبره بطلباتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور .

قلت بعدها لقائد المنطقة العسكرية الشمالية أن يعطى أوامره لقيادة الطيران فى المنطقة ليتم إرسال عدد من طائرات الهليوكوبتر فوق مواقع اعتصام الطلبة ، على أن يكون دور الطائرات هو إعطاء إيحاء باللجوء إلى استخدام القوة لفض الاعتصام دون استخدام أية أسلحة أو قنابل من أى نوع .

كما طلبت من قائد المنطقة العسكرية الشمالية وضع بعض قوات الجيش لتدخل إلى المحافظة وتمر بدباباتها وأسلحتها فى استعراض للقوة من أمام كلية الهندسة حيث مركز الاعتصام والاضطراب الطلابى .

عندما وصلت مجموعات طائرات الهليوكوبتر فوق كلية الهندسة ، شاركت الطبيعة فى اخراج مسرحى للموقف ، فقد تزامن معها رعد وبرق ومطر ، ومع أصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم فى الوقت الذى مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة وتمركزت بعض الوحدات فى الاستاد الرياضى المجاور ، ورن جرس التليفون فى مكتبى .. كان المتحدث أحد قادة الاعتصام . قال : لقد قررنا انهاء الاعتصام .

قلت : إذن اخرجوا ولن يتعرض لكم أحد .. وأعطيت تعليماتى للشرطة بأن يسمح لهم بالخروج فى أمان ودون احتكاك .. وخرج الطلاب من باب الجامعة مخترقين صفوف قوات الشرطة .

كان قرار جمال عبدالناصر بعد ذلك ، هو جمع قيادات الطلاب المعتصمين وتسليمهم للقوات المسلحة كعساكر مجندين ، كان رأيه أن خدمتهم فى الجيش سوف تريهم بالضبط مدى الجهد الذى تبذله القوات المسلحة والذى يحتاج إلى جبهة داخلية متماسكة من ورائها ، ورغم ذلك وحين فاتحت جمال عبدالناصر بعد شهور بأن ينهى خدمتهم العسكرية ويعيدهم إلى الجامعة حتى يلحقوا بزملائهم فى الدراسة وافق على الفور .

عندما جاء وقت انتخابات مجلس الشعب بعد ذلك ، جاءنى أحد الأشخاص وسألنى : هل تسمحون لى بأن أرشح نفسى أم لا .. قلت له : لا علاقة لى بذلك ، وسأسأل شعراوى جمعه ، وفى حضور الشخص طلبت شعراوى جمعه وقلت له : إن فلانا عندى وهو يسأل عن إمكان السماح له بنزول الانتخابات .

قال شعراوى جمعه : لا مانع .

اكتشفت بعدها أن شعراوى اتصل بعيسى شاهين أمين عام الاتحاد الاشتراكى بالاسكندرية وقال له : أسقطوا فلانا فى الانتخابات .. وبالفعل سقط الرجل ..

بعدها مباشرة جاء جمال عبدالناصر إلى الاسكندرية ونزل فى بيت إلى جوار المحافظة هو أحد متاحف أسرة محمد على ، ذهبت إليه ، وكان أنور السادات برفقته .

سألنى عبدالناصر : ما أخبار الاسكندرية ؟

قلت له : الاسكندرية أخبارها سيئة .

قال : لماذا ؟

قلت بصراحة : أن الناس يتهمون سيادتك شخصيا بالتزوير فى الانتخابات . لم يبد عليه الضيق ، فقد كان يعلم أننى مباشر معه ولا أحتاج إلى مقدمات أو ألفاظ منتقاة ، ولذلك سألنى بنفس النبرة الهادئة : أعطنى أمثلة .

قلت له كل الأمثلة بما فيها واقعة شعراوى جمعه وعيسى شاهين ..

استمع عبدالناصر جيدا كالعادة دون مقاطعة ثم قال : لقد قدموا لى كل كشوف المتقدمين للانتخابات ، سواء كمرشحين من قبل التنظيم أو من خارجه ، ووفق رغباتهم الشخصية ، وقد اعترضت بالطبع على ١٢ اسما من جميع المرشحين على مستوى الجمهورية وقلت لشعراوى أن يخير أصحاب هذه الأسماء بأن ينسحبوا من الانتخابات وإذا أصروا فليسمح لهم - على أن يتولى التنظيم إسقاطهم .. أما بقية الأسماء من التنظيم أو خارجه فلنترك لها فرصة أن تخوض معركة الانتخابات نظيفة دون وصاية على أحد أو تبنٍ لأحد .

لم أعرف بالضبط كيف تصرف عبدالناصر ، لكننى بمجرد انتهاء المقابلة وذهابى إلى مكتبى بالمحافظة ، لم يتوقف رنين التليفون ، كان الجميع يسألوننى : كيف تقول ذلك للرئيس ..

أما شعراوى جمعه فقد اتصل بى وسألنى : ماذا حدث بالضبط مع الرئيس قلت له باقتضاب : لقد أبلغته بما حدث بالضبط ولم يكن ثمة إمكان بعد ذلك للسؤال عن التفاصيل .

اننى مضطر لأن أقفز إلى الخلف قليلا لأشرح جانبا من أسباب انتقالى للعمل فى القطاع المدنى من الدولة بعد أن ظللت بعد الثورة ولمدة اثنى عشر عاما مصرا بشكل قاطع على ألا أترك خدمة القوات المسلحة .

كان يقينى دائما أن البقاء فى الجيش هو الطريق الأفضل بالنسبة لى لتقديم أفضل خدمة يمكن أن أؤديها إلى وطنى ..

وعندما عدت من سوريا إلى القاهرة وقبل أن تقع مأساة الانفصال كنت ناقدا وناقما على بعض الأسباب والمظاهر التى يصنعها العسكريون المصريون فى سوريا ، سارعت بلقاء عبدالحكيم عامر وشرحت له تفصيلا ما رأيت وقلت له أن

بعض ما يحدث يؤذن بانفجار سورى حقيقى وأننا سنتحمل النتائج بعد الأسباب التى ساهمنا كعسكريين فى صنعها ، بل قلت لعبدالحكيم عامر بالحرف الواحد : « إذا كان السوريون يحفظون لنا بعض الود فسوف يكتفون بترحيلنا على السفن ، أما إذا كان الود قد تبدد فلن يتورعوا عن قتلنا ، وكان تقدير عبدالحكيم عامر لما سمع ، أن أعصابى قد تعبت أو أفلتت منى ولذلك أصدر قرارا بإرسالى ملحقا عسكريا فى باكستان حتى أستريح ، وفى باكستان أصابنى الضجر ، ثم تحولت أعراض الأزمة النفسية إلى أزمة صحية ، فعدت إلى القاهرة مقررا ألا أعود ، لكن عبدالحكيم عامر تصور أننى ضجر من المكان لا من الدور ، فأصدر قرارا بتعيينى ملحقا عسكريا فى أسبانيا والمغرب فى وقت واحد .. لكننى عدت من هناك أكثر ضجرا وتأزما وصممت أن أعود إلى الجيش .. كان الطريق لذلك هو أن ألتقى بعبدالحكيم عامر ، ولكنى أخطأت وطلبت المقابلة عن طريق على شفيق .

وفى الوقت الذى كان فيه المشير عبدالحكيم عامر دائب السؤال عنى ـ كما تحققت بنفسى بعد ذلك ـ كان على شفيق قد أخفى عنه تماما طلبى للقائه ، بل أخبره بأننى قد اختفيت وأنهم لم يتمكنوا من العثور على ، كنت قد ضقت ذرعا بانتظار لقاء المشير عامر ، فأبلغت على شفيق أننى سأترك الخدمة وأبقى فى البيت حتى أبلغ بموعد المقابلة .

وظللت قابعا فى بيتى خمسة أشهر دون جدوى ، ولم أجد بديلا عن طلب اللقاء الرئيس عبدالناصر ففعلت ، وتحدد موعد اللقاء فى اليوم التالى مباشرة وكنا فى بداية شهر يناير عام ١٩٦٤ .

لم أكن قد رأيت عبدالناصر منذ خمس سنوات فاضت خلالها مياه كثيرة وتغيرت أشياء أكثر .

دخلت الصالون المعهود فى منزله بمنشية البكرى ، وبعد دقائق دخل جمال عبدالناصر .. مد يده مرحبا ، تأملت وجهه فلم أعثر فوق ملامحه على أى تعبير ، ظللت واقفا فقد أحسست بمشاعر ثرية مباغتة وخيل إلى أنه ليس صديقى القديم الذى كنت أعرفه ويعرفنى جيدا ، وأنه قد تغير وأصبح شخصا آخر .

انتبهت على صوته وهو يطلب منى الجلوس .. قلت بسرعة : كم الوقت المخصص للمقابلة ، ولعله انتبه لنبرة غريبة فى صوتى فقال باقتضاب : الوقت مفتوح ..

حسبت أنها يمكن أن تكون المقابلة الأخيرة فلم أكتم شيئا .. ولا أبالغ إذا قلت أننى تقأيت كل ما فى جوفى .. كل ملاحظاتى ، كل ما رأيته من سلبيات واخفاقات .. فى السلك الدبلوماسى .. ما يحدث فى الجيش ..

كان يسمعنى دون تدخل أو تعليق .. لكن ملامحه بدأت تتغير شيئا فشيئا .. ولم يمض وقت طويل حتى أحسست أننى استعدت صديقى وأستاذى القديم .. مر وقت طويل قبل أن أتوقف .. وسألنى : ثم ماذا ؟

منذ شهور وأنا أحاول أن أقابل عبدالحكيم عامر دون جدوى وبالنسبة لى فعندى اقتراحان : أن أعود إلى القوات المسلحة وأعمل للإصلاح ، أو أن أغادر القوات المسلحة عكس رغبتى وفى هذه الحالة لك أن تختار لى مكانا بعيدا عن السفارات والشركات .

قال : إذن أين يكون هذا المكان ...

قلت : كما تشاء : جندى .. شاويش

قال : ولماذا ؟

قلت : لا أريد أن أذهب إلى شركة واسمع الناس من ورائى تقول : لقد جاءوا

بالضباط كالعادة ، أما السلك الدبلوماسى فقد عاشرته بنفسى وهى معاشرة لا أحب أن تتكرر .. إنهم بصراحة يفعلون أى شىء إلا العمل الدبلوماسى ..

قال وهو يشد قامته الطويلة : طيب يا أحمد ..

أضفت وأنا أصافحه قرب الباب :

أنا لن أعود إلى الشغل إلا عندما يصلنى من سيادتك خبر ..

بعد يوم ٤ مارس اتصل بى شمس بدران وكان وزيرا للدفاع وقال : الرئيس وافق على نقلك من القوات المسلحة .

سألته : إلى أين ؟

قال : لا أعرف .

ثم صدر قرار جمهورى بتعيينى فى رئاسة الجمهورية بدرجة مدير عام ، وذهبت إلى الرئاسة ، ولكننى لم أجد أى عمل قد أسند إلى ، وظللت شهورا طويلة أكتب كل أسبوع خطابا قصيرا إلى جمال عبدالناصر أقول فيه : سيادة الرئيس : أحيطكم علما بأننى ما أزال موجودا فى رئاسة الجمهورية دون أن يسند إلى أى عمل .

ولما كانت أيام الأسبوع تمضى دون رد من جمال عبدالناصر فقد كنت أكتب إليه خطابا جديدا يتضمن نفس الكلمات وهكذا لا يرد الرئيس ولا أتوقف عن كتابة الخطابات إليه .

بعدها بعام كامل ذهبت مهنئا بزواج ابنته هدى ، وفوجئت بعبدالناصر يقول لى وهو يصافحنى : لقد أصدرت قرارا بتعيينك محافظا لأسيوط .. هل ستنجح فى المهمة ؟

قلت : « قوى » .

قال : حسنا .. أسيوط بها أهلى وأقاربى ، ولا أريد منك أن تجامل أحدا منهم أبدا ومهما تكن الظروف .. أننى أطلب منك على العكس من ذلك .. أن تعاملهم بقدر من الخشونة والعنف ..

ولما كنت أعرف الرئيس جيدا ، فلم تكن إضافته الأخيرة موضع اندهاش منى ..

ذهبت فى اليوم التالى للقاء وزير الحكم المحلى وقلت له :
اننى رجل قضيت عمرى كله فى العمل العسكرى ، ولست أعرف على وجه التحديد ما عمل المحافظ .. ولذلك أطلب أن يتم تأهيلى أولا لهذا العمل الجديد ..

ضحك وزير الحكم المحلى وخرجت الضحكات من مكتبه ووزعت على مكاتب

عدد من الزملاء والمسئولين .. ولم أعدم من يقول لى بعد ذلك مستظرفا : ماذا كنت تريد ؟ أن يقيموا لك دورة تدريبية ؟ ..

• أصبح حديثى عن ضرورة إعداد المسئول لموقعه الجديد موضع تندر شديد بينما كنت أعنى ما أقول تماما .. فلم يكن لدينا - وما يزال - نظاما مؤسسا لإعداد القادة ليصبحوا وزراء أو محافظين أو قادة وحدات اقتصادية أو إدارية .. نحن نختار ويتم الاختيار وفق أسس غير موضوعية فى الغالب لأنها تعتمد على الثقة الشخصية ، وإذا لم يكن هناك مقياس واضح وعام وموحد وليس شخصيا نقيس به الناس وهو ما يشكل مصدر خطر ، فالأكثر خطورة أنه ليس ثمة إعداد يسبق الانتقاء ، لأن إحدى مهام العمل السياسى الناجح أن يقوم بإعداد قادة المستقبل فى كل فروع الحياة ..

• أتصور - مثلا - أن أهم وظيفة فى مصر كلها ، هى وظيفة المحافظ ، وهى فى الوقت نفسه من أشق الوظائف على النفس والبدن ، فمن حولها تتراكم هموم الناس وتدور متاعبهم واحباطاتهم ومعاناتهم ، وبواسطة سياسيين حقيقيين يمكن التخفيف عن أعباء الناس بل يمكن أن يتحمل الناس أعباء أكثر وأثقل إذا تم مخاطبة عقولهم وقلوبهم بصدق واقتناع ، أذكر تدليلا على ذلك أننى كنت أقف على محطات الأوتوبيس المكتظة فى الصباح الباكر ، وكان كثير من الواقفين على المحطات يأتون متبرمين إلى من طول الانتظار ومن سوء وسائل المواصلات ، وكان زحام الجمهور سرعان ما يتحول إلى حلقة نقاش ، وكنت أقول لهم : اختاروا أنتم ونحن نواجه مشكلة احتلال أراضينا .. هل نشترى أوتوبيسا جديدا ، أم نشترى دبابة .. وأظن أن الذين كنت أخاطبهم بنفسى كانوا يقفون على المحطات أو ينحشرون فى الأوتوبيسات وهم أكثر استعدادا لتحمل متاعب الانتظار والتنقل .

ولا أبالغ بعد ذلك إذا قلت أنه إذا تم اختيار محافظين جيدين وفق أسس موضوعية على مستوى مصر كلها ، لحلت مشكلاتنا بأسرع ما نتصور أو نعتقد ، ولو تم اختيار الوزراء من المحافظين الذين برهنوا على نجاحهم فى عملهم ، لحلت مشكلات الدولة ككل ، إن المحافظ ، فى معمعة تنفجر وتتداخل فيها مشكلات التعليم بالصحة بالصرف الصحى بالزراعة ، بالرى ... إلخ .. كما أنه يعايش مشكلات الجماهير اليومية ، وإيقاعها اليومى ، كجرائم ومخدرات وتطرف إلخ ... وأظن أن انصهاره فى هذه البوتقة اليومية سيتيح له عندما يصدر قرارا وهو فى موقع الوزير ألا يكون قراره مرتكزا على منطقة القاهرة والاسكندرية التى تتوقف معرفتها عند حدودها .

لقد اتصل عملى فى أسيوط عامين كاملين ، تجولت خلالهما على قدمى فى ٣١٥ قرية هم مجموع قرى المحافظة .. حيث عرفت كل حقل فى أسيوط ، وكل مخبز ومقهى ، ومصرف وطريق وزاوية ولقد أعطتنى أسيوط فوق ما أعطيتها زاد حب ومعرفة لا ينفد .

رؤية من داخل التنظيم
الطليعى او السرى

تبلورت فكرة التنظيم الطليعى ـ أو التنظيم السرى ـ فى عقل جمال عبدالناصر من محصلة فشل الأطر السياسية المختلفة التى أقامتها الثورة ، فى تحقيق أهدافها .

كان أول تنظيم سياسى أقامته الثورة هو هيئة التحرير ، ولقد عكس هذا التنظيم نفسه أكبر أخطاء التجربة ، وهو الاعتماد على هيكل النظام القديم ومحاولة إقامة دعائم النظام الجديد على قاعدته .

كان التنظيم الأول هلاميا ، بلا بوصلة فكرية ، أو قواعد تنظيمية ، أو تقاليد عمل سياسى ، وكان من الطبيعى أن يسيطر العسكريون عليه وأن يعتقد بعضهم أن العمل من خلاله هو امتداد للعمل فى بعض الوحدات العسكرية .

وحين انتقل العمل السياسى للثورة خطوة أخرى إلى الأمام ، وأقيم الاتحاد القومى تسللت إلى القيادة فيه ، نفس العناصر التى قادت تجربة هيئة التحرير إلى الفشل الذريع ، ولذلك كان من الطبيعى أن يخفق التنظيم الجديد بدوره فى مهمة جمع الجماهير وتنظيم حركتها فى عمل سياسى جاد .

وحين فشل الاتحاد القومى ، وأقيم الاتحاد الاشتراكى بعد ذلك ، وتأسست له فرصة الإمساك بهوية فكرية وسياسية أكثر نضجا واكتمالا ، حالت البيروقراطية السياسية التى تحصنت بالمكاتب واستغنت عن العمل السياسى الجاد فى صفوف الجماهير ، بإطلاق الشعارات وإقامة السرادقات ، دون أن يمتلىء جسم التنظيم بالروح والدم ، فأصبح هو الآخر إطارا فضفاضا أهم سماته العجز عند القيادة والتخلف عن نبض الشارع .

وهكذا قدر لجمال عبدالناصر أن يقود التجربة ، حتى فى ميدان العمل الجماهيرى بشخصه وبمفرده ، وحين حسم الشارع المصرى فى كثير من التحديات التاريخية الموقف بقوة الجماهير ونبضها الحى ، فقد تم الحسم خارج أى من التنظيمات القائمة .

فقد كان الشارع باختصار شديد ، لا أيا من هذه التنظيمات ، هو حزب عبدالناصر .

فى عام ١٩٥٦ ، عندما وقف جمال عبدالناصر على منبر الجامع الأزهر يهتف « سنحارب .. سنحارب » رددت الجماهير وراءه الهتاف ، وكانت وحدها سنده ومنبع قوته ، بينما كانت الأطر السياسية حائرة فيما تفعل ومالا تفعل .

وفى عام ١٩٥٨ عندما قامت أول وحدة عربية فى العصر الحديث بين مصر وسوريا ، قدر لى أن أرى الجماهير السورية وهى تحمل سيارة عبدالناصر على أكتافها ، وأن أراها وهى تبيت فى العراء ، فى انتظار أن يطل عليها من قصر الضيافة ، غير أن غياب العمل السياسى ، وقصور أجهزته لم يستطع أن يستثمر هذا التيار الجماهيرى الكاسح ، وكما بدد حلاوة الوحدة ، أنجب مرارة الانفصال .

وفى عام ١٩٦٧ ، عندما خرجت الجماهير إلى الشارع ، ترفض الهزيمة ، لم يكن رغم ادعاء البعض بعد ذلك ، للتنظيم السياسى ، ولا لمنظمة الشباب ، أدنى دور أو تدخل ، بل ان القيادات فى هذه الأطر السياسية لم يكن لديها ما تفعله سوى أن تعدو وراء الجماهير لكى تظهر إلى جوارها فى الصورة كذبا وافتراء .

وفيما أعلم فقد كان جمال عبدالناصر يفهم ذلك كله ويدركه ، وبهذا الفهم والادراك تبلورت فكرة انشاء جهاز سياسى خاص ، ليقود العمل داخل تنظيم الاتحاد الاشتراكى الذى أصابه الترهل ولم يعد يفعل شيئا غير الوساطة ، ومحاولة فرض السيطرة .

وبدأ التنظيم الطليعى ، أو الجهاز السياسى الجديد ، باختيار عبدالناصر لخمسة أشخاص من المقربين إليه ، على أن يكون دور كل واحد منهم ، أن يسعى إلى تجنيد مجموعة خاصة به ، من عشرة أشخاص ، بشرط أن يعرض كل منهم أسماء أشخاصه المنتقين على عبدالناصر للموافقة عليها أولا . كان الأشخاص الخمسة الذين بدأ بهم عبدالناصر فكرة بناء التنظيم الطليعى هم على وجه التحديد : عباس رضوان ، كمال رفعت ، على صبرى ، أحمد فؤاد ، محمد حسنين هيكل .

واختار كل واحد من هؤلاء الخمسة ، عشرة أشخاص عرضها على جمال عبدالناصر ثم اختار كل واحد من العشرة المختارين عشرة أشخاص آخرين ، وهكذا أخذت الدوائر تتسع وتبتعد شيئا فشيئا عن متابعة جمال عبدالناصر ، بل وعن متابعة الخمسة المكلفين ، ثم بدأت تظهر بعض المشكلات ذات الطبيعة التنظيمية أو الاجرائية ، خاصة أن الدوائر التى اتسعت شملت أسماء تنتمى جغرافيا إلى محافظات مختلفة ، مما شكل صعوبة فى حضور الاجتماعات ، وبذلك بدأ التفكير فى عمل هيكل تنظيمى للأسماء المختارة ، وأطلق عليه اسم « التنظيم الطليعى » .

كانت الفكرة الأساسية أن الاعلان عن عضوية هذا التنظيم سيمثل حافزا للناس لكى تعمل فى صمت ، وتتعلم فى صمت ، ثم أنشىء المعهد الاشتراكى ليكون أداة التثقيف .

غير أنه لم يمض وقت طويل حتى كانت الفكرة الأساسية قد جرى لى عنقها ، فقد بدأ بعض المنتفعين الذين تم اختيارهم للتنظيم الطليعى يصورون للناس أنهم أعضاء فى التنظيم السرى لجمال عبدالناصر ، ثم شكلت أمانة التنظيم بعد ذلك برئاسة شعراوى جمعه وعينت لجنة لإدارته حيث عينت أنا أمينا للعمل السياسى وعين محمد المصرى أمينا للتنظيم وعين أحمد حمروش أمينا للتثقيف ، وكان ضمن أعضاء أمانة التنظيم : سامى شرف ، أحمد شهيب ، حسين كامل بهاء الدين ، عبدالمجيد شديد ، عبدالمعبود الجبيلى ، محمد عروق ، يوسف غزولى ، أمين عزالدين ، ومحمود أمين العالم .

لقد انبرت فى مرحلة تالية أقلام كثيرة تهاجم التنظيم الطليعى ، وأطلقت على أعضائه اسماء الجواسيس وكتاب التقارير ، ولم يكن ذلك فى الحقيقة هو دور التنظيم فعلا ، وأيا كانت الأخطاء ، وأوجه القصور والتجاوزات ـ وسوف أناقشها تفصيلا بعد ذلك ـ فقد استطاع هذا الإطار أن يساهم فى تثقيف كثير من الكوادر والقيادات السياسية ، التى برزت بعد ذلك فى مهام العمل السياسى أو التنفيذى ، يكفى ـ مثلا ـ أن أربعة من رؤساء الوزارات بعد رحيل جمال عبدالناصر كانوا أعضاء فى التنظيم الطليعى ، ولا أبالغ إذا قلت أن كثيرا من أبرز القيادات فى العمل السياسى والتنفيذى على مستوى الوزارات والمحافظات حتى الآن كانوا جميعا أعضاء فى التنظيم الطليعى ، بل أن بروزهم فى عملهم السياسى والتنفيذى يرجع فى جانب كبير منه الى التنمية السياسية والفكرية التى وفرتها لهم تجربتهم السابقة فى اطار التنظيم .

ربما يكون الخطأ الأكبر والأول فى عملية بناء التنظيم الطليعى ، يرجع إلى جمال عبدالناصر نفسه ، حيث عين على رأس التنظيم ، وعلى رأس الاتحاد الاشتراكى نفسه ، عناصر قيادية ، قضت سنوات طويلة من عملها فى المخابرات العامة ، وهذا ما ينطبق على على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف .

وإذا كانت وظيفة ضابط المخابرات فى الأصل هى جمع المعلومات ، أو أن المعلومات هى أساس عمله ، فكان من الطبيعى أن ينعكس هذا الحس الوظيفى السابق على أسلوب العمل السياسى نفسه بحكم القائمين عليه ، فتعطى أجهزة العمل السياسى أولوية لجمع المعلومات ، أو تتحول نفسها إلى أجهزة جمع معلومات .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه العناصر القيادية نفسها كانت فى الوقت نفسه ، تصب لديها بقية أجهزة المعلومات الأصلية ، فإن ترتيب الأولويات يصبح رصيدا منتقصا من العمل السياسى .

لقد كانت تصب عند سامى شرف جميع أجهزة المعلومات (مخابرات ـ مباحث ـ رقابة إدارية .. إلخ) وكان شعراوى جمعه على رأس جهاز الشرطة وكانت تتوافر لعلى صبرى كل هذه المعلومات فى الوقت نفسه .. ولذلك وإضافة

إلى سيادة نمط وظيفة جمع المعلومات ، فإن معلومات الأجهزة الحكومية بحكم هذه الصلات المتداخلة كانت تعطى مصداقية خاصة على أجهزة التنظيم السياسى .

أما الخطأ الثانى فقد ترتب على إنكار مبدأ التفرغ للعمل السياسى وبذلك أصبح جميع العاملين فى قيادات الاتحاد الاشتراكى موظفين لدى الدولة ، بل أصبح لهم درجات وظيفية ، فأمناء الاتحاد الاشتراكى يتقاضون راتب وزير ، وأمناء المحافظات يتقاضون راتب نائب وزير حتى يتساووا مع المحافظين ، وهكذا كاد العمل فى الاتحاد الاشتراكى يتحول إلى مهنة وظيفية جديدة وزاد الصراع بين الوزراء والأمناء ، وبين المحافظين وأمناء المحافظات ، وكان يفترض أن يحل التنظيم الطليعى هذا التناقض ولكن للأسف الشديد لم يحدث أى تنسيق أو تخطيط يحفظ للعمل السياسى دوره أو هدفه أو أدواته .

الخطأ الثالث ترتب على طبيعة الانتقاء نفسه من فوق الخريطة الاجتماعية لقد تحدث جمال عبدالناصر نفسه عن تحولات الطبقة الجديدة التى سدت بنموها مجرى التطور وورثت كثيرا من الأوضاع الاجتماعية الخاصة التى قامت الثورة أصلا للإطاحة بها ، لقد اكتنزت الثروات فى أيدى البعض ، وسكنوا قصور الطبقة القديمة ، ولم يكن ممكنا أن يصلحوا لأدوار تعين على التحول إلى الاشتراكية .

لقد واجهنا صعوبات كثيرة أخرى عندما بدأنا العمل فى أمانة التنظيم الطليعى ، وقد اقترحت وقتها أن يكون التنظيم جغرافيا ، وبعد مناقشات وافقت أمانة التنظيم على تنفيذ التجربة ، وانيطت بى مهمة البدء بها فى محافظتى الاسكندرية والبحيرة ، الأولى كمحافظة حضرية والثانية كمحافظة ريفية ، ثم واصلت الأمانة العامة التجربة على مستوى باقى المحافظات .

ونجحت التجربة وبدأنا نكلف لجان المحافظات بأن تقدم لنا تقريرا عن أحوال محافظاتها فى جميع نواحى الحياة ، وأن تخطرنا بجميع النواقص ، وبدأنا فى أمانة التنظيم نحلل هذه المعلومات وندققها ، ثم نرفع تقريرا يوميا إلى الرئيس عبدالناصر يغطى أوضاع وأحوال الجمهورية كلها ، وقد حرصنا على أن يكون فوق مكتبه فى تمام الساعة الثامنة صباح كل يوم ، وكان عبدالناصر يعيد إلينا التقرير فى اليوم نفسه ، وعليه تأشيراته فى شكل قرارات حاسمة وحازمة ، عقابا وثوابا ، واتصلت دورة العمل بإرسالنا قرارات الرئيس فى اليوم نفسه إلى الوزارات المختلفة لوضعها موضع التنفيذ ، كنت بوصفى مسئولا عن العمل السياسى فى التنظيم أرسل التقرير اليومى لعرضه على الرئيس مباشرة عن طريق سامى شرف ، لكن الوزراء والأجهزة التنفيذية لم تتحمل هذا العمل ، فبدءوا يضجون بالشكوى إلى شعراوى جمعه ، وبدأت الخواطر والمجاملات تتدخل ، وطلب شعراوى جمعه أن ترسل إليه التقارير أولا لقراءتها ثم يرفع هو إلى الرئيس ما يراه مناسبا ، وهكذا قدر لهذه الخطوة الناجحة أن تتعثر ، فقد بدأت التقارير بحكم مسئوليات شعراوى جمعه الكبيرة تتراكم على مكتبه ، ثم بدأت معلوماتها تفقد ـ بمرور الوقت ـ قيمتها وكان من الطبيعى أن يفتر الحماس فى القواعد لأن العمل السياسى ، طريق ذو

اتجاهين .. ثم كان من الطبيعى أيضا أن تتسلل الشللية إلى أمانة التنظيم الطليعى ذاته .

وما أكثر ما أصبحت التعليمات تصدر من أعلى ، ولا يجد الأعضاء الجادون والمملوءون حماسا فى مواجهتها سوى الاعتراض ، ثم لا تجد القيادات سوى التبرير وسيلة لانتهاء المناقشات وفرض الأمر الواقع .

ولعل الخطأ الأكبر فى ذلك كله كانت - فوق عدم وجود مواصفات خاصة للانضمام والعضوية - تتعلق بغياب الديمقراطية داخل التنظيم ، سواء أثناء المناقشات أو عند الترشيح أو فى الانتخابات نفسها .

ففى جميع الانتخابات كانت تصدر التعليمات بمن يتم انتخابه ، وكان التنظيم الطليعى نفسه هو أداة تحقيق ذلك ، تحت شعار أن القيادة تعرف أكثر ، ولقد تم ذلك فى الاتحاد الاشتراكى كما فى مجلس الأمة وفى النقابات المختلفة .

والأمثلة على ذلك كثيرة ..

لقد انتخب محمد حسنين هيكل عضوا باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى انتخابات عام ١٩٦٨ بينما كان موضع نقاش جاد فى كل المستويات السياسية فى الإتحاد وفى منظمة الشباب ، ورغم أنه لم يحضر إلى اللجنة فى المؤتمر القومى العام الذى انتخبه .

وأثناء محاكمات ١٥ مايو ١٩٧١ فسر ضياء الدين داود موقف المدعى العام منه تفسيرا شخصيا على أساس أن المدعى العام رشح نفسه لانتخابات اللجنة التنفيذية العليا ولم يحصل إلا على ٨ أصوات ، بينما نجح ضياء داود فى أن يصبح عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا .

والحقيقة أنه لم يكن لشخص ضياء داود دور فى نجاحه ، ولولا التعليمات الواضحة التى صدرت بانتخابه لما استطاع الوصول إلى مقعده القيادى ، وذلك ما ينطبق على جميع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا باستثناء واحد وحيد هو عبدالمحسن أبوالنور الذى نجح بجدارة ودون تعليمات ، ولولا التعليمات التى أعطيت للتنظيم الطليعى ، لتغير شكل اللجنة التنفيذية تماما .

بالنسبة لى فلم يطل بى المقام فى أمانة التنظيم الطليعى ، فقد تركت الأمانة بعد أن تم تعيينى محافظا لأسيوط وأمينا للتنظيم الطليعى بها ، وقد فوجئت بالمستوى الذى وجدت عليه مجموعات التنظيم هناك ، فقد ضمت الكثير من العناصر التى لا تعرف حتى الهدف من انشاء التنظيم ، وقد استوى الأمر بين المثقفين وغيرهم ، وكان ذلك بالطبع راجعا إلى غياب معايير العضوية والتنظيم والتثقيف ، وأعدت تشكيل التنظيم وسط صعوبات بالغة . فرغم أن أمين الاتحاد الاشتراكى فى المحافظة كان عضوا فى لجنة المحافظة ، فإن كلا منا كان يسير فى

واد . ولم يقدر للقيادة أن تتوحد أبدا . ويبدو أن أحد أسباب ذلك أننا لم نتدرب سياسيا على العمل الجماعى ، لقد لجأت إلى تعبئة الشباب المتحفز للمشاركة ونجحت بالشباب فى حل كثير من المشكلات المزمنة فى المحافظة ، كان الشباب هو طريقى لنزع فتيل كثير من الألغام الطائفية ، وحل كثير من الخلافات العائلية التى تقود إلى حوادث ثأر ، ثم كان ساعد العمل السياسى القوى لردم كثير من البرك ، وإقامة كثير من الطرق ، وإشاعة طاقة عمل متحمس على مستوى المحافظة كلها ، سواء فى المستشفيات أو الجمعيات التعاونية ، أو الوحدات الريفية ، كما تم ربط جامعة أسيوط ـ والتى قام بانشائها الأستاذ الدكتور سليمان حزين ، والذى قام بعمل عظيم لا ينسى ، بالمجتمع الأوسع من حولها ، وكانت نتائج ذلك كله ممتازة على مستوى تحسن الأداء الجماهيرى العام .

ويكفى على سبيل المثال ، أن نورالدين قرة وزير التموين فى ذلك الوقت طلب سرعة توريد محصول قمح المحافظة ، نظرا لأن المخزون المركزى من القمح لم يكن يكفى لاستهلاك شهر واحد ، وقد اعتبر التنظيم أن هذه هى مهمته الأولى ، فأضيئت حقول أسيوط كلها ليلا واستطاعت سواعد الرجال والشباب ـ مثقفين وعمالا وفلاحين ـ أن تجمع القمح وتحصده ، وتوصله إلى القاهرة فى وقت قياسى ووسط تعقيدات شديدة فى مجتمع كانت العائلات الكبيرة ما تزال فيه هى مصدر القوة ، وفى ظروف كانت الأجهزة الحكومية نفسها هى أول من يقاوم التغيير .

عندما عدت من أسيوط أمينا للشباب ، انضممت مرة أخرى لأمانة التنظيم الطليعى وكلفت بمتابعة بعض أعماله فى محافظات الصعيد ، وكان التنظيم فيها ضعيفا وقد اشتد وهنا بعد حادثة هزت الثقة فى عمله .

لقد عينت بعد الأخ الفاضل على فهمى شريف أحد الضباط الأحرار ، وأحد وجوههم المشرقة إيمانا وخلقا واستقامة ، ويبدو لى أن هذه الصفات فيه هى جزء من تراث عائلى عريق ، فقد كان شقيقه هو قائد المدفعية المصرية العظيم اللواء محمد شريف الذى أخرج أجيالا متصلة من ألمع ضباط المدفعية والذى لم ينس أبناءه حتى فى قلب حرب ١٩٤٨ ، فقد وزع نفسه على ميادين القتال ، حشدا للروح المعنوية وزرعا للثقة والطمأنينة فى قلوب المقاتلين ، ولم ينس جيلنا اللواء محمد شريف كذلك ، كما لم ينس له أن قدم استقالته وقبع فى منزله اعتزازا بكرامته عندما تم تخطيه قبل الثورة بتعيين اللواء حسين فريد رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة .

لقد تصرف على فهمى شريف فى احدى جلسات التنظيم الطليعى من وحى إيمانه وتأجج مشاعره الوطنية ، وقال ما يعتقد أنه الصواب فى حق هزيمة ٥ يونيه ١٩٦٧ ، وحمل المسئولية على أكتاف أصحابها ، ولم يتجاوز فيما قال لأنه كان يستند إلى لائحة التنظيم التى كانت تنص على حق المناقشة فى كل قضية بصراحة ووضوح ، ولم يهضم المسئولون عن التنظيم ما قاله فهمى شريف

واعتبروه تجاوزا ، ثم أرسلوا إليه من أمانة التنظيم الأخ شوقى عبدالناصر ليستوضحه عما قيل فى هذه الجلسة ، وقد أعاد تكرار آرائه بنفس الوضوح والصراحة فكانت النتيجة صدور قرار بإعفائه من التنظيم ومن موقعه كمحافظ للمنيا .

لقد قلت فيما سبق أن اختيار عناصر بعينها لقيادة التنظيم الطليعى عند إقامته أدى إلى سيطرة عقلية بوليسية على عمله ووظيفته ، وكان ذلك على حساب دوره السياسى الذى كان هو جوهر عمله المفترض ، وكان ذلك - أيضا - سببا فى هبوط التنظيم وتحلله المبكر .

أذكر أنه أثيرت فى بداية إنشاء منظمة الشباب قضية أمنية ، حين رفعت إلى على صبرى تقارير تفيد أن اختراقا قد حدث للمنظمة بواسطة أحد التنظيمات السياسية العربية ، وكان أحد الأعضاء الذين شملهم الاتهام هو سمير حمزة الذى كان عضوا فى التنظيم وضمن مجموعة سامى شرف .

وقد اعتبر على صبرى تقارير الأمن بمثابة حقيقة مسلم بها ، وتم اعتقال المتهمين بعد أن قبضت عليهم أجهزة الأمن ، ثم سلمتهم إلى أمانة الشباب ، فتم احتجازهم فى مبنى الاتحاد الاشتراكى ، وتم معاملتهم بشكل بالغ السوء ، حتى أن حسين كامل بهاء الدين أمين الشباب شارك فى صفعهم بالأقلام على وجوههم ، وانتهى الأمر بفصلهم جميعا من منظمة الشباب دون أن يتم تحقيق سياسى رفيع المستوى يجلى الحقيقة ويحددها بوضوح .

ورغم أن سمير حمزة ، كان مقربا من سامى شرف ، وكان يدرى كل تحركاته السابقة واللاحقة ، فإن سامى شرف لم يتحرك لحمايته أو استنقاذه .

ولقد كان هذا الحادث سببا فى ترك الكثير من الشباب الملتزم المؤمن للتنظيم ، وتفضيله أما الانزواء بعيدا عن العمل السياسى ، أو الهجرة إلى الخارج التماسا لمخرج .

كان هدف جمال عبدالناصر إذن من إنشاء التنظيم الطليعى مختلفا تماما عن السياق العام الذى تحركت فيه تجربته ، بل أن جمال عبدالناصر كان يستهدف فى النهاية أن يتحول التنظيم السرى الى تنظيم علنى للثورة ، بعد أن تم تكوينه على أسس سليمة وصحيحة ، وبعد أن يتطهر أعضاؤه فى بوتقة العمل السياسى الخالص من أمراض البيروقراطية والتطلعات والانتهازية التى كانت قد تفشت فى أوصال الاتحاد الاشتراكى .

وهكذا أهدرت فرصة أخرى ، كان يمكن أن تحقق عملا سياسيا فريدا فى تطور الحياة السياسية المصرية .

هكذا تآكلت الثورة
مبكرا من داخلها

ربما لن يكون مفاجئا للبعض أن أقول أن عدد الضباط الأحرار الذين خرجوا بالفعل ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهم يحملون أرواحهم على أكفهم كان ٩٩ ضابطا ، لكن قد يشكل مفاجأة للكثيرين أن أضيف أن الأغلبية المطلقة من هؤلاء الضباط لم يقدر لها أن تستمر على سطح الحياة السياسية بعد الثورة ، بل أن معظمهم قد تعرض بعد ذلك إلى متاعب جمة تبدأ بالسجن وتنتهى بالتصفية الأدبية ، فى حين قدر لآخرين أن يتسلقوا قمة الموج الثورى بعد ذلك وأن يقفزوا إلى مواقع الحكم والتأثير فى أجهزة الدولة المختلفة ، وذلك فيما أحسب لا يشكل حالة خاصة لثورة يوليو ١٩٥٢ ولكنه يكاد يكون قانونا عاما لكل ثورة .

إن البعض يفسر الخلل الأساسى فى تطور مسيرة ثورة يوليو ، بالتحول المبكر الذى حدث نتيجة انتقال طلائع الطبقة المتوسطة التى قادت الثورة إلى مواقع اجتماعية أخرى بعدها ، خاصة أن هذا التحول ـ كغيره من التحولات الاجتماعية ـ قد حدث حسيسا ودون إدراك ، وذلك تفسير صحيح بالمعنى العام ، لكن الصحيح أيضا أن الثورة ـ أية ثورة ـ يخطط لها العقلاء ، وينفذها المجانين ويستفيد منها المنافقون ، ولهذا فإن مصادر الخلل كانت إلى حد ما ، قائمة فى التركيبة الأولى للثورة .

لقد ضمت هذه التركيبة الأولى ثلاثة عناصر : نواة أساسية قوامها وطنيون أنقياء هدفهم الأساسى تحسين أوضاع وطنهم ، وهى فئة قليلة العدد لكنها واسعة التأثير بحكم مشاعرها الوطنية المتأججة وثقافتها العالية .

أما العنصر الثانى فهو يتشكل من عدد من المغامرين ، هؤلاء الذين يجذبهم بريق المغامرة فى كل زمان ومكان ، فيبحثون عنها ويدمجون أنفسهم فيها .

أما العنصر الثالث فيضم فئات قريبة من القاع لن تخسر بالمغامرة الكبرى نجاحا أو فشلا سوى قيودها .

إن الثورة نفسها عمل إيجابى عظيم ، ولكن بعد نجاحها سرعان ما يبدأ الصراع بين مصالح هذه العناصر الثلاثة : أولئك يريدون المغانم العاجلة ، وأولئك يطلبون ثمن المغامرة دون انتظار بينما ينشد غيرهما مصلحة الوطن العليا .

وعلى شبكة من التناقض بين المصالح الخاصة الجديدة ، والمصالح العامة المستهدفة ، تتكون شبكة معقدة من التناقضات تحتاج معالجتها إلى اقتدار حكيم .

وفى أوج الصعود والنجاح تكون عوامل الدوار والاندفاع أكثر تأثيرا من عوامل التأنى والحكمة . ذلك أن قادة الثورة القادمين من المجهول يحتاجون بعد نجاحها إلى تأييد وجمهرة ومنتمين ، وعندما تتسع دوائر المؤيدين والمصفقين سرعان ما ينعكس هذا الاتساع على الثورة ذاتها ، التى تستمر فى بناء قصيدة طويلة من الاعجاب بنفسها تندمج فى مفردات القصيدة أكثر الحناجر حماسا وأكثر الأكف تصفيقا ، حيث يصبح الحماس والتصفيق قبل النقاء الثورى هو مقياس الصعود والاقتراب فيمتلىء المسرح بالمستفيدين الذين أجروا حناجرهم وأكفهم للاندفاعة الجديدة .

إن هذا هو ما حدث تماما مع ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فهؤلاء الذين أجروا حناجرهم وأكفهم للثورة فى البداية دون أن يشاركوا موضوعيا ولا ذاتيا فى صنعها ، هم الذين قدر لهم بعد ذلك أن يتسببوا فى إنتاج كثير من الأخطاء والتجاوزات عبر مسيرة الثورة ، وهذا هو الذى راكم تراثا كاملا من التقصير .

إننى لا أريد أن أتكلم عن أفراد أو أشخاص ، أو أن أضع مسئولية ذلك على أكتاف شخص دون آخر ، فالحقيقة أن كل فرد فى الثورة مسئول عن هذا التراث .. من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار ، إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة .. وليس ثمة واحد من بيننا جميعا يستطيع أن يعفى نفسه من المسئولية .. إننا جميعا لم ندافع بالقدر الكافى ، ولم نحاول بالقدر المطلوب .. تلك حقيقة لا أريد أن أدخل فى تفاصيلها الآن ولكن حسبى أن أضع ملامح عامة ليت غيرى من الباحثين الجادين يأتى ليطبقها عمليا على خريطة الثورة . لأن نتيجة ذلك سوف تكون دروسا عظيمة ينبغى أن تظل حاضرة فى عقول الأجيال القادمة .

أريد أن أضيف فى هذا الإطار ـ قبل أن أعود إلى ذلك بالتفصيل ـ أن جمال عبدالناصر ظل هو صمام الأمان الوحيد فى التجربة كلها ، وأنه كان حاضرا ومتيقظا وواعيا لما يحدث ، وأنه كان يحاول أن يصحح قدر الإمكان .. فقد كان أمينا مع نفسه ، ومع مواطنيه ، مثلما كان صادق العزم ، لكنه للأسف كان محكوما بتوازنات معقدة ، تعوق التصحيح ، وتجهض المحاولة .

لقد قدر لى أن أعرف جمال عبدالناصر مبكرا جدا وعن قرب ، فقد كان مدرسى فى الكلية الحربية ، ثم فى مدرسة الشئون الادارية ، وكان يعرفنى جيدا منذ هذا الوقت المبكر ، فقد كنت بأشجاويش السرية الثالثة بالكلية ، ولذلك عندما طرح أسمى عليه للانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار رحب بشدة ، ولقد اتصلت علاقتنا بعد ذلك ، وكانت تفيض ثقة وتقديرا واحتراما .

غير أن ثمة مفارقة غريبة فى مسألة انضمامى لتنظيم الضباط الأحرار ، فقد كان أول من ضمنى فى التنظيم هو محسن عبدالخالق ـ من قيادات المدفعية ، وكانت له أعمال بطولية فى فلسطين ولكن ضمى تم بعد عودتى منسحبا من « المجدل » فى حرب عام ١٩٤٨ ، بينما كان جمال عبدالناصر ما يزال محاصرا فى الفالوجا .. ثم ضممت للتنظيم مرتين بعد ذلك ـ كانت احداهما بواسطة الفريق أول محمد فوزى وزير الدفاع بعد ذلك ، والثانية بواسطة ضابط زميل هو زغلول عبدالرحمن ، وربما يوضح هذا أن عملية بناء تنظيم الضباط الأحرار لم تكن تتم بشكل مركزى جدا ، وأن عملية الضم لم تكن تخلو من خلل .

بعد نجاح الثورة بفترة وجيزة ، عرض على ـ مع تمسكى ببقائى فى القوات المسلحة ـ أن أعمل ياورا لمحمد نجيب ، ولكننى رفضت العرض بحسم وحدة ، قلت لهم : إننى لم أشارك فى صنع الثورة ، لكى أجد نفسى بعدها ظلا لضابط أيا كان أو حاملا لحقيبته ، ولم يكن ذلك بالطبع موقفا من محمد نجيب ، الذى كنت أكن له احتراما وحبا .

وقد تكرر رفضى مرة ثانية بعد ذلك بعام واحد حينما عرض على أن أعين فى مكتب المشير عبدالحكيم عامر ، ولم يكن السبب متعلقا ـ أيضا ـ بعبدالحكيم عامر ، وإنما كان مرجعه إلى أننى سأنضم إلى شخصين كانا موجودين فى مكتبه بالفعل هما على شفيق وشمس بدران ، وكان هضم هذه العلاقة بالنسبة لى أمرا مستحيلا .

بعد ذلك بعام آخر ، وفى أعقاب عودتى من بعثة فى فرنسا ألحوا فى نقلى إلى المخابرات العسكرية ، فرفضت ، فقد كنت أشعر أننى لا أصلح لهذه المهمة ، وعندما حاول رئيس المخابرات العسكرية أن يمارس ضغطا على للقبول قلت له : لا أحد سيجبرنى على أن أعمل فى هذا السلك ، ولم يدر بخلدى عندها أن ظروفا أخرى سوف تجبرنى على أن أعمل فى هذا السلك بعد أكثر من خمسة عشر عاما ، لست أعرف حتى الآن تفسيرا عقلانيا لرفضى المتكرر ترك خدمة الجندية بعد الثورة إلا أننى كنت أشعر فوق حبى لسلاحى أو عملى أن القتال هو الحرفة الوحيدة التى أتقنها ، وكنت ممتلئا ثقة أنها الحرفة الباقية التى سيكون الوطن دوما فى حاجة إليها ، لكن وجودى فى سلاح المدفعية لم يكن انعزالا عن التطورات السياسية التى كانت تجرى على قدم وساق فى أعقاب الثورة ، بل كنت كما كان سلاح المدفعية نفسه فى قلب هذه التطورات ، إننى أقول ذلك موضحا لأننى أعتقد أن حادثة المدفعية تمثل بشكل موضوعى نقطة تحول فى تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ، وفى الحقيقة فإن تشكيل مجلس قيادة الثورة كما أعلن وقتها ، لم يكن يمثل تمثيلا حقيقيا ضباط الثورة ، فقد كان مجموعة من الضباط أطلقوا على أنفسهم الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، ثم حولوا أنفسهم إلى مجلس قيادة الثورة ، التى قامت بينما كان بعضهم خارج العاصمة .

أريد أن أؤكد أنه لولا وجود جمال عبدالناصر على رأس تنظيم الضباط الأحرار ما قبلت عرض العضوية الذى تكرر ثلاث مرات ، ولعل ذلك بأمانة ينطبق على كثيرين غيرى كان جمال عبدالناصر يمثل لهم منذ البداية نموذجا مشرقا للوطنية والرجولة والثقة والعلم .

بالنسبة لى فلم أكن أعرف - قبل الثورة - كمال الدين حسين أو صلاح سالم ألا معرفة سطحية ، وكانت مقابلتى الأولى مع صلاح سالم فى أجازة من اجازات

الميدان فى رحلة القطاع التى تستهلك نصف يوم من غزة إلى القاهرة ، وكنت وغيرى من الضباط نكبر فيه وفى زكريا محيى الدين جولاتهما المتسللة المغامرة بقوافل الأطعمة والبريد ، فى داخل الأرض المحتلة لفتح ثغرات تماس مع المقاتلين المحاصرين فى الفالوجا .

أما كمال الدين حسين فلم أسمع عنه إلا عند تطوعه للقتال تحت قيادة البطل أحمد عبدالعزيز قبل أن تدفع القوات المصرية إلى خطوط المعركة ، وقد سمعت عنه من الصديق العزيز خالد فوزى الذى كان فى مقدمة المتطوعين عن إيمان وعزيمة .

كنت كأركان حرب المدفعية فى العريش ، أتستر على تسلل الأخوة محسن عبدالخالق وفتح الله رفعت وخالد فوزى ، إلى داخل فلسطين والعودة فى إجازات نهاية الأسبوع - وما أكثر ما تعرضت للقلق بسبب ذلك .

وقبل قيام الثورة كنت أعمل مدرسا بمدرسة المدفعية وكان كمال الدين حسين يعمل مدرسا بها أيضا ، ولكن لقاءاتنا لم تكن تتعدى تبادل التحية ، ولكننا - نحن ضباط الدفاع الجوى - كنا نعتقد أن محمد فوزى هو الذى يمثلنا إلى أن فوجئنا بأنه لم يكن حاضرا ليلة التنفيذ فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

لكن حقيقة غياب محمد فوزى عن تنفيذ خطة الثورة تحتاج إلى وقفة سريعة ، ذلك أن كمال الدين حسين قال لى ولغيرى أن محمد فوزى رفض الخروج فى صفوف الضباط الأحرار فى تلك الليلة ، ولم يكن ممكنا بالنسبة لى ولكل أولئك الضباط الذين عرفوا محمد فوزى عن قرب وتعلقوا به قائدا ومعلما - أن يصدقوا أن يكون هذا موقفه ولكن كلمات كمال الدين حسين للأسف لم تكن أكثر من سوء فهم وجد من يردده .

الحقيقة فى ذلك أن محمد فوزى كان فى هيكل تنظيم الضباط الأحرار ضمن مجموعة زكريا محيى الدين ، وكان المفروض تنظيميا وأمنيا أن يتصل به زكريا محيى الدين ليحدد له الدور والتوقيت فى اليوم السابق ، وبسبب انشغال زكريا فى التجهيز لخطة الثورة مع جمال عبدالناصر ، تولى كمال رفعت الاتصال بمحمد فوزى وقال له أنه مطلوب للتحرك يوم ٢٢ يوليو فسأل محمد فوزى : ومن أنت ؟ فلم

يجب . وخشي محمد فوزى أن يكون ذلك طعما من المخابرات العكسرية التى كان كمال رفعت أحد ضباطها فرد عليه قائلا : أنا لا أعرفك ولا أعرف عم تتحدث . ثم حاول فوزى أن يتصل بزكريا محيى الدين لينقل إليه ما حدث ، ولكنه لم يستطع أن يعثر عليه ، لقد كان اتصال كمال رفعت بدلا من زكريا محيى الدين بمحمد فوزى خطأ تنظيميا فادحا ولكن فيما يبدو فإن كمال رفعت فهم من رد فعل فوزى أنه لا يريد الخروج مع بقية الضباط الأحرار وأن هذا ما نقله بعد ذلك إلى زكريا محيى الدين .

بعد أن اكتشفنا غياب محمد فوزى كان إصرارنا على أن يمثلنا عبدالمنعم أمين ويكفى عبدالمنعم أمين أنه يوم فوتح فى الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة ، قال لمن فاتحه : أنا معكم قلبا وقالبا ولكنى لا أحبذ الدخول فى عمل الاجتماعات والمناقشات ، وعندما يكون لديكم عمل جاد حاسم فأنا جاهز ، وكان عند كلمته ، فلم يتردد ليلة ٢٣ يوليو ولم يتخلف .

وفى اجتماعاتنا الأسبوعية فى كل يوم أربعاء ـ كانت مجموعة المدفعية تناقش كل التطورات بوضوح وصراحة ، فلم نكن نشعر بفارق بيننا أو بين أى منا ، وبين من أطلقوا على أنفسهم مجلس قيادة الثورة ، كان جمال عبدالناصر من بين الجميع هو موضع ثقتنا بغير حدود . وكانت اجتماعات المجلس تنقل إلينا بأمانة ودقة من خلاله أو من خلال عبدالحكيم عامر ، وأعتقد أيضا أننا كنا بنفس القدر موضع ثقة جمال عبدالناصر .

أذكر أن مجلس الثورة كان يهم أن يبدأ اجتماعا بعد الثورة مباشرة ، ليقرر ما إذا كان أنور السادات يضم إلى عضوية المجلس أم لا ، وكان مطلوبا أن يبعد أنور السادات عن مكان الاجتماع ، وجاء لى جمال عبدالناصر وقال أن هناك مهمة سأكلفكم بها على أن تأخذوا معكم أنور السادات .

وحين سألته : ولماذا أنور السادات ؟

قال بوضوح : أننى لا أريده أن يحضر جلسة اليوم .

ثم أضاف :

سوف أجد معه مبررا مقنعا لأن يذهب معكم إلى محافظة القاهرة وسوف يكون المطلوب أن تبحثوا عن المسئول عن القلم السياسى ، واسمه « إمام » وتحضره معكم ، وذهبنا بالفعل إلى المحافظة لاحضار الرجل ، بحثنا وأطلنا البحث ولم نعثر له على أثر ، وكما ذهبنا أنا وصحبتنا محمد رياض فى عربة مدرعة عدنا ومعنا أنور السادات ، وحين عدنا كان الاجتماع قد انتهى بالفعل .

أريد أن أقول أن العلاقة بيننا وبين مجلس قيادة الثورة كانت أساسا بيننا وبين جمال عبدالناصر .

كانت مجموعة المدفعية ، متآلفة القلوب والإرادات ، فقد كنا جميعا محسن عبدالخالق وفتح الله رفعت وأنا ومصطفى فهمى عبدالمحسن ومحمد المصرى دائمى الاتصال واللقاء .

أما عن صلتى برشاد مهنا ، ففى الحقيقة أننى لم أكن أعرفه إلا اسما مشرقا فى المدفعية - من أكفأ ضباطها - وصاحب مواقف وطنية ناصعة بينهم ، وقد قابلته أثناء حرب ١٩٤٨ عندما نقل إلى العريش بناء على رغبته لكنه لم يكن ضمن مجموعتنا ولم يكن لنا به أى اتصال ولذلك فإن ضمه إلى قائمة قضية المدفعية كان - كما أعتقد عن يقين - من قبيل التمويه ، وهذا ما ينطبق تماما على أحمد حمروش ، فلم يكن لنا به كمجموعة مدفعية أى اتصال اللهم إلا ما تفرضه الزمالة ، وقد كان ضمن هيئة التدريس من مجموعة المدفعية (م/ط) عندما تم نقلها إلى الاسكندرية ، ولذلك فإن ضمه إلى قضية مجموعة المدفعية كان خلطا لا مبرر له .

ولم يكن هدف مجموعة المدفعية أن تقوم بانقلاب ، فقد كانت دروس انقلابات سوريا حسنى الزعيم ثم الشيشكلى حاضرة فى أذهاننا ، ولم نكن نريد أن تدخل بلدنا دائرة الانقلابات العسكرية ، إنما كان هدفنا بوضوح ألا ينفرد مجموعة من الضباط الذين أطلقوا على أنفسهم مجلس قيادة الثورة بالسلطة .

كان ما ينشر فى الصحف فى هذه الأيام أيضا ، مستفزا ، فقد امتلأت الصفحات بمسلسلات طويلة يروى فيها بعض أعضاء المجلس أدوارهم فى الثورة كالدخان كل واحد قام بالثورة منفردا ، وكما لو كان قد قام بثورة أخرى غير تلك التى انخرطنا فى مقدمة صفوفها .

أضرب مثلا واحدا - فقد ذكر أحد الضباط أنه هو الذى قبض على قائد المدفعية فى ذلك الوقت اللواء حافظ بكرى ، ولم يكن الضابط المذكور موجودا حتى على مقربة من الموقع الذى تمت فيه العملية ، فقد كان ذلك جزءا من دورى ودور مصطفى فهمى عبدالمحسن ، أذكر أننا دخلنا معه فى نقاش وأن حارسه صوب مسدسه إلى صدرى وكاد يطلقه لولا أن حافظ بكرى نفسه ، وكان أستاذا وقائدا لى يوما هو الذى منعه قبل أن يأتى كمال الدين حسين ويأخذه مفخورا إلى ميس المدفعية .

كانت مجموعة المدفعية - إذن - متماسكة إلى حد كبير ، وكانت تناقش فيما بينها وبشكل علنى كل التطورات التى تحدث ، وكانت مناقشاتها تتم عاليا بروح نقدية واضحة ، ولذلك فقد تحول النقد العلنى بعد فترة إلى صراع مع الضباط الأحرار ومع مجلس قيادة الثورة قبل أن يتحول إلى صدام .. ولكن العلاقة بيننا وبين عبدالناصر شخصيا ظلت متصلة سواء فى مرحلة النقد العلنى أو الصراع أو حتى الصدام بعد ذلك .

كان جوهر الصراع يدور حول الديمقراطية ، فقد كانت مجموعة المدفعية تريد أن تفرض شكلا ديمقراطيا لعمل الضباط الأحرار ، لكى يثمر هذا الشكل فى النهاية ، تشكيل مجلس قيادة الثورة بالانتخاب وبتمثيل أسلحة القوات المسلحة المختلفة .

وكانت العناصر الأساسية فى مجموعة المدفعية مثل عبدالمحسن عبدالخالق ، ومثلى أو فتح الله رفعت تلتقى بعبدالناصر أسبوعيا كل يوم جمعة فى تمام العاشرة صباحا فى مكتبه بالقيادة العامة ، كنا نطرق الباب فى هذا الموعد لنجده فى انتظارنا قبل أن نتحلق من حوله ، ونمارس نقدا قاسيا لكل شىء ولكل شخص ولكل

متغير جديد . وكان عبدالناصر يجلس فى قلب الدائرة يسمع بعقله قبل أذنيه ، وحينما كان النقد يتركز حول شخص بعينه من الضباط الأحرار أو من أعضاء المجلس كان عبدالناصر يحضره إلى مكتبه لنجده فى الأسبوع التالى منتظرا كى نصب نقدنا بشكل مباشر فى أذنيه قبل أن يرد وتبدأ المواجهة بيننا .

لقد أثارت هذه اللقاءات - كما أثارت اجتماعاتنا الناقدة المختلفة فى « ميس » المدفعية حفيظة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، حيث رأوا فيها وصاية على تصرفاتهم ، وبدأ كمال الدين حسين - وقد كان همزة الوصل بين مجموعة المدفعية والمجلس - يحاول أن يهدىء الأمور بعمل لقاءات دورية فى المدفعية ، اقتصرت فى البداية على الضباط الأحرار ثم سرعان ما تم توسيع اللقاءات بضم ضباط جدد إليها من غير الضباط الأحرار ومن التابعين له .. اعترضنا على ذلك بوضوح ، وكان التبرير الذى قدمه : أنه يحاول أن يوسع دائرة المساندين للثورة . ولم يكن التبرير مقنعا لنا ، ولهذا فقد اتخذنا قرارا جماعيا بمقاطعة الاجتماع الأسبوعى مع كمال الدين حسين ، لكننا ظللنا متمسكين بلقائنا الأسبوعى مع جمال عبدالناصر صباح كل يوم جمعة .

وحين تصاعد الصراع ووصل إلى هذا الحد ، قررنا أن نلوح بالقوة ، فتدخلنا ضد قائمة مجلس قيادة الثورة فى انتخابات نادى الضباط ، وقدمنا قائمة أخرى ، وفرضنا نجاحها بالفعل ووصلت رسالتنا بوضوح إلى مجلس قيادة الثورة ، وكان رده أكثر وضوحا ، فقد تم اعتقال عدد من ضباط مجموعة المدفعية فى مقدمتهم محسن عبدالخالق ، وفتح الله رفعت ، وانتهى الأمر إلى أننا قررنا الاعتصام فى ميس المدفعية لمناقشة التطور الجديد .

جاء إلينا عبدالمنعم أمين ولم نقبل منه كلاما لأنه كان صديقا حميما لرشاد مهنا هاجمه فى جولات بسلاح المدفعية بصفته عضوا بمجلس قيادة الثورة ثم جاء إلينا كمال الدين حسين وأبوالفضل الجيزاوى ثم جاء صلاح سالم ولكن الحوار فى كل مرة لم يصل إلى نتيجة ولم يكن ثمة بديل على أن يحضر إلينا جمال عبدالناصر بنفسه .

أخبروا عبدالناصر قبل أن يأتى أننى أقود التمرد ، وبدأ جمال عبدالناصر حواره وسط مجموعة المدفعية بحكمته وهدوئه ، وقال : إن هناك وجهات نظر متعارضة ، ولا سبيل سوى تشكيل لجنة تحقيق تقيم الموقف وتفرز الحقائق التى فى ضوئها يمكن أن يتخذ القرار .

وهتف أحد الضباط : نوافق بشرط أن يضم أحمد كامل إلى لجنة التحقيق كمندوب عن مجموعة المدفعية .

وقفت ، خاطبنى جمال عبدالناصر أمام المجموعة قائلا : يا أحمد أنت بالذات تعرف صلتى بمحسن عبدالخالق ، وتعرف مدى عمق وخصوصية صداقتنا .

قلت : نعم ..

قال : سأسألك أمام الجميع هل تثق بى ؟

قلت : بالتأكيد .

قال : إذن هل تثق أن أكون المسئول عن هذا الوضع ؟

قلت : بالطبع .

قال : إذن فأنا مفوض أن أكون المسئول عن الموضوع ، وأنا أعدك أن أتابعه بنفسى ، المهم أن تستمر الثورة ، أما المشكلات والخلافات فهى قابلة للحل ، وهذا ما سوف يحدث .

أسرنا جمال عبدالناصر بمنطقه الهادىء مستثمرا كل رصيد ثقتنا فيه ففضضنا الاعتصام وخرجنا .

وفى اليوم التالى كانت فى انتظارنا مفاجأة مدهشة ، فقد تم القبض على أنا ومبارك رفاعى - أصبح محافظا لكفرالشيخ ثم الاسماعيلية - وتم اقتيادنا إلى إدارة الجيش بواسطة البوليس الحربى .

قابلنا فى إدارة الجيش اللواء حسن حمدى - كان مدرسنا فى الكلية الحربية ، قال لنا أنه لا يعرف لماذا جىء بنا .. لكن المفروض أن يتم التحفظ علينا .. وظللنا قيد التحفظ من الصباح إلى المساء بعد أن وضع كل منا فى مكتب منفرد .. وفى

المساء أخذنا إلى ثكنات قصرالنيل (مكان مقر الجامعة العربية الآن) حيث وجدنا مفاجأة أخرى فى انتظارنا فى شكل مجلس تحقيق يتكون من ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة هم زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وعبداللطيف البغدادى لمحاكمتنا .

هكذا قرر الثوار
ان يتحولوا الى حكام

كان زكريا محيى الدين مدرسنا فى الكلية الحربية ، وكان يعرفنى جيدا ، وكان كمال الدين حسين مسئول الاتصال بين مجموعة المدفعية وبين مجلس قيادة الثورة وبالتالى فإن معرفتنا المشتركة كانت كاملة ، أما عبداللطيف البغدادى ـ الذى كان أحد ضباط سلاح الطيران ـ فلم يكن بيننا رصيد خبرة أو معرفة يساعد على اجتياز الموقف فى مجلس التحقيق الذى شكله مجلس قيادة الثورة لنا .

وبدأ عبداللطيف البغدادى منفعلا يسألنى : ماذا حدث ؟

قلت : لم يحدث شيء .. إننا كضباط أحرار فى سلاح المدفعية تصرفنا دفاعا عن الثورة وعن الديمقراطية وعن زملائنا ، وهذا واجبنا .

قال وقد تضاعف انفعاله : ماذا تقول ؟ ألا تدرك أن هذا الكلام يقودك إلى السجن .

انتقلت حمى الانفعال لى ، ووجدتنى أقول : « هذا كلام غير مقبول .. سجن ؟ أى سجن ، وهل قمنا بالثورة لنوضع بعد ذلك فى السجن ؟ لو كنا نعلم أن هذا هو مصير الثورة ما شاركنا فيها » ..

وازدادت حدة الاحتكاك .. لولا محاولات حكيمة من زكريا محيى الدين لامتصاص الحدة والانفعال .. ثم انتهى التحقيق بزوبعة كما بدأ .

سألت كمال الدين حسين فى النهاية : ما تعليماتكم .. هل أنا مقبوض على ؟

قال : لا .. أنت غير مقبوض عليك ..

قلت : طيب أنا ذاهب إلى الاسكندرية ..

قال : هناك طائرة سوف تقلع إلى هناك ويمكن أن تكون على متنها ..

قلت : لا .. أفضل أن أذهب بوسائلى الخاصة ..

لم يكن حماسنا مفتعلا أو مبالغا فيه ، فقد كان نابعا من إحساس حقيقى عميق

بأننا ندافع عن الثورة التى شاركنا فى صنعها والتى تتهددها المخاطر من كل جانب ، وكانت أهم المخاطر حقيقية أيضا .. فقد بدا أن الثورة تتاكل من داخلها ..

خرجنا من التحقيق وذهبنا إلى سجن الأجانب ـ بعد أن اشترينا كتبا وطعاما وحلوى لزملائنا المعتقلين ، لم يكن لدينا فكرة عن نظم السجون فطرقنا الباب وأمرنا بتوصيل ما نحمل إلى زملائنا ، ولم يستطع ضباط الشرطة منعنا فاتصلوا بمجلس قيادة الثورة وتلقوا ردا بأن يأخذوا منا ما نحمل ويعدوا بتسليمها إلى المعتقلين ، ثم ذهبنا إلى قائد المدفعية فى هذا الوقت محمد حسين وحرضناه على أن يسلك سلوكا مماثلا لما فعلنا واقتنع ولكننا تسببنا فى لومه .

فى الطريق إلى الاسكندرية اكتشفت أننى موضوع تحت مراقبة مشددة من الشرطة العسكرية ، ورأيت على طول الطريق عملية مطاردة واضحة ، ثم نجحت فى الاختفاء بعيدا عن أعين المطاردين ، وقد ملأنى ذلك بمزيج غريب من الأسى والحنق والغضب ..

مع ذلك فإن صلتى بجمال عبدالناصر لم تنقطع ، ظللت محافظا على موعدنا الأسبوعى صباح كل يوم جمعة ، وظللت أضع رصيدى المتجدد من الأسى والغضب بين يديه ، وظل يسمع ويمتص ويتحمل بطاقة لا تنفد .. ومهما يكن حجم غضبى فقد كنت أخرج من عنده كأننى اغتسلت تماما من كل شىء .. فقد كان يحدثنى عن الوقت والظروف والضغوط فى إشارات سريعة ولكنها موحية .. بينما كانت ثقتى فى فهمه وحكمته وانحيازه إلى المصلحة العامة بلا حدود .

تمت بعد ذلك محاكمة ضباط المدفعية المعتقلين وصدرت بحقهم أحكام قاسية جدا ، فوق أنها جائرة تماما ، فقد كان محسن عبدالخالق أو فتح الله رفعت من أكثر الضباط رجولة ووطنية وشرفا ، ولذلك فقد لحق بهما ظلم بين لم يرفعه إلا جمال عبدالناصر ـ كعادته ـ وقف حائلا دون تنفيذ هذه الأحكام ، وأطلق سراحهما بعد عام وبضعة أشهر فى أوج أزمة سلاح الفرسان .

أريد أن أضيف أن موقف مجموعة المدفعية لم يتأسس فوق قاعدة ذاتية مطلقا ، فقد كان النقاء الثورى والمصلحة الوطنية والتماسك بالديمقراطية تشكل عماد وقاعدة هذا الموقف .

أما عن الأحكام المتشددة الجائرة التى صدرت بحق بعض قيادات مجموعة المدفعية فى محاكمات أشرف عليها زملاؤهم فى مجلس قيادة الثورة فإنها لم تعد تحتاج إلى تفسير .. فقد كان الهدف الواضح هو إجهاضا مبكرا لجماعات الضغط وتصفية سريعة لأى تجمعات يمكن أن تمارس ضغوطا على مجلس قيادة الثورة .

ورغم أننى علمت بعد ذلك بسنوات طويلة ، وعندما كنت مسجونا على ذمة قضية ١٥ مايو ١٩٧١ والتقيت بعباس رضوان فى السجن ، وكان يعمل فى مكتب القائد

العام للقوات المسلحة فى ذروة أزمة المدفعية ، أن هناك من نقل إلى جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر مؤكدا أن محسن عبدالخالق إنما يسعى ـ عكس كل الوقائع الصحيحة إلى القيام بانقلاب عسكرى ضد مجلس قيادة الثورة .

إلا أنه من المؤكد أيضا أن المجلس لم يكن يريد مراجعا ولا رقيبا ، ولا قوى ضغط حتى ولو كانت من قلب معسكر الثورة ، وكانت الثورة ـ كما قلت ـ تتآكل مبكرا جدا من داخلها .

كان دور المدفعية متميزا فى أحداث الثورة ، ثم بعد ذلك فى مواجهة أحداث مجموعة الفرسان ، ويستلزم توضيح ذلك ، الرجوع إلى بعض التفاصيل .

لقد بقيت فى العريش بعد حرب عام ١٩٤٨ حتى تم إعلان الهدنة فى عام ١٩٤٩ وفى أعقاب عودتى انضممت إلى قوة مدرسة المدفعية إلى أن جاءت ليلة الثورة ، بل لقد تعجلنا لحظة القيام بالثورة مع حريق القاهرة فى ١٩٥٢/١/٢٦ وتصورنا أن الفوضى التى ملأت شوارع القاهرة كافية لأن تستدعى الجيش ليفرض نظاما جديدا ولكن القيادة لم توافق .

قبل ليلة ٢٣ يوليو بثلاثة أيام تم ترتيب اجتماعين ، كان الأول فى منزل اليوزباشى أبوالفضل الجيزاوى وقد ضم الاجتماع حوالى عشرين ضابطا من ضباط المدفعية ، وفيما أذكر فقد انتظم أمام الرصيف المواجه لبيت الجيزاوى فى منشية البكرى رتل من من العربات العسكرية رغم أن ذلك كان تحللا من أبسط قواعد الأمن والتأمين .

وقد تكرر المشهد نفسه أمام بيت محسن عبدالخالق الذى شهد الاجتماع الثانى ، كان كل ما أبلغنا به أن نبقى فى منازلنا خلال الأيام القادمة فى انتظار استدعاء تليفونى للقيام بالثورة .

وحوالى الساعة الخامسة من عصر يوم ٢٢/ ٧ استدعيت إلى منزل محسن عبدالخالق حيث أخذت التلقين الأخير ، وطلب منى الذهاب إلى كمال الدين حسين فى منزله فى مواجهة كلية أركان الحرب وذهبت فى الموعد المحدد ، حيث لم يلبث أن حضر جمال عبدالناصر فى حوالى الساعة الحادية عشرة ليلا ، وكان يرتدى ملابسه العكسرية .

طلب منى عبدالناصر فى هذا الاجتماع أن أقوم بتنفيذ واجب اعتقال قائد المدفعية الأميرالاى حافظ بكرى ، وقال : إن الخطة تقتضى بأن أقوم باعتقاله فى بيته ، ووجدتنى دون تفكير أرفض التنفيذ ، وسألنى عبدالناصر بهدوء عن سبب الرفض فقلت له : إننى لا أستطيع أن أعتقله وسط أسرته لأسباب إنسانية خالصة ، وفوجئت به يوافقنى على ما قلت .

اختار لى عبدالناصر بعد ذلك تكليفا آخر وهو انزال مجموعة الماظة لاغلاق

طريق القاهرة السويس ، فنزلت مباشرة مع كمال الدين حسين حيث مررنا على مصطفى فهمى عبدالمحسن ومحمد أبوالفضل الجيزاوى وخالد فوزى وجمال الليثى وفؤاد حسن صالح ومصطفى كامل مراد ، وركبنا جميعا فى عربة « بيك أب » فيات تداخلت أجسادنا فيها .

عندما وصلت بعد ذلك إلى إدارة المدفعية تزامن معنا وصول اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة فأصبح بذلك أول المعتقلين وقام كمال الدين حسين وأبوالفضل الجيزاوى بوضعه فى الميس ، أما بالنسبة لى فقد ذهبت إلى مدرسة المدفعية لاستكمال المهمة ، حيث كان النوبتجى هناك كلا من على فوزى يونس ومبارك رفاعى من الضباط الأحرار .

وهكذا تحركنا وقمنا بدفع مدافع البوفرز إلى طريق السويس ، وقطعنا أسلاك التليفون ورجعنا مع مصطفى عبدالمحسن إلى أول طريق الماظة حيث قمنا باحتلال نقطة البوليس الحربى هناك ، وأغلقنا الطريق بأن وضعنا السيارات التى كانت قد استدعيت لاحضار كبار الضباط متعامدة معه، لم تمض سوى لحظات قليلة حتى وصل الأميرالاى حافظ بكرى وانتهت مناقشتى معه بوصول كمال الدين حسين حيث تم اعتقاله وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة والنصف بدقائق قليلة .

كانت قطع المدفعية قد بدأ وصولها لاحتلال منطقة الماظة وشارع السويس وعند الكيلو ٤,٥ على طريق السويس كانت بعض قوات الحدود قد حاولت التحرك بأوامر الأميرالاى حسين سرى عامر حيث أوقفتها قوات المدفعية .

غادرنا فى حوالى الساعة الثانية صباحا كمال الدين حسين بصحبة كبار الضباط المعتقلين إلى معتقل الكلية الحربية ، ولم تمض غير ساعة واحدة بعد ذلك حتى وصل البكباشى عبدالمنعم أمين فى سيارة « بويك » وهو يرتدى الملابس العسكرية وحين أوقف السيارة وهبط منها كان أول ما قاله :

« مبروك لقد نجحت الحركة » .

لم أغادر موقعى حتى ذهبت فى مساء اليوم التالى ٢٣ يوليو إلى القيادة للاجتماع مع كمال الدين حسين لمناقشة موضوع تطهير سلاح المدفعية ولكن جمال عبدالناصر كلفنى بالذهاب إلى مصلحة التليفونات للبحث عن برقية مضادة للحركة قيل أن مصطفى وعلى أمين قد أرسلاها إلى الخارج ، وقد ذهبت فعلا ولكننى لم أجد شيئا .

فى مساء اليوم التالى (٧/٢٤) طلب منى جمال عبدالناصر أن أذهب مع خالد فوزى إلى الاسكندرية لتنسيق سفر بعض القوات والاتصال بالبكباشى عاطف نصار والصاغ عبدالحليم الأعسر ، وقد قمنا بتنفيذ المهمة ، ثم اتصل بنا زكريا محيى الدين وأخبرنا بوقف أى تحركات عسكرية يوم ٢٥ ولم نفهم تفسير ذلك لأننا لم نكن نعرف شيئا عن خروج الملك .

وفى صباح اليوم التالى (٧/٢٦) تم تعيين البكباشى عبدالمنعم أمين قائدا لقطاع رأس التين ، وعينت أركان حرب له خلال اجراءات عملية طرد الملك ، وقد قمنا بوضع بطارية مدفعية عيار ٢٤ رطلا فى الأنفوشى كان ضمن ضباطها فتح الله رفعت وعلى شريف وأحمد شهيب وكان قائد المشاة عبدالمنعم عبدالرءوف .

وأثناء الاجراءات قام بعض جنود الحرس الملكى بإطلاق أعيرة نارية ، لكننا لم نرد عليها ثم حضر اللواء عبدالله النجومى والأميرالاى عبدالله رفعت وتم تصفية الموضوع دون اشتباك .

وفى أواخر عام ١٩٥٢ حضر إلى القاهرة أديب الشيشكلى قائد الثورة السورية فى ذلك الوقت مهنئا بالثورة المصرية ، وطلب أن يمنح بعض ضباط الثورة المصرية أوسمة سورية ، ولقد كنت أحد أولئك الذين منحوا فى هذه المناسبة وسام الاستحقاق السورى ، كنا فى الاسكندرية أنا ومحسن عبدالخالق وفتح الله رفعت وحمزة أدهم حيث طلب منا العودة إلى القاهرة على الفور لحضور الاحتفال ، وبعد الاحتفال اختلى بنا جمال عبدالناصر وطلب منا أن نذهب إلى رشاد مهنا الوصى على العرش ومعنا عيسى سراج الدين (وهو نسيبه) ونتفاهم معه فيما يريده ، وأبلغنا عبدالناصر أنه عرض عليه أن يعين سفيرا فى الخارج فرفض ، وذهبنا إلى المنزل ، وفى اليوم التالى ذهبنا إلى منزل رشاد مهنا فى شارع الخليفة المأمون ، لم يكن رشاد مهنا من الضباط الأحرار ولكنه اختير وصيا على العرش بحكم نضاله الوطنى فى صفوف القوات المسلحة .

وبعد لحظات من المناقشة فوجئنا برشاد مهنا يقول لنا وكأنه يحسم الحوار « الوصى على العرش كالملك يملك ويحكم » وامتلأت عروقنا بالغضب وقلنا له : إننا لم نخلع الملك من على العرش لتأتى أنت وتقول ذلك .

كانت مهمتنا قد انتهت عند ذلك ولم يبق لنا سوى أن نبلغ عبدالناصر بنتيجة المحاولة ، وقد فعلنا ذلك .

بصدور الأحكام القاسية بالسجن على قيادات المدفعية ، كان واضحا أن الثوار قد قرروا أن يتحولوا إلى حكام ، بعد أن قاموا بتصفية أول معارضة منظمة من داخل معسكر الثورة ، وقد سارت الأمور دون معارضة للمجلس بالفعل حتى تفجرت بعد ذلك أزمة مارس ١٩٥٤ ، أو أزمة سلاح الفرسان . واحتاج مجلس قيادة الثورة إلى ضباط المدفعية لحسم الصراع أو الخلاف ، ولم يتردد ضباط المدفعية فى أن يستجيبوا للنداء ، وكان دافعهم الوحيد هو وجود جمال عبدالناصر على رأس مجلس قيادة الثورة .

ولاشك فى أن مبادرة المدفعية بالتحرك فى أزمة مارس ضد سلاح الفرسان تحتاج إلى تفسير وتحليل خاصة أن هدف ضباط الفرسان كان هو نفسه هدف ضباط المدفعية أى الديمقراطية وخاصة - أيضا - أن ضباط الفرسان كانوا من أصدق الضباط الأحرار وطنية وإخلاصا ، وأن مفردات مناقشتهم مع عبدالناصر

فى أوج الأزمة عندما ذهبت إليهم فى سلاح الفرسان لم تكن تختلف عن مفردات مناقشة ضباط المدفعية قبل أن يتم سوقهم إلى المحاكمة ثم السجن .

كان هدف الفرسان ـ كما كان هدف المدفعية ـ هو إبعاد شبح الديكتاتورية العسكرية وفتح الباب أمام الديمقراطية التى يجرى إبعادها عن الساحة ، فكيف يتولى ضباط المدفعية إسكات الرجال الذين جاء دورهم وكأنه امتداد أو استكمال للمسيرة نفسها ؟ أن ذلك يبدو مدهشا للذين يتأمون الموقفين من بعيد .

لكن استجابة المدفعية لمجلس قيادة الثورة وانحيازها له ـ رغم كل ما صدر عنه ـ كان سببه أن خلاف المدفعية كان داخليا ومحصورا داخل دائرة الضباط الأحرار ، كما أنه تجنب أن يحدث شروخا أو انقسامات بين الضباط ، ولكن أزمة مارس استطاع أن يدخل اليها عنصر جديد يتمثل فى بعض الدوائر الرجعية التى كانت قد أضيرت بحكم قوانين الطبيعة من الثورة ، وهى دوائر ساهمت فى دفع محمد نجيب إلى موقفه وتحصنت وراءه بحكم رصيده من الشعبية ، ولولا أن الشعار الذى كان مرفوعا هو الديمقراطية أيضا ، ولكن نتيجة الاصطفاف على مستوى معسكر الثورة ومعسكر خصومها أمر كان يؤذن دون شك بحرب أهلية تصفى التجربة كلها من أى مستقبل ، ولعل هذا هو ما دفع عبدالناصر وعبدالحكيم عامر إلى تقديم استقالتيهما .

كان خيار المدفعية للتدخل والحسم ـ إذن ـ يتعلق بالاجابة عن سؤال واحد ، إما أن تستمر الثورة ، وإما أن يجرى تصفيتها والانقلاب عليها عن طريق بث الوقيعة والتناقض بين أسلحة الثورة نفسها ، ومن هنا كان لابديل عن التدخل والحسم دفاعا عن معنى الثورة قبل رموزها .

وكما قلت فقد تمت تصفية المعارضة مبكرا جدا ، وبدأ الثوار يتحولون إلى حكام ، ثم بمضى الوقت بدءوا يرثون ما خلفه القدامى ، بدءوا ببناء الفيلات ، وكانت قلة منهم هى التى تفى إمكاناتها بذلك ، وقبل الفيلات كانت العربات الفارهة ، وبعد عام ١٩٦٢ أخذوا يحتلون مساكن من صودرت أموالهم .

أذكر فى صيف ١٩٥٣ أن جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر قد استأجرا فيللا فى سيدى بشر للمصيف مشاركة ، وياليتهما استمرا على ذلك ، إذن لكان وجه الثورة قد تغير ، أما عندما بنيت لعبدالناصر وعبدالحكيم عامر فيلتان فى المعمورة ، منح الأخرون المصيف فى جزيرة الشاى فى المنتزه ، وبدأ المنتفعون من حولهم يحصلون على الشقق المصادرة أو التى تركها الأجانب ووضعت تحت الحراسة .. كل حسب قربه من صاحب السلطة ، وكأن الثورة تحولت إلى توزيع أسلاب معركة على المحاسيب والمقربين .

بل تعدى الأمر إلى أن بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة اختاروا النزول فى بعض القصور المصادرة .

إن البعض قد يعتبر ذلك مجرد ضغط على بعض المظاهر والشكليات والبعض الآخر قد يعتبره مجرد تعبير عن حقد .. لكنه فى توقيته وسياقه التاريخى والاجتماعى شكل منزلقا خطيرا لعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وبدون دخول فى التفاصيل فقد كان ذلك هو الرحم الحقيقى الذى ولدت منه بعد ذلك طبقة جديدة لم تكن مصالحها بالتأكيد هى مصالح القاعدة الشعبية العريضة ، ولم تكن تطلعاتها هى نفسها تطلعات الثورة والثوار فى اندفاعهم وبكارتهم .

أريد أن أقول مؤكدا أن جمال عبدالناصر وحده كاد يشكل الاستثناء الوحيد الذى حافظ على موقعه وانتمائه فلم تجذبه الحياة الطرية ، ولم تشده أسباب العيش الرغد بل ظل قابعا فى خندق الثورة منتمياً إلى القاعدة المنتجة التى خرج يدافع عن حقها فى الحياة الكريمة .

من المؤسف أن أحدا لم يهتم بتسجيل أسماء الضباط الأحرار بعد سلسلة الصدامات والقضايا التى انتهت بالاطاحة ببعضهم مثلما حدث فى قضية المدفعية أو الفرسان .

كانت هناك محاولات قد بدأت ثم توقفت ، وكانت ذاكرة الناس لأسباب عديدة قد أخذت تخبو ، وهكذا تم الخلط كثيرا وطويلا بين الذين انتسبوا أصلا إلى الضباط الأحرار ، وبين أولئك الذين تسلقوا قطار الثورة .

وفى صيف عام ١٩٦٥ تذكر جمال عبدالناصر الضباط الأحرار عندما كان يزوج ابنته هدى فقد أراد أن يشاركوه فرحته بزواج ابنته الكبرى ، وتمت دعوة الضباط الأحرار إلى الزفاف ، ولكن لا أحد يعلم هل وجهت الدعوة إليهم جميعا ، أم سقطت وهى فى طريقها إلى البعض ، وتكرر الأمر مع أفراح أخرى فى بيت الرئيس أو المشير ، وبعدها هبط مرة أخرى الحماس لتسجيل الضباط الأحرار ، ولم يفكر أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين كانوا يقولون أنهم يمثلون الضباط الأحرار فى التحرك نحو ذلك صيانة للتاريخ .. فما أكثر الأمور التى شغلتهم عن غيرها .

لكن القضية عادت إليها الحياة فى عهد السادات ، وبتحرك ايجابى من الأخ توفيق عبده اسماعيل صدر القرار الجمهورى رقم ١٣٨٦ لسنة ١٩٧٢ بمنح معاش استثنائى للضباط الأحرار ، وسجل الضباط الأحرار فى هذا القرار الجمهورى الذى نشر فى الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٢ ، وكان هذا هو التسجيل الرسمى الوحيد للضباط الأحرار .

شيء من الجذور

لماذا تلح على الرغبة فى العودة إلى الجذور ؟

لست أعتقد أنه الحنين وحده إلى تلك الأيام الخوالى التى بدأت أتحسس فيها خطواتى الأولى على السلم الأول لحياة ملأتها العواصف والأنواء بعد ذلك .

ولكننى أشعر أن كل شىء سيبدو مجتثا من جذورره ، وماله من قراره ، دون عودة إلى سنوات التشكيل الأولى ، ولست أقصد بذلك إرهاصات تشكيل البعد الذاتى فى تلك الرحلة الطويلة ، ولكننى أقصد إرهاصات تكوين الجيل الذى انتسب إليه ، بالبيئة السياسية والاجتماعية التى ولد ونمى وتشكل فى رحمها الخاص ، بل أستطيع أن أقول إرهاصات ولادة الثورة الوطنية التى تفجرت فى عام ١٩٥٢ بوقود هذا الجيل الذى ولد تحت القوس الممتد بين حربين عالميتين والذى أعاد بناء الحياة على أرض مصر ، بكل مستوى وكل بعد ، والذى كانت نجاحاته عظيمة واخفاقاته مدوية ، وكان جهده كبيرا وطموحه أكبر .

إنه جيل دون شك من طراز خاص ، وتلك ليست ميزة خاصة ، فلكل جيل خصوصيته .. ولكن أجيالا بعينها فى التاريخ الوطنى يقدر لها ، بحكم ولادتها فوق معبر أو جسر ، أو مفصل من فواصل هذا التاريخ ، أن تكون مشبعة أكثر من غيرها بمخزون تاريخى متراكم يفرض عليها دورا خاصا ، وكأن القدر أو لنقل الضرورة أو الحاجة ندبتها للقيام به .

لست أعتقد لذلك كله أننى معنى برسم ملامح تجربة خاصة ، بقدر تلخيص بعض أعماق ذلك الرحم السياسى الاجتماعى الذى ولد جيلى بين أحشائه ، وتلقى منه بذور الرفض والثورة بشكل مبكر .

بالنسبة لى فقد ولدت فى بيت ينتمى إلى مدرسة العسكرية المصرية بشكل كامل ، كان أبى ضابطا ، وكان جدى لأمى ضابطا ، وكان اثنان من أخوالى ضباطا وكان زوج خالتى الوحيدة ضابطا أيضا .

رحل أبى عن عالمنا مبكرا جدا ، وهو مايزال بعد يحمل رتبة عقيد فى سلاح المدفعية ، كان راتبه فى ذلك الوقت سبعون جنيها ولكن معاشه انكمش إلى الثلاثين . ولولا نتفا من الأرض الزراعية تركها وراءه وقام بتأجيرها بالمصادفة فى

نفس عام رحيله ، ما قدر لي ولأخوتي أن نكمل دورة حياتنا على هذا النحو بحكم أعباء اقتصادية لم يكن يمكن أن يكفي معاشه معها .

ولقد كان الجيش في عصر أبي ، رمزا أكثر منه حقيقة ، أعداد محدودة من الرجال يحملون البنادق والسناكي ولا تتاح لهم فرصة تطهيرها في نيران الحروب فقد كان الجيش يشارك في الحملات ضد الجراد ، وفي حراسة المحمل أو الكسوة الشريفة التي تهدى في كل عام إلى الكعبة في الأراضي المقدسة ، وكما كان الجيش يخرج لجسور النيل في الفيضان ، فقد كان يخرج مضطرا أيضا ليشارك في مواجهة المظاهرات الوطنية عندما يشتعل أوارها ، مثلما كان يدق الشوارع بكعوبه وهو يختال في استعراضات المناسبات المختلفة ، وكما كان الجيش محتجزا في هذه الأدوار ، كانت الخريطة من حولنا تعمق هذا الدور وتؤكده .. فأين هو العدو الذي سيخرج ليحاربه ، ودفاعا عن من ، إذا كان الإيطاليون غربا يجثمون على صدر ليبيا ، والإنجليز جنوبا يعيشون في السودان ، والفرنسيون شمالا يحتلون سوريا ولبنان ، وعلى التخوم العربية الأبعد ، إنجليز وفرنسيون أيضا .

وذهب أبي مع الجيش المصري في الحرب العالمية الأولى في حراسة قوافل الامدادات عبر صحراء سيناء لإمداد جيوش الحلفاء ، واشترك في حراسة المحمل حتى مكة المكرمة بعد أن هاجمه الوهابيون ، وكان كسبه الوحيد ، فرصة الحج إلى بيت الله الحرام ، وذهب إلى السودان ثم سحب مع بقية قوات الجيش بعد أن اصطدم مع الجيش الانجليزي بعد مقتل السردار ، أما داخل مصر فلم يستقر أبي بل دار دوراته في أقاليمها دون استقرار ، ولقد درت طفلا مع أبي هذه الدورات كلها .

أذكر بيتنا على شاطىء البحر والنخيل في العريش ، ورياض الأطفال في القاهرة والاسكندرية ومدرسة أسيوط الابتدائية ، ومدرسة الزقازيق الأولية .. ثم بدء دراستي الثانوية في أسيوط ، ثم في الاسكندرية ثم في مدرسة فاروق الأول بالقاهرة . لم يقدر لي في طفولتي أن أحتفظ بأصدقاء دائمين ، فلم نهجع في مكان أو مدينة واحدة أكثر من عامين .

لكن أكثر ما احتفظت به عيوني على امتداد رحلة الدوران المتصلة في أنحاء مصر ، كان التضاريس الاجتماعية لمصر نفسها .. في أسيوط ـ مثلا ـ كانت مدرستي بالقرب من الخزان الشهير ، وكنت أملك دراجة أقطع بها الطريق إلى المدرسة ، ذهابا وعودة ، وفي شارع الخزان نفسه ، كان ثمة قصر منيف يملكه أحد كبار إقطاعي أسيوط ، ويوم ضم القصر زوجة جديدة ، حمل قطاران خاصان المدعوين من القاهرة وجاء الطعام طائرا من باريس حتى قلب الصعيد .. ومن أسيوط أيضا ـ جاء رئيس الوزراء الذي كان يرسل قمصانه لكي تكوى في باريس وأمام منزلنا مباشرة كان يقطن صانع القلل المهلهل داخل عش من أعواد الذرة والذي يقطع الليل صوته المذبوح بغناء كأنه النشيج ، لعل النجوم البعيدة تسمع شكاية مواويله الحزينة .

كان الفقر المدقع والغنى الفاحش يتجاوران ، ويجدان منطقا لأن يتمددا إلى جوار بعضهما وكأنهما نسيج صورة واحدة ، على ما بهما من تناقض فى المدرسة أيضا - كان الفقر والغنى يتجاوران على منضدة واحدة .. التلاميذ الذين تجيىء بهم السيارات الفارهة ، والذين لا تكاد أحذيتهم تحتمل توصيلهم دون أن تبتل أقدامهم فى برك المطر الشتائى .

كان التعليم بمصاريف ولذلك فقد كان من يجد الفرصة ليتعلم يشعر أنه يحظى بامتياز ، وكم من المكافحين الذين تسلقوا قطار التفوق سقطوا فى منتصف الطريق ولأسباب مادية دائما .

كان التلاميذ فى الغالب يأتون من الشرائح الاجتماعية المتوسطة ، فقد كان لأبناء الأغنياء مدارسهم الخاصة ، إنجليزية كانت أو فرنسية ، وإن كانت قلة منها ألمانية وإيطالية ويونانية .. ثم كان هؤلاء الأبناء يكملون دراستهم الجامعية فى البلاد التى تنتمى إليها هذه المدارس .

لقد لمست حتى الأعماق ، كيف كان الغنى هو وسيلة التفوق فى كل شىء فى التعليم وفى الحياة ، فقد كان طلبة هذه المدارس يشكلون فى النهاية البناء الاجتماعى العلوى الحاكم والمتحكم فى المجتمع .

كان أكثر ما احتفظت به عيونى أيضا ، خلال تلك الرحلة تلك الازدواجية الغريبة فى المجتمع .

عائلة مالكة لا تتكلم العربية لأنها لا تعرفها ولا يعنيها أن تعرفها ، بل كانت تعتبر أنه من العيب أن يتكلم بها أحد فى حضرتها .. وملك يخرج فى حراسة راكبى موتوسيكلات من الأجانب .

وإذا قدرر لك أن تذهب إلى السينما فسوف تتكلم معك فتاة الشباك بلغة أجنبية ، وإذا دخلت محلا للشراء فسوف تتحدث معك البائعة بالفرنسية ، وإذا دخلت مطعما فسوف تقدم لك قائمة الطعام باللغة الأجنبية ، وحتى إذا أردت أن تركب القطار فسوف تحصل على تذكرة ركوب مكتوبة بالانجليزية ، كانت اللغة العربية تتوارى خجلة خلف واجهات أجنبية فى كل شىء وكأننا نعيش فى ضيافة وطننا .

من أين إذن .. كان يتسلل إلى قلوبنا حب الوطن .

كان ذلك هو دور البيت ، ودور بعض الأساتذة الوطنيين فى المدرسة الذين كانوا يسرقون من زمن التعليم وقتا ليشرحوا لنا حقيقة أوضاع أوطاننا ، فقد عاشوا فى شبابهم ثورة الجهاد الوطنى مع ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول وامتزجت بخلاياهم خطب مصطفى كامل النارية ، ولم يبق لديهم من دور مع الوقت سوى أن ينقلوا الجذوة إلينا ، لعلنا نكمل الدور والمشوار .

فى مدرسة فاروق الأول فتحت عيونى على ما يجيش فى قلوب الشباب من مشاعر وطنية متأججة ، تستنفد جهدها فى المظاهرات ومبارياتها مع الشرطة ، كانت حصص الأستاذ السنهورى أستاذ اللغة العربية دروسا فى الوطنية وتحريضا على حب الوطن وعلى ترجمته إلى جهاد من أجل الاستقلال .

أخذت أنتقل فى هذه المرحلة من قراءة رواية الجيب إلى قراءة المنفلوطى وطه حسين والحكيم والعقاد وقبلهم أحمد لطفى السيد وأحمد أمين والمازنى ، حتى أصبحت مجلتى الثقافة والرسالة صديقتين دائمتين إضافة إلى الكتب الانجليزية والفرنسية .

بقى فى ذاكرتى أيضا بدايات الحرب العالمية الثانية حيث فاجأتنا فى الاسكندرية فى يونيه ١٩٤١ ، كانت المدينة تتعرض لغارات دائمة تركز هجومها على الميناء مقر الأسطول البريطانى ، وماتزال ذاكرتى تستعيد صورا غريبة من هذه الأيام : المعارك بين الانجليز والمصريين وحلفائهم ، الجنود المحتلون وهم يعودون من ميدان القتال سكارى ليستولوا على نقود المارة بالقوة ، ولقد بلغ ذلك القمة يوم انسحابهم مع هزيمتهم فى الصحراء الغربية .

ولقد كانت أقسى الغارات ليلة ١٦ من يونيه ١٩٤١ على الاسكندرية حيث هاجمت الطائرات الألمانية بشكل متصل من العاشرة مساءا حتى السادسة صباحا ، وتساقطت القنابل بكثرة على أحياء الاسكندرية المختلفة وكان من نصيب حينا سقوط قنبلتين على بعد أمتار من منزلنا .

وفى الصباح اضطرت الاسكندرية كلها للرحيل هربا من نيران معركة لم تكن طرفا فيها ، كانت الطرقات كلها مشحونة بصفوف متراصة من الزاحفين إلى محطة السكك الحديدية ليقاوموا جحيم القصف الألمانى .

فتحت الحرب العالمية الثانية مداركنا أكثر .. كانت الاذاعات تصب أخبارها فى آذاننا بشكل متصل : إذاعات يونس بحرى بالعربية ، إذاعات لورد هوهو بالإنجليزية نترقب من خلالها هزيمة عدونا ومستعمرنا .

عمق معرفتى وحبى للقراءة فى هذه المرحلة ابن عمتى محمود سامى وكان يكبر والدى - يرحمه الله - بعام واحد ، وقد بدأ حياته - أيضا - ضابطا فى الجيش وكان أول ضابط يدخل الكلية الحربية بشهادة البكالوريا حيث كانت مدرسة تقبل حملة الشهادة الابتدائية ، لكنه لم يستمر فى الخدمة العسكرية طويلا فلم يدع فرصة دون أن يهاجم الانجليز بالعربية والانجليزية والفرنسية التى كان يتقنها ، ولم يكن ثمة بديل عن أن يتخلصوا منه بالطرد ، ولكنه لم ييأس وواصل التعليم وحصل على ليسانس الآداب وأسس بعد ذلك مدرسة المبتديان ، ومنه تعلمت من بين ما تعلمت الصبر والمثابرة .

لقد عشت جانبا من معاناة أبى وهو ضابط فى جيش يسيطر عليه المحتل ، كانت غضباته مدوية ولم يكن يعنيه سوى كرامته وكرامة العسكرية المصرية التى ينتمى إليها .

ولاأنسى حتى الآن يوم عودته من مرسى مطروح أثناء الحرب العالمية الثانية حين قص علينا ما أذاعه راديو بارى (إيطاليا) من أن قائد وحدة المدفعية المضادة فى مرسى مطروح رفض أن يطلق النار على الطائرات المغيرة فاستدعاه القائد البريطانى وأعدمه رميا بالرصاص . وكان أبى هو المعنى بالقصة ، ولقد كتب أبى تقريرا إلى قيادته فى الجيش يسأل ماذا سيكون عليه مصير أسرته إذا ما قُتل فى ميدان القتال ، وكان الرد مصدر معاناة شديدة له ، فقد قالت القيادة : أننا لسنا فى حرب .

أظن أن التناقضات التى عاشها أبى كجندى مصرى فى هذه الظروف ساهمت فى وفاته المبكرة ، ولقد كان من الممكن أن يدفعنى هذا كله إلى إحساس بكراهية الجيش والجندية ، ولكن العكس هو الذى حدث ، فقد استولت على تماما رغبة عارمة فى أن أصبح ضابطا ، ولقد ساهمت فى ذلك عدة عوامل ، منها الجناح العسكرى للعائلة كلها .. خاصة خالى أحمد بدر الذى كان أمير البحر وتولى قيادة البحرية المصرية ، وكان كثيرا ما يقص على قصصه المثيرة فى البحار ويشركنى فى رغبته الحارة بأن تستعيد البحرية المصرية أمجادها القديمة التى عاشتها مع محمد على ومنها قصص بطولات ما بعد الحرب .. من رومل ثعلب الصحراء إلى مونتجمرى إلى أيزنهاور ومن معارك أوربا إلى معارك ستالينجراد ومقاومتها الأسطورية . ولكن كان من بينها أيضا إحساس دفين بأن الخلاص من الاستعمار لن يتم إلا بالقوة وأن وعاء القوة الوحيد هو الجيش وأنه لا سبيل لتحرير الوطن سواه وسوى الانخراط فى صفوفه .

هكذا تقدمت إلى الكلية الحربية فى عام ١٩٤٢ ، وقبلت بها طالبا ، كان الدخول إلى الكلية الحربية يحتاج إلى وساطة كبيرة .. ولولا أن أبى كان ضابطا ما كان يمكن أن تتاح لى هذه الفرصة ، ومع ذلك فقد كان على أبى أن يقدم كشفا بممتلكاته وإيراده السنوى .

كانت دفعتنا دفعة خاصة وكنا نسميها دفعة « الوفد » فقد كان حزب الوفد فى الحكم ، وقد ساهم فى فتح أبواب الكلية ليدخل فيها من أبنائه الكثيرون ، ولذلك كانت دفعتنا من أكبر الدفعات عددا فقد وصلت إلى ٥٠٠ طالب ، كانت فترة التعليم فى الكلية الحربية فترة انضباط وصرامة كما كانت أيضا فترة علم وفهم وتفتح ، فقد كان من مدرسينا فى الكلية الحربية اليوزباشى جمال عبدالناصر واليوزباشى زكريا محيى الدين واليوزباشى عبدالمحسن أبوالنور واليوزباشى يوسف السباعى وغيرهم ممن تبوأوا أعلى المناصب فى الدولة بعد ذلك . ولم يكن يجول فى خاطرى وأنا أخطو أولى خطواتى فى الجندية أننى دخلت أكبر مدرسة وطنية علمتنى الكثير بعد ذلك .

كان طموحى أن أكون ضابطا بحريا تأثررا بخالى قائد البحرية الملكية ، كما كانت تسمى ، لذلك لم أتردد وأنا فى الفصل الدراسى الأخير بالكلية الحربية فى التقدم للبحرية ولكننى لم أحظ بالقبول ولم تشفع لى قرابتى ونسبى فقد تقدمت الوساطات الكبيرة بضغط من السراى الملكية وقيادات حزب الوفد .

كان يفترض أن تتخرج دفعتى من الكلية الحربية فى أول يونيه عام ١٩٤٦ ، ولكن لخلاف بين القصر والوزارة الوفدية رفض الملك حضور حفل التخرج فتأجل تخرجنا شهرين ليتم فى أول أغسطس ، وأصر الملك على عدم حضور حفل التخرج أيضا منيبا عنه وزير الحربية ، غير أننا دعينا إلى حفل شاى بعد التخرج يقيمه الملك لأوائل الخريجين بالجامعات وكنت ضمن المدعوين للحفل .

لقنونا قبل أن نصافح الملك بأنه يتعين علينا أن نقبل يده ، واجتمعنا نحن الضباط الجدد أوائل الدفعة واتفقنا على قرار جماعى أننا لن نقوم - مهما تكن النتائج - بتقبيل يد الملك ونفذنا قرارنا بالفعل .

تقدم قبلنا القادة العسكريون الكبار وانحنى كل منهم على يد الملك يقبلها ، بينما تقدمنا خلفهم وصافحنا الملك دون أن ننحنى ونطبع القبلة ، وكان مشهدا فريدا .. روع الملك قبل الآخرين .

اخترت سلاح المدفعية - الذى كان والدى أحد ضباطه - واخترت مثله أيضا المدفعية المضادة للطائرات ، ولم تكن بعد سلاحا مستقلا ، والتحقت بمدرسة المدفعية وبجناح للمدفعية المضادة للطائرات بها ، وكان مدرسونا صفوة من شباب الضباط على درجة عالية من الخبرة منهم الصاغ محمد فوزى (وزير الحربية الأسبق) واليوزباشى عبدالمنعم رياض (رئيس أركان حرب القوات المسلحة) والبكباشى عبدالمنعم أمين الذى كان كبيرا للمعلمين .

لم تختلف حياتنا فى مدرسة المدفعية عنها فى الكلية الحربية ، نفس النظام والانضباط والدقة ، ونفس الشدة والصرامة ، كانت المدرسة كوحدة تعليمية تخضع لإشراف البعثة الانجليزية طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ ، ويمكننى تصور مدى استهتار المستعمر إذا تم تخيل أن مندوب البعثة الانجليزية فى المدرسة كان مجرد باشجاويش انجليزى ، وحين تخرجنا ووزعنا على الوحدات لم يطل انتظارنا فقد كانت حرب فلسطين تقرع الأبواب بشدة ، وأصبح انتخاب الوحدات التى ستذهب إلى الحرب خاضعا - ككل شىء فى مصر فى تلك الأيام - للواسطة ، ولما كان قائد بطاريتى ذو حظوة ووساطة فقد نجح فى أن يستثنى نفسه وبطاريته من القوات التى تم حشدها للذهاب إلى خطوط القتال ، ولكننى - كغيرى من الضباط الصغارر المملوئين حماسا - طلبت نقلى إلى بطارية أخرى كان من نصيبها أن تدفع إلى الحرب ، وهكذا سافرت إلى العريش فى فبراير ١٩٤٨ للمشاركة فى معسكر للتدريب على الحرب . لم تكن فى الحقيقة خطوتى الأولى وحدى ولكنها كانت الخطوة الأولى للجيش كله . فقد كان كما ذكرت جيش استعراضات وجنازات

كما كانت معداته العسكرية تنتسب غالبا إلى مخلفات الحرب العالمية الأولى ، كانت معرفتنا جميعا بالحرب نظرية محددة ، فقد عرفناها على « تختة الرمل » ولكننا لم نمارسها فى الوقت الذى يمكننى أن أقول أن القتال حرفة عملية قبل أن تكون فهما نظريا ؟

لقد كان الحماس يملؤنا ولكن هل كان الحماس كافيا ليسد الفجوة بين الفهم العسكرى النظرى وبين ممارسة حرفة القتال ؟

ثم أى نوعية من الحماس كان ذلك الذى يتأجج فى داخلى ؟ لم أكن قد درست قضية فلسطين دراسة كافية حتى أتحمس للقتال على أرضها ، فهل استكمل الحماس طاقته من الخطب الرنانة فى ميدان الأوبرا ، وطلقات الرصاص من شرفة فندق الكونتننتال ؟

كنت أعرف أننا سنحارب من أجل شعب شقيق ، ومن أجل أرض عربية ، لكننى أكذب لو قلت أننى شخصيا على الأقل كنت أفهم تلك المعانى فهما صحيحا ناضجا .

وفوق التخوم المطلة على فلسطين ، وفوق رباها بدأت زاوية الرؤية الضيقة تتسع وبدأت الأسئلة الكبيرة المعلقة تجد اجاباتها ، فهمت العروبة بالحواس قبل أن تتخلل خلايا العقل .. ثم كان طبيعيا أن نطل بأبصارنا بين المعارك إلى الخلف ، إلى الوطن الذى يجثم عليه الاحتلال الانجليزى خلفنا ، وإلى النظام السياسى والاجتماعى ، وإلى لعبة الحكم قصرا وأحزابا ، وإلى القاعدة الاجتماعية العريضة المثقلة بأعباء التخلف والاستغلال والفقر .

كان طبيعيا أن نفهم بعمق .. أن اتجاه الطلقة الأولى ينبغى أن يكون هناك لا هنا ..

تحركنا إلى العريش فى ٢٥ فبراير ١٩٤٨ وعملت كأركان حرب لمدفعية العريش من هذا التوقيت حتى يوم ٥ مايو من العام نفسه .

كان تدفق القوات المصرية قد بدأ منذ يوم ٥ مايو إلى العريش بمعدلات كبيرة جدا ، قطار من القاهرة كل ساعة واحدة مكتظ بالأفراد والذخائر والعتاد . ولكن النظام أثناء ذلك كله لم يكن له وجود . وهكذا أخذت القوات والأعتدة تتكدس فى العريش التى أصبحت منطقة تجمع دون أى ترتيبات عسكرية صحيحة . وحتى عملية دفع القوات بعد ذلك من العريش إلى محاور القتال كانت تمر باختناقات مربكة ، فقد كان طريق العريش نفسه لا يتسع إلا لمرور عربة واحدة ، ولم يكن أولئك الجالسين على المكاتب فى القاهرة يصدرون الأوامر والتعليمات يعرفون شيئا عن المسرح الذى يتم فوقه الحشد قبل الدخول .

كان ظل البيروقراطية كثيفا فوق كل شيء .. يوميات تطلب ولا مجيب ، وتقارير تكتب ولا تنفيذ .. ومؤتمرات تنعقد وتنفض وأطنان الذخائر والتموين ترسل وازدحام يصل حد الاختناق على خطوط المواصلات القديمة .

مع ذلك كله فقد كان تأجج المشاعر الوطنية في صفوف الضباط والجنود يخلق روحا معنوية عالية تحاول أن تتغلب على كل عقبة ، رغم أن الأوامر والتعليمات كانت مستغلقة ، ولم نكن ندرى حتى يوم ١٤ مايو ما إذا كنا سندخل إلى فلسطين أم لا .

وحلت قيادات جديدة ، وأخليت قيادات أخرى قبل يوم ١٤ مايو مباشرة وفى هذا اليوم صدرت الأوامر بالتحرك إلى رفح التى تبعد عن العريش ٤٥ كم شرقا ، وفى صباح يوم ١٥ مايو دخلت قواتنا فلسطين محاطة بسياج من آمال شعب وقلوب أمة .

لم يكن لدينا أسلحة حديثة ولكن الأخطر من ذلك أننا لم نكن على دراية بعمل الأسلحة المشتركة طيران ـ بحرية ـ قوات برية . فقد ظلت الأسلحة تخطط لنفسها وتقوم بعملياتها بشكل منفرد ومستقل ، ولقد دفعنا من دمنا ومستقبلنا ثمنا باهظا لذلك .

●

فى لهيب محنة حرب عام ١٩٤٨

إننى لست فى مجال التأريخ لحرب عام ١٩٤٨ ولكننى فى سبيل التأكيد على أننا لم نستخلص الأخطاء التى وقعنا فيها فى هذه الحرب ، وقد دفعنا ثمن ذلك فى المواجهات العسكرية التالية فى حرب عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ .

ثم إن الجيش المصرى ـ ضباطا وجنودا ـ قدم فى هذه الحرب بطولات يعجز اللسان عن وصفها ، لكنها مع الأسف ظلت مطمورة فى ذاكرة أصحابها أو معاصريها .

أذكر رغم كل شىء أننا كنا فى الدفاع الجوى قد أحضرنا جهازى الرادار الوحيدين اللذين يمتلكهما الجيش المصرى من القاهرة ، ورغم أن هذين الجهازين كانا قد تجاوزا عمرهما الافتراضى بكثير ، فإنهما ظلا يعملان بكفاءة عالية طوال استمرار المعارك ، وكان ذلك بفضل الصاغ المهندس إبراهيم حسن سليم (وزير الإنتاج الحربى بعد ذلك) بل قمنا فى المجدل بأول عملية استطلاع ألكترونى ، فقد كانت الطائرات الإسرائيلية متصلة النشاط طوال الليل دون أن نعلم بالضبط إلى أين تذهب ـ وقمنا بتتبع خطوط سيرها على شاشات الرادار ثم طبقنا خطوط السير على الخرائط ، وكانت النتيجة واضحة ، إنهم يقومون بنقل عتاد وأسلحة وذخائر إلى مناطق بعينها ، وبتطبيق أماكن النزول على الخرائط تنبأنا بأمكنة محتملة للهجوم اليهودى ، وقد قمنا بتوقيع ذلك على الخرائط مع تصورنا لما يمكن أن يحدث وحين حملنا هذه الخرائط إلى القيادة ، كان الرد : لا تتدخلوا فيما لا يعنيكم فنحن نعرف عملنا جيدا .

ولقد كانت تلك هى أخف المفارقات تأثيرا على عملنا ، فقد حدث بعد ذلك مالا يمكن تصديقه أصلا ، فحين شاء الملك أن يذهب إلى الأوبرا ، خشى القادة فى القاهرة مع وجود أجهزة الرادار على جبهة القتال ، أن يواجه ركب الملك بهجوم جوى دون أن يتوافر للقاهرة إنذار مبكر ، فكان القرار بسحب أجهزة الرادار من جبهة القتال حتى يتوافر إنذار مبكر لموكب الملك فى شوارع القاهرة ، وأثناء استمتاعه بمشاهدة الأوبرا ولأن عملية النقل تمت على عجل وبشكل مرتبك فقد كانت النتيجة سقوط أحد هذين الجهازين فى النيل أثناء نقلهما إلى القاهرة .

لقد قلت إن بطولات الجيش المصرى فى حرب عام ١٩٤٨ لم تكتب ولكنها كفيلة

بأن تضاف إلى رصيد البطولة والمجد للجيش المصرى العظيم ، يكفى أن أشير إلى معركة الاستيلاء على مستعمرة « ديرسفيد » فى الطريق من غزة إلى المجدل والتى كانت عملا عسكريا رائعا ، ويكفى أن أشير إلى الاستيلاء على مستعمرة « نينم » والتى أسر فيها حوالى ٢٠٠ يهودى وكانت عملا عسكريا ممتازا قاده محمد نجيب ، وكان أركان حربه كامل الرحمانى ، ويكفى أن أشير إلى بطولة الصمود فى الفالوجا المحاصرة تحت قيادة سيد طه ، وكان أركان حربه جمال عبدالناصر ، ويكفى أن أشير إلى الأعمال البطولية اليومية التى قام بها الرجال لاختراق الفالوجا وإيصال الإمدادات لها والتى تمت بواسطة زكريا محيى الدين وصلاح سالم ، ويكفى أن أستعيد أسطورة الطيار البطل « أبوزيد » من سلاحنا الجوى الذى كان مجرد ظهور طائرته فى سماء المعركة يبعث الاطمئنان والثقة فى قواتنا الأرضية ، والذى طالما رأينا أعدادا من الطائرات اليهودية مجتمعة وهى تفر مذعورة أمام طائرته المنفردة والتى تلاحقها وكأنها سرب كامل .

يكفى أن أشير إلى بطولة البحرية المصرية التى استطاعت أن تهاجم تل أبيب بحرا دون أن تتوافر لها أى حماية جوية ، يكفى أن أشير إلى ما قامت به وحدات الدفاع الجوى على قلتها بقيادة محمد فوزى وما قامت به وحدات المدفعية بقيادة أحمد حسن الفقى .

إن مجلدات كاملة يمكن أن تكتب عن بطولات قواتنا المسلحة فى حرب عام ١٩٤٨ ، ولكن المشكلة فى ذلك كله أنها كانت بطولات فردية وأعمالا فردية ، ومن المؤكد وذلك أحد الدروس المستفادة ، أن كسب الحروب فى النهاية هو ثمرة عمليات تنظيم تعاون مشترك بين جميع الأسلحة ، وهو الأمر الذى كنا نجهله تماما فى ذلك الوقت .

لقد اتصل القتال واستمر ثم أعلنت الهدنة ، ثم تفجر القتال مرة ثانية بعد أن تم تغيير قيادة الجيش ، واستغل اليهود الهدنة - كالعادة - للقيام بعمليات عسكرية ذات طابع ثأرى .. إننى أريد أن أتوقف - تفصيلا - عند سير عمليات القتال فى هذه الفترة البالغة السخونة والتى وقعنا خلالها فى أخطاء فادحة من خلال ما دونته بيدى خلالها من وقائع بما فيها انطباعاتى الشخصية .

استأنف اليهود القتال عصر يوم ١٥/١٠/١٩٤٨ بقذف العريش وغزة والمجدل وأسدود بضرب مكثف بالقنابل فى وقت واحد ثم استؤنفت الغارات فى منتصف ليلة ذلك اليوم ولم يكن أحد يعلم بما ينويه اليهود ولكن هذا ما سوف أرويه فى خلال سبعة أيام وسبع ليال لم أر فى حياتى أسود منها .

فى مساء ذلك اليوم سُمع ضرب شديد للمدفعية وأصوات مدافع ماكينة وكان يظن أن المقصود بذلك هو مستعمرة « ديرسنيد » حتى يمكن باحتلالها قطع خطوط مواصلات الجيش بين الشمال والجنوب أى بين أسدود والمجدل من جهة وبين غزة من جهة أخرى ، ولكن قطع سكون الليل صوت انفجارين كبيرين سمعا بوضوح فى

المجدل ثم هدوء خيم على الجبهة كلها ولم يعرف ما حدث إلا فى صباح اليوم التالى ..

فقد تم نسف الكوبريين على طريق المجدل وغزة وظل الطريق مفتوحا رغم ذلك ، وابتدأ المهندسون فى نصب كبار محل تلك التى نسفت ثم عند الظهر ابتدأ احتلال اليهود لقرية بيت حانون العربية وبذلك تمكنوا من قطع الطريق إلى المجدل ، وفى ذلك أعجب من عقلية القائد وأعجب أكثر من تصرفاته ، إنه لم يتخذ أى إجراء ولم يقم بأى هجوم مضاد فى الحال حتى نسترد ذلك الموقع الهام وحتى يمكن وصل الشمال بالجنوب ، وابتدأ تموين المجدل بطريق البحر ثم بواسطة الجمال وبواسطة قولات عربات ابتدأت تأخذ طريقا بتجنب قرية بيت حانون بالمرور خلفها ، ومازلت أعجب لأننا لم نفكر حتى فى استرداد هذه القرية جديا بقوة محترمة ثم ترك هذه الحالة قائمة مادمنا قد تجنبنا القرية بذلك الطريق ، فى خلال ذلك اليوم لم تتوقف الغارات الجوية على العريش وغزة والمجدل وأسدود بشكل لم ير من قبل وكان أفظع ما لاقيناه أن أمطرتنا مطاردات العدو بوابل من رصاص رشاشاتها ، حقا إن سلاح الطيران سلاح مفزع مخيف ، ولكن الله سلم وانتهى هذا اليوم على ذلك وأصبح الموقف أن اليهود قد احتلوا قرية بيت حانون وبذلك قطعوا الطريق إلى المجدل وهددوا الطريق التبادلى الآخر ..

.. تلك عمليات منظمة قام بها اليهود بكل جرأة وثبات ولم يكن ذلك متعودا من اليهود فى سابق عملياتهم . ولقد كانت عملياتهم موفقة إلى حد كبير لا لأن قواتهم أكبر عددا ولا لأن قواتهم قوية ولكنها نجحت لأنها لم تلاق عملا إيجابيا فى الحال . ولم يقتصر الهجوم على هذا الحد ولكن ما أن أتى الليل حتى ابتدأ الهجوم على تقاطع الطرق وهو الطريق الموصل إلى عراق سويدان .. كان ذلك التقاطع محصنا تحصينا لا يمكن أى قوة من اختراقه .. دشمة أسمنت مسلح ضد المشاة والدبابات وبه مواقع أسلاك .. ولم يظهر الصباح إلا وكان التقاطع فى أيدى اليهود .. أنا أعزو ذلك إلى إهمال من الضباط ليس إلا .. إننا شعب لم نتعلم حتى الآن .. لم يصح الضباط من غفوتهم إلا والموقع فى أيدى اليهود .. إن إهمال جندى واحد أدى إلى وضع الجيش فى مأزق حرج .. حتى الآن لم نتعود على الحرب ولم نتعلمها ، لو كنت مكان القائد العام لأمرت بإعدام هؤلاء فورا ، لأنه لو كان قدر ـ لا قدر الله ـ هزيمة الجيش واكتساحه لفقدت مصر كل شىء .. كانت ستفقد جيشها ثم استقلالها ثم كل أمل لها فى أن تعيش كدولة محترمة مستقلة .. وأعجب من هؤلاء الأوغاد الانجليز .. لقد ضحينا فى سبيلهم بالكثير ولكنهم لم يمدوا يد المعونة لنا ..

سقطت بعد ذلك بلدة بئر السبع وبذلك تم فصل اللواء الرابع عن باقى القوات ثم بعد ذلك هوجمت قرية « بيت جيرين » فسقطت أيضا وبذلك تم فصل اللواء الرابع عن « بيت لحم » و« الخليل » .. بكل هذه العمليات نجح اليهود فى الحصول على غرضهم ، فصلوا لواءات الجيش بعضها عن بعض وتمكنوا من بث حالة من الذعر

لا توصف فى القوات . بعد كل هذا بدأت رئاسة القوات تصحو من غفوتها وابتدأ مجلس الأمن ينظر فى القضية وابتدأت رئاسة القوات بسحب نفسها والرئاسات التابعة لها ـ وكنا معها ـ من المجدل إلى غزة .. وأحب أن أصف هذا الانسحاب لأننا لم ننجح فى الانسحاب كما سبق أن لم ننجح فى صد اليهود .

أركان الحرب يقولون إن الطريق مأمون وإن السلاح الجوى سيقوم بالحماية الجوية للقوات المنسحبة ، وأن هناك جدولا زمنيا للانسحاب ، وإن البوليس الحربى سيقوم بتنظيم حركة الانسحاب ، وإن هناك حماية أرضية مدرعة لذلك الانسحاب .. وإن .... إلخ ، كلام ظهر أنه أجوف وأن كل ذلك ليس إلا كلام مكاتب ..

.. تعرضنا عند خروجنا من المجدل متجهين إلى غزة إلى قذف القول بوابل من قنابل طائرات الأعداء وكانت هذه هى البداية .. ثم أين السلاح الجوى الملكى الباسل .. وأين نسورنا الجويون المحترمون .. كل ذلك لا وجود له .. لم تظهر حتى طائرة واحدة لحماية كل هذه القولات .. وصلنا ديرسنيد ووجدنا أكداسا من العربات .. تجمعات فظيعة من العربات مكدسة فى مكان واحد .. والبوليس الحربى تائه فى الوسط .. وأعجب لغاية الآن لماذا لم تهاجم طائرات الأعداء ، هذه المنطقة .. لو قدر ذلك لما تمكن إنسان من العودة سليما إلى غزة .. ولكن الله سلم أيضا وأخذنا فى تنظيم المرور أنا والصديق العزيز محمد غانم حتى تمكنا من المرور ووصلنا إلى الطريق خلف بيت حانون فى عربة جيب أنا ومحمد فوزى .. ذكرنى ذلك بما سيكون عليه يوم الحشر .. إن كنا مازلنا فى الدنيا ولا يفكر كل فرد إلا فى نفسه .. وتعرضنا لضرب شديد من مدافع ماكينة الأعداء ومدافع الهاون .. مناظر مؤلمة مبكية . عربات مقلوبة من جنون السرعة .. وازدحام فظيع .. ألم ير أحد هؤلاء أركان الحرب هذا .. إنهم صم بكم عمى ...

... وصلنا غزة بسلامة الله وحمدنا الله على سلامة العودة وأخيرا أمر مجلس الأمن بوقف القتال ونفذ فى تمام الساعة ١٤٠٠ من يوم ٢١/١٠/١٩٤٨ ، ولكن منذ متى كان اليهود هم الذين يحترمون قرارات كهذه ؟

ولعل الله لم يكذب تقديرى فلم تكن الساعة قد قاربت ١٦٠٠ حتى ظهرت فى أفق بحر غزة أربع سفن للأعداء وكانت السفينة « فاروق » وكاسحة الألغام « نهارية » تقومان بالحراسة أمام شاطىء غزة ، وقد وصلنا هذا الخبر فذهبت إلى نقطة مراقبة البحر حتى أقوم بالضرب على سفن الأعداء هذه وقد اتصل « البكباشى عدلى جميعى » من السلاح البحرى الملكى بالقائد العام يخبره بالموقف وكانت السفن تقوم بمناورات حول السفينتين وقد وصلت الإشارة التالية من قائد « فاروق » :

« سفن الأعداء داخل المياه الاقليمية ـ أوامركم » .

فجاءه الرد وذلك طبعا بعد استشارة القيادة العامة الرشيدة :

« لا تطلق النيران مطلقا . نحن فى هدنة » ..

كانت هذه هى أوامر القائد العام ..

وسارع القائد العام إلى إبلاغ ذلك إلى مراقبى الهدنة فحضروا الساعة ١٧٣٠ مع أن مكانهم لا يبعد عن شاطىء البحر ١٥ دقيقة على الأكثر وبدأت سفن الأعداء فى الانسحاب خارج المياه الاقليمية بل خارج ميدان النظر . ورجعنا إلى موقعنا ثانية ، وما جاءت الساعة ٢٠٣٠ حتى رأينا لهيب مدافع ينبعث من البحر وعدد كل ٦ و ٨ على التوالى ، أخذنا عربة جيب وسارعنا إلى شاطىء البحر وهناك وصلتنا الإشارات التالية :

« فاروق أصيبت ـ أنقذوا أرواح من فيها » .

وصلت هذه الإشارة من فاروق نفسها وبعد ذلك فقدنا كل اتصال بها وحاولنا الاتصال بنهارية ولكننا فشلنا أيضا وأخيرا اتصلنا بها وأمر « عدلى جميعى » قائدها بالذهاب إلى مكان فاروق لإنقاذ من فيها وكنا جاهزين لحمايته من الشاطىء ، ولكنه أخبرنا أن ماكينة سفينته قد تعطلت .

ابتدأت عملية الإنقاذ حوالى الساعة ٢٢٠٠ وذلك بواسطة جميع مراكب الصيد وبالاستعانة بباعث الأنوار الموجود على الساحل واستمرت هذه العملية إلى الساعة ٤٠٠ من صباح ١٩٤٨/١٠/٢٢ وفقدنا على هذه السفينة زميلنا المرحوم « طه عطعوط » وتبين أن هذه السفينة أغرقت بواسطة لانش مملوء بمواد متفجرة سريع جدا يقوده شخص واحد وكان أحد هذه اللنشات قد أخطأ هدفه وخرج على الشاطىء وجاء أيضا مراقبو الهدنة سكارى ليحتفلوا برؤية هذه الكارثة التى ذهبت ضحيتها إحدى سفننا التى نعتز بها ...

.. بقينا فى غزة إلى يوم ١٩٤٨/١١/٧ ثم صدرت الأوامر بالانتقال إلى رفح ، وكانت عملية الانسحاب مستمرة لإخلاء المجدل وديرسنيد وهربيا والاحتفاظ بالخط غزة ثم رفح العسلوج ، وابتدأت الحياة تعود إلى مجاريها أو إلى سابق العهد بها واستمر طابع الغباء وقصور التفكير على ما هو عليه وأصبح الموقف كالآتى :

الخط من عراق سويدان ـ الفالوجة ـ عراق المنشية .

الخط من غزة ـ دير البلح ـ خان يونس ـ رفح .

الخط رفح ـ العوجة العسلوج .

وانتهز اليهود فرصة إخلاء المجدل من القوات المصرية خاصة المدفعية وشنوا هجوما شديدا كسبوا به قلعة « عراق سويدان » وانحصرت بذلك قوات الفالوجة فيها وفى عراق المنشية ، هذه القوات أصبحت محاصرة وشربنا من الكأس نفسها

التى سقيناها لليهود . وابتدأ تموين هذه القوة بالطائرات كما كان اليهود يفعلون تماما ، وقد شنوا عدة هجمات على جزيرة المقاومة هذه دون جدوى ..

وفى حوالى ١٩٤٨/١١/١٩ غير القائد العام الأسبق وهو اللواء أحمد على المواوى بك وعين مكانه اللواء أحمد فؤاد صادق بك . وزيد على هيئة أركان حرب القيادة رتب كبيرة مشهود لهم بالكفاءة والامتياز ، تفاءلت القوات بمقدمه والكل يعقد الأمل عليه ، فهو قائد شديد قاس ذو شخصية قوية تتمثل فيه القيادة .

من يوم وصول القائد الجديد ابتدأت روح جديدة تسرى بين القوات .. روح ابتدأت تستيقظ من رقدتها ، وابتدأ الجيش يشعر بأن هناك قائدا حاكما بأمره لا دخل لأحد بعمله هو القائد الفعلى للمعركة وهو القائد فعلا وليست القاهرة أو لوءات القاهرة الذين يسعون وراء شهرة أو منصب ولم يشعروا حتى الآن بأنهم فى حرب ، وأنه هو الذى سيسير دفة الأمور على طول الجبهة فى فلسطين ، وابتدأ الجميع يقدرون فى الرجل جرأته وشدة مراسه وإقباله على تحمل مسئولية لا قبل لأى لواء آخر على تحملها ، حقا إنها مسئولية خطيرة وإنها خطوة جريئة من رجل يصلح أن يكون قائدا ، وهل هناك مسئولية أخطر من قيادة جيش محتل لخط دفاعى على شريط ساحلى ضيق وراءه البحر وأمامه اليهود ، ولا أكون مغاليا إن قلت إن وراءه البحر وأمامه اليهود والدول الكبرى المساعدة لهم .. جيش مسلح بتسليح قديم .. جنود فزعة ترهب الحرب وتخشاها .. روحهم المعنوية فى انخفاض مستمر .. وعموما فهى حالة يائسة .. حالة خوف وعدم استقرار ..

ابتدأ الرجل ينفذ ما عزم عليه من تقوية للروح المعنوية بالمرور على الوحدات وإصدار المنشورات القاسية التى تحتم على الجميع الاستماتة فى الدفاع . وابتدأ الجميع يفهمون حقيقة الموقف بصراحة وبوضوح وأخذ يخرج إلى الجيش كل يوم ملخص لتقارير المخابرات فابتدأت القوات تسترد جأشها وابتدأت الروح المعنوية ترتفع ، وابتدأ هو يوجه النظر إلى التدريب وابتدأ الجميع فى التعاون معه ...

.. إن تغيير القائد رفع روح الجيش المعنوية ، وأن كل ما فعله اللواء أحمد فؤاد صادق سيذكر له فى يوم من الأيام على أنه بطل تحمل مسئولية قل أن يتحملها إنسان . وفى ذلك الوقت لم ينس الفالوجة بل كان دائما يذكرها وكان دائما يسعى لخيرها ، وكانت الفالوجه تفخر بقيادته للجيش وبذلك أبلت بلاء حسنا ندر أن يبذل مجهود مثله وفؤاد صادق من ورائهم يشجعهم ويحثهم على الجهاد والصبر ويخبرهم أن مصر تنظر إليهم وأن العالم معجب بهم .

وليس أدل على ذلك من نص تلك البرقية التى أرسلها قائد الفالوجا إلى قائد جبهة القتال :

كان نص البرقية يقول :

« كلنا شاكر لكم هذا العطف والحنان الأبوى الذى نلمسه الآن وهو عندنا ثروة

نعتز بها وهى فى ميزان الجهاد أعز من الحديد والنار ، أحيى الإقدام منك ، أم أحيى الشجاعة فيك .. إنهما صنوان لا يفارقان شخصية عظيمة كشخصيتك .. أكرر الشكر على ما تقدمونه إلينا وأصبحت الحالة طبيعية جدا وتكاد تكون سبل الحياة مجتمعة بهمتك وسهرك ، بارك الله فى صبرنا وشجاعتنا وبارك الله فى قيادتكم وعزيمتكم » ..

ابتدأ الرجل فى تنظيم الجيش تنظيما جديدا وأخذ يخطط بشكل وأسلوب جديد يدفع نقطا خارجية للمراقبة ولتعطى الإنذار الكافى للقوات الموجودة فى الخط الدفاعى وابتدأ بتجميع قوات ضاربة فى كل منطقة مكونة من كتيبة مشاة تبقى كاحتياطى فى كل قطاع حتى تصد أى هجوم تقوم به القوات اليهودية وتتمكن به من اختراق الخط الدفاعى المفرد الموزع بغير عمق .. ثم جمع مجموعة لواء مشاة ملحق عليها بطارية مدفعية ٢٥ رطلا وتروب برفرز ٤٠ مم ذاتى الحركة مضافا إليها قوات الفرسان الموجودة من دبابات وعربات مصفحة ، لتصبح قوة ضاربة فى يده ، بهذا التنظيم ضمن وجود احتياطى فى يد قائد كل قطاع ثم احتياطى فى يده هو ، وضمن إنذارا كافيا للوحدات بواسطة النقط الخارجية .. وابتدأ يبذل قصارى جهده فى لفت النظر إلى تحصين مواقع الوحدات وإلى أهمية التدريب وابتدأ فى عمل كل ما هو صالح للوحدات الدفاعية .

وبعد ذلك جاء اليوم الذى اعتبر يوم الامتحان لهذه القوات ، ابتدأ اليهود بالهجوم على تبة الشيخ نوران أمام دير البلح يوم ١٩ /١٢/١٩٤٨ وكان بها نقطة ملاحظة أمامية اضطرت إلى التقهقر أمام القوات اليهودية ولكن القائد أصر على استردادها ودارت معارك بخسائر ، خلال هذه العمليات ظهرت بعض الوحدات بمظهر غير مشرف فلم يتوان القائد العام عن أخذ هذه القوات بالشدة ، ومر يومان وظهرت نتيجة المجلس العسكرى الذى أمر بتشكيله لسرية مشاة وضباطها ، وأمر القائد أن يحضر تنفيذ الحكم مندوبون من جميع الوحدات وتم ذلك فى الأرض الفضاء المجاورة لرئاسة القوات برفح .. خفف حكم الإعدام عن خمسة إلى الأشغال الشاقة خمس سنوات ، وجلد الباقون خمسين جلدة .. كان هذا هو الدرس الأول الذى ألقاه القائد على الوحدات وكان الجزاء من صنف العمل ، كان للسرعة فى محاكمة المخطىء والسرعة فى تنفيذ الجزاء الأثر المطلوب فى القوات وابتدأ الجميع يقدرون الموقف على حقيقته ، ياليت ذلك نفذ من قبل ، إذن لكان الوضع غير الوضع .

وبعد هذه المعركة زار ميدان القتال مراسل أخباراليوم ومعه بعض مراسلى الصحف الأمريكية وقد أظهر القائد العام اعتزازه بقيادة هذه القوات فى خطاب أرسله إلى مصطفى أمين قال فيه :

« طلب منى مندوبك كلمة ، وقد يريد معرفة شىء عنى فأحدثك بخير ما فى وأحسن ما أزهو به ، إننى سعدت بقيادة أبطال لا يساويهم أحد ، إنهم أشبال الأسود الذين سبقوهم وسجلوا صحائف المجد لوطنهم إنهم ماضون فى طريقهم

ولقد سجلوا وسيسجلون إن شاء الله أروع البطولات فى خدمة مليكهم ووطنهم ولإعلاء سمعة جيشهم ، حقا إننى أفاخر بقيادتى لهؤلاء الجنود وأحمد الله أن سمح لى الزمان ووثقت بى الرئاسة فجعلتنى أقاسم بعض الحظ فى قيادة هؤلاء الأسود » ..

أما ما قاله القائد العام لمراسلى الصحف الأمريكية :

« كان الغرض من الهجوم اليهودى فصل القوات المصرية بين غزة ورفح حتى يضطر الجيش المصرى إلى قبول شروط اليهود لإخلاء فلسطين .. إننى لا أريد التحدث كثيرا عن المعركة ولكنها انتهت بانتصارنا » ..

« .. فى يوم ١٩٤٩/٢/٢٨ ختم القائد العام اللواء أحمد فؤاد صادق الأعمال الحربية بلقاء جمعنا مع ضباط الفالوجا فى معسكر رفح .. وفى البدء حيا بطولة وصمود قوات الفالوجا ثم رفع قبضة يده إلى أعلى احتراما للعمل البطولى الذى قام به محسن عبدالخالق فى نقطة مراقبة التبة ٨٦ حيث وجه مدافعه لتضرب موقعه عندما اقترب منه اليهود وفضل أن يبقى فى وجه النيران دون أن يترك موقعه ثم أخذ يعدد الأخطاء ويرصد السلبيات ، وما أزال أذكر بعض كلماته : « إن الجندى المصرى هو أحسن جنود الأرض ولكن الجندى المثالى يحتاج إلى أسلحة حديثة وقائد يقوده وتدريب ممتاز » ..

ولأول مرة يتكلم قائد عسكرى مصرى فى صميم السياسة فى مؤتمر عام يضم ضباطه وجنوده ووحداته المقاتلة ، وقد فوجئنا بأن اللواء أحمد فؤاد صادق يهاجم بشدة السياسيين وأعضاء مجلسى النواب والشيوخ الذين كانوا يقولون دائما بأنه لا لزوم للجيش ، وأنه خير لنا أن نصرف الأموال التى تنفق عليه لتحسين أحوال البلاد .... » .

بعد أن وقعت الهدنة بين مصر وإسرائيل خفضت القوات ، وسحبت أغلب الوحدات لتبقى فى منطقة القناة ، أو تعود إلى قواعدها حول القاهرة .

كان فى داخل كل منا مرارة وغليان ، وكان ثمة هاجس واحد يوحد قلوب وعقول الضباط العائدين من تجربة الحرب القاسية : إن اتجاه الرصاصة القادمة ينبغى أن يكون إلى الداخل لا إلى خارج الحدود .. وحول هذه الرصاصة اتسعت دوائر تنظيم الضباط الأحرار ..

من المؤسف أننا لم نستفد رغم ذلك من دروس حرب عام ١٩٤٨ وإلا لتجنبنا كثيرا من الهزائم والنكسات التى حاقت بنا ، ولهذا تأخر طويلا نصر أكتوبر ١٩٧٣ العظيم .

جمال عبد الناصر :
صورة من قريب

ليس هدفى من هذه السطور أن أدبج دفاعا جديدا عن شخص جمال عبدالناصر أو أن أكتب به تعريفا كعسكرى ، أو كقائد ، أو كزعيم ، أو كإنسان ، ذلك أننى أحد الذين يؤمنون عن قناعة ويقين ، أن جمال عبدالناصر هو آخر مصرى عربى سوف يكون محتاجا على امتداد قرون قادمة ، إلى من يصوغ قصائد مديح فيه ، أو هجاء فى خصومه ، أو إلى من يقدم كشف حساب بإنجازاته العظيمة ، كما أننى ـ أيضا ـ أحد الذين يؤمنون عن قناعة ويقين ، أن جمال عبدالناصر هو آخر مصرى وعربى فى خضم موجات متصلة من النضال الوطنى والقومى تربو على قرن كامل من الزمن ، يمكن لبعض قنابل الدخان أو الأكاذيب أو الجراثيم أن تهز أو تمس دوره الراسخ .

لقد نصب جمال عبدالناصر من دوره وفكره ونضاله قنطرة تحول تاريخية فى حياة مصر والأمة العربية كلها ، وبكل مستوى ، وبكل بعد ، وسوف تظل هذه القنطرة راسخة فى موقعها ، لأنها جزء ثابت وحاسم فى مجرى النهر الوطنى والقومى العظيم ، ومهما تكن الجسور التالية عليها ، مجرد محولات جانبية أو موقوتة ، تخفى تحتها جداول ماء ، أو عواصف رمال .

ومن المؤكد أن جمال عبدالناصر لم يؤلف العروبة ، ولم يبتكر الدائرة الإسلامية أو الافريقية ، حول الدور المصرى ، كما أنه لم يصطنع حركة عدم الانحياز ، فالعروبة والإسلام ، وعبقرية المكان المصرى ، كمسرح استراتيجى كانت جميعها قبل جمال عبدالناصر ، وبقيت وستبقى بعده وبعدنا جميعا ، ولكن القيمة الحقيقية لجمال عبدالناصر فى ذلك كله وغيره ، أنه أبصر بعمق ، واكتشف ببصيرة نافذة ، وحاول أن يحول قوانين الطبيعة الكامنة إلى ضرورة فاعلة فى مرحلة مواتية من التاريخ ، ثم إن جمال عبدالناصر لم يؤلف معادلات القوة فى البنيان المصرى أو العربى ، وإنما استطاع أن يكتشفها ويترجمها إلى حقائق بسيطة تكاد تنتسب إلى البديهيات .

مصر قوية على جبهة دولية واسعة عندما تمتد طبيعيا داخل نسيجها العربى ، ومصر قوية ونافذة داخل محيط عربى واسع ، عندما تتحصن بوحدتها الوطنية الخالدة وتتمثل حاجات محيطها العربى تقدما علميا وسبقا حضاريا وقوة عسكرية .

ومصر قوية ومنتجة ومعطاءة ، عندما تنفتح على إيقاع العصر والدنيا من حولها ، وتشارك دون قعود وتتفاعل دون عزلة ، ومصر منتجة ومبدعة ومتوحدة عندما يكون العدل فى موقع ميزان الحُكم والحَكم ، لأن العدل ظل هاجس المصريين منذ أن بدأوا يخضرون أرضا أو يلونون أفقا أو يرسمون فوق الطين وينحتون فى البازلت .

معادلات بسيطة ولكنها عميقة ، لأنها نبض التاريخ المصرىّ كله ..

وحتى بالنسبة لشخص جمال عبدالناصر نفسه ، فقد كان فى تكوينه من حكمة هذا التاريخ نذر ليس باليسير .. كبرياء بلا تكبر .. ورحمة بلا تفريط وعدل بغير انحياز ، وإيمان بغير كهنوت ، ووطنية بغير عنصرية ، وقومية بدون تعال ، وانتماء إلى القاعدة المنتجة العريضة التى كانت سواعدها مشاعل الحضارة دوما .

ولم يكن جمال عبدالناصر قابلا للإفساد ، فقد ظل وحده مصرا ومتمسكا بأمرين :

انحيازه الاجتماعى إلى الأغلبية الاجتماعية .

وانتمائه أو لنقل امتلائه ، بدوره كثورى لا كحاكم .

حين اندفعت الدعوات بعد الثورة من أصحاب البيوتات ، وكبار رجال الصفوة الاجتماعية القديمة للاحتفاء بالثوار ، ودخل بعض الثوار من خلال هذه الدعوات إلى نسيج اجتماعى جديد ، رفض جمال عبدالناصر كل دعوة ، وأى دعوة مهما كان صاحبها أو هدفها ، فلم يأكل على مائدة صاحب ثروة أو جاه ، ولم يخالط دوائر الصفوة المترفة ، ولم يعاشرها .. وأقام بينه وبين حياتها اليومية سدا لم ينجح أحد مرة واحدة فى اختراقه ، ولم تجذب جمال عبدالناصر كغيره اللقمة الطرية ، والحياة الرغدة ، بل استمر يواصل حياته ، كما كانت قبل الثورة يأكل اللقيمات نفسها ، ويرتدى الثياب نفسها . فى حين كان غيره قد غير مع طعامه وشرابه ، ودوائر أصدقائه ومعارفه ، جلده قبل ثيابه .

ولم يفرض جمال عبدالناصر ذلك كله على نفسه فقط ، بل فرضه على أسرته وأهله ، إخوانا وأعماما وأخوالا ، وكانت علاقاته بهم تنطق بذلك كله وكأنه كان يطبق تلك الحكمة المصرية الخالدة : « إن السمكة تفسد من رأسها » .

ولست أريد أن أتحدث عن تلك القصة التى تحدثت عن حب جمال عبدالناصر لابنة إقطاعى ، وعن محاولته الإنتساب إلى هذه الأسرة ، ثم فشله ، فلم تستأثر الطبقات المتخمة بفكر جمال عبدالناصر ولم يكن فى مقدورها أن تأسر شعاعا دافئا من قلبه ، فضلا عن أن يسعى للانتماء إليها .

سوف أبدأ بالاقتراب من تلك الدائرة الصغيرة لعلاقته بأهله المقربين ، لقد ذكرت أن أول كلمات قالها لى حين فاتحنى فى أمر تعيينى محافظا لأسيوط ، كانت

طلبا متشددا بأن أعامل أهله وأقاربه بشدة ، وأذكر بعد ذلك وأنا محافظ لأسيوط أن أتهم أحد الفلاحين عمه طه بأنه استولى على فدانين من أرضه وطلبت من عمه أن يرد الفدانين على الفور وقام بردهما إلى صاحبهما .. فقد كان يعلم أن الأمر لو وصل إلى إبن أخيه الرئيس فلن تأخذه به رحمة .. وعندما وصل إلى جمال عبدالناصر ذات يوم خبر تأخر أحد أقاربه فى دفع الضرائب اتصل به بنفسه وأمره بأن يدفع الضرائب فورا ، ولم يجد القريب بديلا عن أن يستجيب ويدفع ما عليه ..

أذكر بعد ذلك أن أخاه عزالعرب عبدالناصر قد كلمنى بكلمات وسط آخرين وأنا محافظ للاسكندرية اعتبرتها غير لائقة بل ومهينة .. ورغم أننى رددت عليه ردا بالغ القسوة ، فإننى لم أتحمل ما حدث فاتصلت بسامى شرف وأبلغته بالحكاية ، وقلت أننى لا أستطيع أن أقود المحافظة بعد هذا .. وقدمت استقالتى إلى الرئيس بالفعل ، ولم أنتظر رده عليها ، وإنما ذهبت واعتكفت بمنزلى .

وحين عرف جمال عبدالناصر ثار ثورة عارمة ، لم يقبل الاستقالة أولا ثم اتصل بأخويه ثانيا ، وأمرهما بأن يذهبا إلى وأن يقدما اعتذارا علنيا أمام الأشخاص أنفسهم الذين جرى الحديث السابق فى حضورهم ، وقد فعل أخواه ذلك بالفعل ، ولم يكتف جمال عبدالناصر بذلك فحين حضر إلى الاسكندرية لتشييع جنازة عمه خليل وتقبل العزاء ووقف مودعا فى محطة سيدى جابر اختار أن يسألنى مشيرا إلى أخويه وعلى مرأى ومسمع من الجمع الكبير على رصيف المحطة : كيف أحوالهما معك الآن ؟ .

قلت : كل خير .

قال بصوت تعمد أن يكون عاليا :

إننى أقول لك أمامهما إياك وأن تسمح لهما بأى خطأ .. لأننى لا أسمح ولا أقبل ، ومع كل هذه الشدة ، فقد كان حنونا وعطوفا معهم ، ويكفى أن أورد حادثة واحدة للتدليل على ذلك ، كان جمال عبدالناصر عائدا لتوه من رحلة استشفاء فى أسخالطوبو بالاتحاد السوفييتى وكان يعانى من آلام مبرحة فى ساقيه تفرض عليه قيودا شديدة فى الحركة والتنقل .. وقد حدث وتعرض أخوه الليثى عبدالناصر وزوجته لحادثة سيارة فى طريق الاسكندرية القاهرة الصحراوى وحين نقلتهما سيارة الاسعاف إلى أحد مستشفيات الاسكندرية أصررت أن أبلغ مكتب الرئيس رغم أن الوقت كان متأخرا جدا .. وبعد دقائق اتصل بى الرئيس .. لم يسأل أية أسئلة إضافية ولكنه قال على الفور : أحمد أنا قادم بالسيارة الآن إلى الاسكندرية ، حاولت أن أثنيه عن عزمه ولكنه لم يستجب .. ووصل بالسيارة إلى الاسكندرية فى حوالى الثانية صباحا .. ذهب إلى المستشفى مباشرة وأمضى بعض الوقت مع أخيه ، وفى حوالى الرابعة ذهب ليأخذ قسطا من الراحة فى استراحته بالمعمورة ، لكن لم تمض غير ساعة واحدة حتى اتصل بى أطباء المستشفى يقولون أن نتيجة الفحوص تفيد بضرورة أن يتم اجراء جراحة لليثى

عبدالناصر لاستئصال طحاله الذى تهتك تماما من جراء الحادثة ، ترددت فى إبلاغ الرئيس ، ولم يكن ثمة بديل عن الاتصال به فى الخامسة صباحا وكان رده : إنه قادم إلى المستشفى على الفور ليكون إلى جوار أخيه عند إجراء الجراحة ، وحين حضر إلى المستشفى مع خيوط الفجر الأولى وناقش الأطباء واقتنع أدخل الليثى إلى غرفة العمليات ، فوجئت به بعد فترة يهمس فى أذنى قائلا : « أحمد .. هل نجد هنا لقمة نأكلها ..... » .

ذهبت إلى مدير المستشفى أسأله عن طعام ونجح مدير المستشفى بعد فترة فى أن يرسل صينية عليها طبق من الجبن وبضع قطع من الكعك ، وفوجئنا جميعا بجمال عبدالناصر يأخذ فى توزيع قطع الكعك والجبن على الحاضرين جميعا واحدا واحدا مصرا على أن يأكل الجميع .

والحقيقة أن تلك الصورة التى حاول البعض أن يرسمها ويوزعها لعبدالناصر المتحجر المشاعر القاسى القلب ، هى صورة مزورة تماما ، فلقد كان عبدالناصر كإنسان يفيض رقة وعذوبة لدرجة يصعب تخيلها .

فى أول أيام الثورة كانت هناك طائرتان من سلاح الجو المصرى ومن طراز لانكستر الانجليزى عائدتان من مهمة فى الهند ، ولأسباب فنية سقطت الطائرتان داخل الأجواء المصرية فوق صحراء الماظة ، ولم تكن المشكلة هى فقد الطائرتين ولكن فقد الطيارين فقد كان يصعب على الطيار فى هذا النوع من الطائرات أن يغادر مقعده عندما يصبح الخطر محدقا ، ولهذا استشهد الطياران احتراقا داخل هيكلى الطائرتين ، وعندما نقل الخبر إلى عبدالناصر اعتصره ألم حاد فى معدته ثم انتابته نوبة من القيء الشديد واستمر هذا حاله كلما نقل إليه خبر حزين يتعلق برجل أو مقاتل .. فقد حياته فوق ساحة الشرف ، وحسب رواية الفريق أول محمد فوزى لى .. فإن عبدالناصر كان يتألم ألما شديدا كلما نقل إليه خبر استشهاد طيار مصرى ، أثناء حرب الاستنزاف سواء كانت الحادثة أثناء التدريب أو أثناء اشتباك جوى مع طيران العدو ، بل كان يلح على فوزى بأن يضع ضمانات أشد فى كل حالة حرصا على حياة الضباط والجنود .. وتأمينا لهم ، وعندما اتسعت أقواس النيران وتعمقت الدوريات المصرية التى كانت تعبر القناة ليلا ، وتخترق دفاعات العدو على الضفة الأخرى لتقوم بعمليات فدائية فى سيناء ، كان عبدالناصر يظل مستيقظا طوال الليل إلى جوار التليفون حتى يبلغه القائد العام للقوات المسلحة بتمام عودة الرجال من مهمتهم القتالية داخل سيناء ، وكان ذلك لا ينطبق فقط على وحدات العبور الأرضية وإنما كان ينطبق أيضا على المهام التى تقوم بها طائرات الاستطلاع أو الوحدات البحرية كالسفن أو الغواصات ، وكان عبدالناصر فى أعقاب كل مهمة يتوقف طويلا أمام أسماء الشهداء ويسأل متألما عن الأسباب ، وكيف يمكن تجنبها ويمارس ضغطا على القائد العام للقوات المسلحة حتى يحول دون تكرارها .

وحين أبلغته يوما بأن ضباط الصواريخ يقولون أنهم يعرضون لأوضاع انتحارية ، أثناء عمليات دفع قواعد الصواريخ إلى الحافة الأمامية من الجبهة وأنهم يقدمون تضحيات عالية جدا ، لم يكتف عبدالناصر بسؤال القادة العسكريين بل وسع من دائرة اجتماعاته مع ضباط الدفاع الجوى حتى مستوى قادة الكتائب الميدانية ليناقشهم ويسمع منهم ويتعرف على ظروف قتالهم الصعبة وما يرونه لانجاز المهام القتالية المطلوبة دون خسائر قدر الإمكان .

أما فيضان ألمه وحزنه ، فقد وصل إلى ذروته عندما استشهد الفريق أول عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى موقع قتالى متقدم على جبهة القتال أثناء حرب الاستنزاف وهو حزن وصفه القريبون منه بأنه أكثر مرارة من أى مرة ، فقد فيها قريبا عزيزا على قلبه .

يرسمون أيضا ـ صورا مختلفة لعبدالناصر الديكتاتور ، المتشبث برأيه والمصر على وجهة نظره ، أو ما يعتقد أنه الصواب ، وتلك ـ أيضا ـ أكثر الصور المزورة والمتداولة عن عبدالناصر ، فلم يكن الرجل متصلبا فى رأى ، ولم يكن هدفه من أية مناقشة أن يدلل على سلامة وجهة نظره ، وعطب آراء غيره ، بل كان هدفه فى كل حوار أن يصل إلى الصواب ، ولهذا كان مستمعا من طراز فريد ومناقشا من الدرجة الأولى ، وما أكثر المرات التى رأيت فيها جمال عبدالناصر وهو يتراجع عن رأى كان قد أبداه فى بداية نقاش بعد أن استمع وأنصت وتأمل .. فلم يكن يخشى أو يكابر من أن يبدو رأيه فى موضع الخطأ ورأى غيره فى موقع الصواب ، وكان فى مناقشاته هادئا لا يظهر انفعالا ، ولا تشبثا نهائيا باقتناع ولا يسخر من غيره حتى إذا كان قوله يستحق أن يتهكم عليه .

والذين يقولون أن أعضاء الوزارة لم يكونوا متحمسين لمناقشته أو ابداء آرائهم فى اجتماعات مجلس الوزراء برئاسته يذكرون نصف الحقيقة ، فمن المؤكد أنه كان من الصعب على الوزراء الذين يعملون مع عبدالناصر أن يناقشوه ولكن ذلك لم يكن يرجع إلى أنه كان يضيق برأى معارض أو مختلف أو أنه كان يتعمد مصادرة رأى غيره ، أو يخنق فرص الحوار ، فالحقيقة أنه كان يلح على الآخرين ومن بينهم الوزراء لكى يبدوا بأوسع مدى ممكن وجهات نظرهم وأن يناقشوه فيما يطرح من تقديرات ، ولكن ذلك كان يبدو دائما مغامرة غير محسوبة ومحفوفة بالمخاطر .. إذ

كان كل وزير يدرك عن يقين أن جمال عبدالناصر قد دخل إلى اجتماعات المجلس ، وقد درس كل قضية وكل ما يتعلق بسلبيات العمل أو أوجه قصوره ، وبالتالى فليس ثمة فرصة لتغطية عجز أو قصور .

ولم يضق جمال عبدالناصر مرة واحدة برأى مخالف لرأيه تم عرضه عليه ، كما أنه لم يصادر وجهة نظر كانت تتلمس طريقا صحيحا إلى الصواب الذى كان همه الحقيقى فى كل حوار أو مناقشة كما قلت .

ولم يكن فى جمال عبدالناصر أى حس ثأرى ، ولم يتعامل مع غيره بهذا الحس

مهما كان الخطأ أو كانت الخطيئة ، بل أستطيع أن أقول أن جمال عبدالناصر كان شديد التسامح ، وكان تسامحه لا يسمح بأن تتكون فى داخله الضغائن ، ولم تكن أية محاكمة مما أقامها للذين خرجوا على نظامه هدفها الانتقام ، بل كان يقول دائما : « نحن نشد الأذن فحسب لأن هدفنا ألا يخطىء الناس » ، ولم يكمل أحد فترة الحكم عليه ولم يخرج أحد من سجنه دون أن يعيده إلى وظيفته أو يتلمس له وظيفة جديدة ، وفيما أعرف ، فلم يلجأ أحد ممن أضيروا إلى جمال عبدالناصر إلا أنصفه ، وأصلح من وضعه ولم يطلب منه أحد سؤالا أو حاجة ورده دون أن يجيبه .

كانت ذاكرته تختزن كل شىء ، الوقائع والأحداث والألوان والأشخاص ومئات التفاصيل الصغيرة ، ولهذا كان دقيقا جدا فى عمله ، يقرأ كل ورقة ترفع إليه ، وكل تقرير ويرد تفصيلا على كل مذكرة ، وعندما كنت أرفع إليه تقارير التنظيم الطليعى التى تغطى محافظات مصر بشكل يومى كان يرد عليها فى اليوم نفسه ، ولم يكن يرد على كل تقرير ككل وإنما كان يكتب ويؤشر ويتخذ القرارات أمام كل بند من بنود كل تقرير على حدة ، وفوق كل ما يقرؤه من مئات الصفحات التى تشكل تقارير أجهزة الدولة المختلفة إليه يوميا ، فقد كان قارئا مثقفا من طراز فريد ، فلم يصدر كتاب مهم فى العالم أو فى مصر إلا وكان عبدالناصر فى مقدمة قرائه ، محرضا غيره على قراءته ، لقد أمر جمال عبدالناصر ذات يوم فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ بأن تجمع له جميع الكتب التى تصدر فى جميع أنحاء العالم عن حرب ١٩٦٧ وكان عدد الكتب التى جمعت وقرأها عن الهزيمة وحدها ١٤٨ كتابا وحين فرغ من قراءتها أرسلها إلى الفريق أول محمد فوزى ليقرأها ثم فرض عليه أن يناقشه فيها كتابا بعد كتاب .

أريد أن أضيف أيضا ، لأولئك الذين لم يعرفوا جمال عبدالناصر عن قرب أنه كان يحكم نفسه بمجموعة متسقة ومتماسكة من قواعد الأخلاق والمثل العليا وأنه لم يخرج عنها يوما ، كان سياسيا محترفا ولكن السياسة بالنسبة له لم تكن لعبة خارج نسق القيم والأخلاق ، فلم يتلون جمال عبدالناصر ولم يظهر بوجهين ، وإنما كان واضحا صريحا مباشرا يظهر ما يبطن ، ويقول ما يؤمن ، ويدافع عما يعتقد حقا أنه الصواب ، صادقا مع نفسه ومع من حوله ، ومع الناس جميعا .

وأعتقد ـ أيضا ـ أن مصر قبل جمال عبدالناصر قد دفعت ثمنا لمنظومة القيم التى آمن بها ومارسها جمال عبدالناصر ، كما دفعت ثمن جانب آخر فى بنائه وتكوينه الشخصى ، قد لا يعرفه إلا الذين اقتربوا منه إلى حد الالتصاق به .

كان جمال عبدالناصر تأسره الأشياء التى يعاشرها قبل الأشخاص وكان فى تكوينه شىء يسمح بسطوة الألفة التى تفرضها عليه حرارة صلته بما يلمسه بحواسه أو يتلامس معه بوجدانه .

من يصدق أن جمال عبدالناصر احتفظ بساعة يده التى حوصر بها فى

الفالوجا ، وشاركت ساعده ضبط التوقيت ليلة الثورة ، وأنها ظلت فى مكانها بيده لسنوات طويلة .

ومن يصدق أن جمال عبدالناصر لم يتخلص من سيارته الأوستن الصغيرة التى كانت وسيلته للتنقل قبل الثورة ، وحتى عندما تآكلت وانتهت أصر أن توضع فى جراج رئاسة الجمهورية لتكون قريبة منه وقد ظلت فى مكانها سنوات بعد رحيله عن عالمنا .

شىء من هذا كله يصلح تفسيرا وحيدا لعلاقات جمال عبدالناصر بعدد من الأشخاص وبسطوة الألفة التى مارستها هذه العلاقات عليه ، ولا أظن أن علاقته بعبدالحكيم عامر فى تقديرى تبعد كثيرا عن معانى وأسباب هذه السطوة ..

أستعيد الآن آخر لقاء بينى وبين قائد الثورة .. كان عائدا على عجل بالقطار من مرسى مطروح بعد لقاء مع العقيد القذافى ليحاول أن يلم تداعيات الموقف ، أبان أزمة منظمة التحرير مع الأردن الشقيق فى سبتمبر ١٩٧٠ ، وصلت الاشارة من مرسى مطروح بأن الرئيس سيتوقف بالقطار فى محطة المنتزه ليكمل سفره إلى القاهرة بالسيارة وأنه يطلب ألا يكون فى استقباله أحد إلا المحافظ فقط .

ووقفت فى محطة المنتزه وانتظرته ، وحين هبط من القطار كان على وجهه سيماء حزن طاغ ، كان وجهه ينطق بكلمات قدر لى أن أسمعها منه قبل ذلك بشهور قليلة

« إنهم يريدون أن يحطمونا .. يريدون أن يدمرونا ..

لم يعد أمامنا طريق سوى أن نحارب وحتى لو نجحوا فى تحطيمنا فى هذه الحالة فسوف يحطموننا ونحن شرفاء » ...

ومن المؤكد أن جمال عبدالناصر مات وهو فى قلب ساحة الشرف مخلفا وراءه مجدا عظيما لشعبه وأمته وللإنسانية جمعاء ، رغم أن جسده وجسد وطنه كان مثخنا بالجراح .

عن معضلة العمل السياسى فى بلادنا

إذا قدر لى أن ألخص جميع الأخطاء التى وقعنا فيها فى كلمات قليلة لقلت : غياب العمل السياسى ..

وإذا قدر لى أن أختار مفتاحا لحل جميع المشكلات التى نعانى منها الآن لقلت أيضا : العمل السياسى ، وبدون عمل سياسى صحيح .. فسوف تبقى المبادىء والنظريات باردة ومعزولة عند القمة .. وسوف تبقى جميع الأمراض المزمنة فى حياتنا من البيروقراطية إلى السلفية ومن الأمية إلى السلبية والاتكالية تعيث فيها فسادا .

كان جزءا من مشكلة الثورة ، ومن مشكلة جمال عبدالناصر أن القرارات تهبط من أعلى إلى أسفل تماما كنهر النيل الذى يفيض من الجنوب إلى الشمال وعلى كل مزارع أو فلاح أن ينتظر عند قوس أرضه ، ضاقت أو وسعت موجات المياه لتغمر وتزرع وتخضر .

مع الأسف فإن العمل السياسى فى بلادنا لم يحرث الأرض ، ولم يتعمق بين خلاياها ولأنه كان دائما مجرد مسح خارجى ، فقد جمع من الأوراق الجافة والحشائش أكثر مما جمع من البراعم والبذور ، ولهذا تكررت التنظيمات السياسية فى مسيرة الثورة من هيئة التحرير إلى الاتحاد القومى إلى الاتحاد الاشتراكى ، ثم حزب مصر بعد ذلك ، وجميعها تنظيمات صدرت بتعليمات من السلطة وتبوأ مقاعدها الأشخاص أنفسهم تقريبا منذ البداية إلى النهاية ، وأيا كانت المبادىء أو المذاهب أو التوجهات ، وللحقيقة فقد تحولت التنظيمات السياسية دائما إلى جهاز إدارى تابع للسلطة ، تستغل إمكاناتها ، أى تعيش بقوة السلطة الحاكمة لا بسلطة القوة الذاتية .

ويقينا فإن شيئا من ذلك قد انعكس على موقف الجماهير من الأحزاب التالية بعد أن أصبحت هناك تعددية سياسية فى مصر .

إننى لست أقصد بالعمل السياسى النزول بالخطب والمبادىء والنظريات إلى الشارع .. فى شكل مؤتمرات أو حوارات أو مناقشات لأنه كثيرا ما نزلت الخطب والمبادىء ولم تمثل فى النهاية سوى دور « دون كيشوت » فى رواية سيرفانتس

الشهيرة .. حلقات من دراويش السياسة يقتصر دورهم ـ مثله ـ على مقاتلة طواحين الهواء .

ما أقصده بالعمل السياسى ، هو قوة الدفع التى يقوم بها المؤمنون الذين يندبون أنفسهم تطوعا ودون منافع ذاتية ليثيروا حماس الناس على أن يغيروا واقعهم ، وبجهودهم الذاتية ، ذلك أن هدف العمل السياسى الحقيقى هو تحقيق آمال الناس فى غد أفضل بإرادتهم وإصرارهم على التغيير .

إن العمل السياسى يستطيع أن يصحح كثيرا من الأخطاء ، وأن يخفف كثيرا من معاناة الناس وأن يساعدهم على احتمال أعباء الحياة اليومية .

بل إن العمل السياسى وحده هو الكفيل بأن يجعل تحمل الناس للأعباء موضع تقبل مادامت هذه الأعباء فى موضع تفهم أو فهم ، ثم إن ذلك كله مرتبط فى النهاية بمعدلات إنتاجية الناس التى لا ترتفع بالحوافز المادية وحدها .

سأسمح لنفسى بأن أستعيد جانبا من تجربتى فى العمل كمحافظ لمحافظتى أسيوط والاسكندرية ، حتى لا يظل الحديث عن ضرورة العمل السياسى مجرد حماس نظرى خالص .

لقد كان أول صوت سمعته من محافظة أسيوط هو صوت سكرتيرها العام عمر عبدالآخر (محافظ الجيزة حاليا) وهو يسأل عن موعد وصولى إلى أسيوط ، ورجوته ألا ينقل الموعد إلى أحد ، ولكنه طلب أن يخبر الأخ نائل شوكت الجمال رئيس مدينة أسيوط (المحافظ بعد ذلك) وكان سبب طلبى أننى فوجئت وقبل أن أغادر القاهرة ودون أن تكون لى صلة بأحد فى أسيوط بصفحة إعلانات فى الأهرام ترحب بتعيينى محافظا واعتبرت هذا الإعلان نوعا من النفاق أستهل به عملى كمحافظ .

لكن الصدمة كانت أكثر قسوة بالنسبة لى عندما وصلت إلى أسيوط ، فقد وجدتها بعد ١٤ عاما من الثورة أكثر سوءا من الحال الذى تركتها عليه عام ١٩٣٦ عندما كنت فى العاشرة من عمرى .

كنا فى أوج المد الثورى ولكن شيئا من أصداء ذلك كله لم يكن قد استوطن أسيوط أو وصل إليها وكأن الثورة قد اختارت أن تقيم فى القاهرة وحدها ، بل إننى لاحظت بعد أيام معدودة أن هناك سحابة ثقيلة من كآبة تخيم فى عيون الناس جميعا .

كنت فى أمانة التنظيم الطليعى قبل أن أجىء إلى أسيوط وكانت كل التقارير تصب عندى ، ومن خلال مئات الوقائع اليومية كنت أشعر بأن كثيرا من الثوار قد أصبحوا حكاما .

أثارني عندما وصلت أيضا ـ أنهم كانوا قد اختاروا للعيد القومي لأسيوط يوم زيارة جمال عبدالناصر لها ، ولم أستطع أن أزدرد هذا النفاق .

حاولت أن أناقش المسألة على أساس أن العيد القومي ينبغي أن يكون ذكرى حدث وطني ضارب بعمق في التاريخ ، ويمثل نبراسا هاديا ودليلا على البذل والكفاح ، فاقترح البعض ثورة ١٩١٩ على أساس أن الاستعمار قد أعدم مأمور بندر أسيوط وكان اسمه كامل ، واكتشفت أن أصحاب الاقتراح قد ظنوا أن المأمور الشهيد هو أبي !

لقد اخترت في النهاية يوم ١٨ أبريل ١٧٩٩ ، حيث دارت رحى معركة بني عدى حين حاول الفرنسيون أن يستولوا على القرية فلم تسلم ، أمام وابل قنابلهم ورصاصهم ، ولم يتمكن جنود الحملة الفرنسية من دخول القرية إلا بعد أن أحرقوها بالكامل وتفحمت جثث رجالها ونسائها تحت الأنقاض ، وقد أصبح هذا اليوم بالفعل هو العيد القومي لأسيوط .

كانت الحياة في أسيوط قاسية ، وقد علمت هذه القسوة الناس أن يكونوا أيضا قساة مثلها ، فهم لا يعطون ثقتهم بسهولة ولا حبهم بسهولة ، بل ولا حتى ابتساماتهم بسهولة .. كانوا يخشون السلطة لأنها ظلت بالنسبة لهم أداة قهر وردع ، وكنت أسأل نفسي : هل يمكن أن ينجح العمل السياسي في تحويل هؤلاء الناس إلى أصدقاء للسلطة ؟

كانت المهرجانات والأعياد إحدى وسائلي التي أريد أن أصل بها إلى قلوب الناس وإلى تعميم قدر من الفرحة العامة وحتى أوضح أكثر ، فقد كان عيد الثورة لا يتم الاحتفال به إلا في القاهرة والاسكندرية فقد كان المسئولون ينتقلون إلى القاهرة من جميع الأقاليم وكأن الثورة كانت حكرا على القاهرة والاسكندرية وحدهما .

وحاولت أن أجعل الناس تشعر بالعيد في أسيوط ، فجعلت موسيقى الجيش والشرطة تمر لتعزف في الشوارع ونزلت بمفردي مستترا لأرى أثر ذلك على الناس ، ولدهشتي الشديدة وجدت أن مواكب الموسيقى والمهرجانات لم تمس شيئا في الناس ، فقد كانت الموسيقى تمر بموكبها المزركش على أبواب المقاهي بينما كان الجالسون عليها يواصلون لعب الطاولة دون أن يعيروا ما يمر بجوارهم التفاتا أو يسألوا حتى عن سببه .

كان يفترض أن يكون الحكم المحلي ـ خاصة في محافظات الجنوب ـ أداة لتعويضها عن حرمان تاريخي طويل ، فخلال الاحتلال الانجليزي لم تول هذه المحافظات أي اهتمام يذكر ، فلم تقم بها أية صناعات ، ولم تعبد شبكات طرق ، ولم تبن أية أبنية لخدمات عامة على نقيض الوجه البحري الذي مثل مزرعة القطن لمصانع لانكشير الانجليزية فمدت الطرق وعبدت ، وحتى عندما جاء طلعت حرب

وحاول أن يقيم قواعد نهضة صناعية تركزت الصناعة كلها فى القاهرة والوجه البحرى ، ومع الأسف فقد كنت أرى بعد ١٤ عاما من الثورة - أن هذه المحافظات قد تركت على حالها مع تقدم طفيف فى مجال الخدمات الصحية والتعليمية .

أتصور أن تبعة ذلك تقع على عاتق الذين تولوا مسئولية التخطيط الصناعى مع الثورة ، فقد كانت خططهم مشبعة بالنظرة الاستعمارية القديمة ، فتمركزت المشروعات الصناعية فى القاهرة والاسكندرية وحرم الصعيد تماما من أية صناعات تقام على أرضه ، بل إن هذا التخطيط الصناعى القاصر ترتبت عليه خطيئة أخرى دفعنا ثمنا باهظا لها ، فيما صرف من أموال طائلة بلغت البلايين من الدولارات للصرف على البنية الأساسية فى القاهرة والاسكندرية التى لم يُدخل التخطيط الصناعى فى برامجه قدراتها على الاحتمال دون انهيار ، ولم تكن تلك هى حدود الأخطاء المترتبة على هذا التخطيط القاصر ، فقد تم النظر إلى الصناعة على أنها تنمية انتاجية فى اغفال كامل لنسق آخر وهى أنها تنمية اجتماعية أيضا ، مما جر علينا أغلب المشكلات التى نعانى منها الآن .. فتركيز الصناعة على القاهرة والاسكندرية جعلها مركز جذب للعمالة مما أدى إلى الأفواج المتصلة من الهجرة من الريف بما ترتب عليها من تضخم سكانى رهيب ، أدى إلى انهيار فى الخدمات ، وأزمات فى الاسكان وتصحر للأراضى الزراعية حول المركزين الكبيرين ، ثم ما صاحب ذلك كله من آثار رهيبة تحملتها الزراعة وتحملها منطق التنمية الاجتماعية فى شكل اختلالات مركبة أوضح صورها ذلك الاختلال بين الشمال والجنوب .

وحتى أكون منصفا فقد كان الشاهد الوحيد على ما أقول هو إقامة مصانع الألومنيوم فى نجع حمادى فهو التجربة الوحيدة لتأثير الصناعة بشقيها الإنتاجى والاجتماعى .

كانت المشكلة الثانية التى تمت معالجتها بنظرة شكلية قاصرة وبتخطيط مأزوم هى مشكلة التعليم ، وقد أثر التخطيط القاصر على نتائج العملية التعليمية وحتى الآن ..

كنا نفخر بأننا نقيم ثلاث مدارس كل يوم ، وكأن الحل يكمن فى بناء مخازن أو مستودعات يوضع فيها التلاميذ بضع ساعات كل يوم ، وتحول التعليم بذلك إلى وسيلة لتلقين المعلومات ، لا إلى وسيلة تربية لعقول وأجسام ونفوس التلاميذ ، لقد تعجلنا ولم نراع قدراتنا على إعداد المدرس الجيد والمدرسة الجيدة ، وعلى خلق ظروف لعملية تعليمية متكاملة ، وكانت النتيجة اضمحلال الرياضة واندثار الثقافة والفنون ، وجيوشا من الخريجين الذين تعطلت فيهم قدرات الإبداع والاجتهاد .

ولذلك تحمست فى بداية تجربتى فى أسيوط إلى الاجتماع بمديرى التعليم وعرضت عليهم أن نعود بالمدرسة إلى اليوم الكامل حتى تتاح الفرصة للتلاميذ

للتعلم وممارسة الأنشطة المختلفة ، وقررنا أن نبدأ بمدرسة واحدة كان سيجرى افتتاحها وقمنا بإعدادها على هذا النحو لكن المشكلات بدأت تترى .. لا ميزانيات للنشاط ، لا مطاعم ، لا ميزانية للتغذية ، لا مدرسين للأنشطة .. لا ... لا ...... لا وجود لكل ما يحتاج إليه تحول المدرسة إلى نظام اليوم الكامل وأصررنا على التنفيذ .. اقتطعنا بعض المعونات من صندوق الخدمات ، استخدمنا بعض معونات التغذية بشكل أفضل .. ولكننى مع الأسف تركت أسيوط قبل أن تستكمل هذه المدرسة .

كانت القاعدة الأساسية التى أخذت أعتمد عليها هى جامعة أسيوط فقد كانت أول جامعة تخرج عن القاهرة والاسكندرية ، ويرجع فضل انشائها إلى الدكتور سليمان حزين الذى لولا إصراره وبقاؤه فى أسيوط محاربا ومناضلا ما كتب لهذه الجامعة أن تقوم والذى أكد بسلوكه العملى أن النهضة الحقيقية تحتاج إلى أن يساندها علماء أفاضل يقودون المجتمع نحو الأفضل والأرقى .

ولست أستطيع حتى لو حاولت أن أقدم حصرا بالخدمات التى استطاعت جامعة أسيوط أن تقدمها للمجتمع من حولها بفضل جهود وتعاون أساتذة واعين ، كان فى مقدمتهم د . عبدالوهاب البرلسى ، ود . محمد ماجد فخر ، ود . سمير الباجورى ، ود . عصمت شحاته ، ود . زهير نعمان ، ود . كمال العقاد ، ود . حمدى النشار ، فلم يبخلوا على جميع مراكز المحافظة بالتنوير الفكرى والسياسى ، كما قاموا بالإشراف على المستشفيات العامة ، فقد وضع المستشفى الأميرى فى أسيوط تحت إشراف الجامعة ، وتحول مستشفى المبرة الذى كان نموذجا لتخلف الرعاية الصحية فى الصعيد إلى أفضل وأرقى مركز علاجى فى صعيد مصر كله ، كما أقيمت عيادة شاملة للعلاج بأجور رمزية .. وكم ساهم علماء كلية الهندسة فى إصلاح وتطوير أى وحدة إنتاجية عاطلة على مستوى المحافظة ..

بل أذكر أن أحد ضباط الشرطة فى المحافظة قد مرض واتصل بى السيد زكريا محيى الدين وكان وزيرا للداخلية يطلب منى أن أرسل باقة زهور باسمه إليه ، وحين كلفت سكرتيرى بذلك وقفت مشدوها فقد اكتشفت أن محافظة أسيوط كلها خالية من أية زهور !

وحول منزل المحافظ كانت هناك حديقة وملعب تنس قررت بعدها أن يتم تحويلهما إلى مشتل للزهور ، واتسعت مساحات الزهور بعد ذلك حتى أننا زرعنا بها كل الميادين والشوارع الرئيسية ، بل ولم نتوقف عن إقامة معارض موسمية للزهور .

كان حجم المشكلات فى أسيوط كبيرا جدا ، بسبب إهمال وتخلف عانى منهما ريفنا لأوقات طويلة ، كان إيمانى أنه يمكن بالجهود الذاتية أن يفعل الكثير ، ولكن شيئا لن يحدث دون تعاون الناس ودون إيمانهم بما نفعل .. ولم أكن أسعى إلى

الفئة العالية الصوت بينهم ، إنما كان ما يعنينى الأغلبية الصامتة التى إذا تجمعت وتحمست تستطيع أن تفعل المعجزات ، وبدأت أبحث عن مركز تجمع نشد إليه نشاط الشباب ولم يكن هناك سوى « ناد » وحيد ضعيف المستوى ، فقررت تسليمه إلى معهد التربية الرياضية فى ساحل سليم ، وبدأ التغيير الشامل يدخل إلى النادى وتحول بحجمه الصغير إلى مركز إشعاع حضارى للشباب والكبار بل لم يكن فى أسيوط كلها مطعم واحد يمكن أن تدعو إليه أحدا أو تقيم به حفل غداء أو عشاء ، وتحول النادى بمطعمه الفاخر إلى مركز اجتماعى ، وقام فريق من شباب الجامعة بالعزف فيه أسبوعيا ، كان الذهاب إلى النادى كالمقهى للرجال فقط وقررت أن أصطحب زوجتى وحدى أولا ، ثم سرعان ما تقاطرت العائلات والزوجات ، وبدأ الجميع يمارس الرياضة ، وبسبب هذه الحياة الاجتماعية الجديدة كان طبيعيا أن تبدأ ثلاث محلات « كوافير » العمل فى أسيوط دفعة واحدة ، فقد انتقلت العدوى إلى النوادى الأخرى وبدأت نوادى الشرطة وهيئة التدريس تحسن أحوالها .

من أين جاء التمويل ؟

أود أن أؤكد أن التمويل فى أحيان كثيرة ليس هو العقبة الأولى وأنه يمكن بقليل من التفكير والجهد توفير اعتمادات مناسبة يبدو توفيرها صعبا أو مستحيلا ..

فى كل محافظة من المحافظات هناك صندوق خدمة يجمع حصيلته من المحصولات الزراعية ، وكان استخدام أموال هذا الصندوق يتم بأمر المحافظ حتى يوفر له سيولة سريعة للإصلاحات العاجلة ، وكان تقديرى أن أغير من أسلوب الصندوق حتى أضمن عائدا متجددا ، بأن تحول أمواله إلى مشروع إنتاجى يدر ربحا ثم يكون الصرف على الأوجه المختلفة من عائد هذا الربح لا من رأس المال الأصلى للصندوق .

وكان أول عمل قمت به هو إخضاع الصندوق لرقابة ديوان المحاسبة ثم بدأت أفكر كيف يمكن أن نستثمر أمواله بشكل يعود بالفائدة على معظم أهالى أسيوط الذين هم أصحاب هذه الأموال .

فقد كنت أرى أن إنفاقى لأموالهم فى مظهرية التبرعات هو نوع من الاستغلال ، وقررت أن أربط هذا الاستثمار بمحاولة حل أهم مشكلة واجهتنا وهى مشكلة الإسكان ، كانت تصاريح الحديد والأسمنت الخاصة بالمحافظة تباع فى القاهرة أو فى الطريق بين القاهرة وأسيوط دون أن تدخل هذه المواد إلى أسيوط وكان على الذين يريدون حديدا وأسمنتا أن يحصلوا عليهما من السوق السوداء وهكذا ارتفعت أسعار البناء إلى أرقام فلكية .

كان حل المشكلة يبدأ بأن نوفر الحديد والأسمنت بأسعار الدولة المعلنة ، وكان هذا هو أول استثمار لأموال صندوق الخدمات فقد تحول الصندوق إلى المستورد

الوحيد للحديد والأسمنت من القاهرة ، وبدأت المواد تصل إلى أسيوط وبدأت تراخيص البناء وأخذنا نصرف الكميات على دفعات وبعد أن نتحقق من استخدام ما تم صرفه فى البناء بالفعل ، وانتشرت حركة البناء فى أسيوط حتى أننا بعد عام واحد واجهتنا لافتات : « للإيجار » التى كانت أثرا منقرضا من آثار الماضى ، ولم يتوقف دور الصندوق عند توفير الحديد والأسمنت بل قام بتوفير الخشب والمواسير والزجاج وغيرها وبالأسعار المحددة لها ، وبذلك قام القطاع الخاص بسد احتياجات أسيوط من الإسكان فى وقت قياسى وبأسعار معتدلة .

وبدأنا فى استخدام الأرباح التى توافرت لنا فى سد احتياجات كان لا يمكن أن نجد لها اعتمادا ماليا ، تأثيث نادي أسيوط الرياضى وتطويره ، شراء عربات نقل لمكتب مواد البناء ، إقامة مشاتل وحدائق ونافورات فى ميادين أسيوط ، تطوير نوادى المراكز ، ثم بدأنا ندخل مجالات أخرى لاستثمار أموال صندوق الخدمات فقد بدأنا نشاطا لتوفير السلع المختلفة للمحلات التجارية من الأقمشة حتى السلع المعمرة إلى الأدوات الكتابية وبالأسعار المحددة وازدادت الأرباح وانتعشت الحركة فى الأسواق ، وزادت عربات النقل فأنشأنا مكتبا خاصا للنقل ساهم فى حل أكثر من مشكلة ، كان من بينها - مثلا - أن فى أسيوط أكبر محطة لتعبئة الموالح ولكنها لا تعمل رغم أن منطقة البدارى هى من أحسن المناطق فى العالم إنتاجا للموالح ، اكتشفنا أن المشكلة مشكلة أدوات نقل وأدوات تعبئة ودخلنا للحل ، واستطعنا أن نصدر فى هذا العام حوالى ٤٠٠٠ طن ، وانعكس ذلك على المحطة نفسها فبدأنا فى تطويرها ثم نجحنا فى تشغيلها طوال العام لسلع مختلفة .

كانت هناك محطة للدواجن فى أسيوط ، ولكنها تستورد العلف من القاهرة وبسبب أسعار الشحن كان الإنتاج محدودا وعالى الثمن فقمنا بتجميع مصانع العلف الصغيرة فى أسيوط فى مصنع واحد كبير واتفقت مع د . زاهر على أن يقوم مصنعنا الصغير بتوريد العلف إلى محطة الدواجن وزاد الإنتاج على الجانبين حتى أننا أصبحنا نورد العلف إلى محطات الوادى الجديد والمنيا وهكذا .

لقد كتبت يوما إلى الرئيس جمال عبدالناصر أشكو إليه حال الطلاب فى أسيوط ، فقد كانوا يعيشون على الكفاف ، غذاؤهم الفول والطعمية والبطاطس ومسكنهم الجراجات ولذلك توسعت فى بناء المدينة الجامعية حتى استوعبت ٥٠٪ من إجمالى طلاب الجامعة ، وبقيت مشكلة التغذية ، وقد أرسل إلى الرئيس جمال عبدالناصر شيكا بمبلغ عشرة آلاف جنيه للمساعدة فى تحسين أحوال هؤلاء الطلاب ، كان أول شيك فى حياتى أراه مكتوبا باسمى بهذا الرقم وفتحت للمبلغ حسابا فى البنك وأخضعته لرقابة الجهاز المركزى وأشركت معى د . عبدالوهاب البرلسى فى البحث عن أفضل صيغة لاستغلال هذا المبلغ ، كان بعض الطلاب يحتاج إلى معونة عاجلة بالنسبة للكتب والملابس أما مشكلة الغذاء فكانت مشكلة رئيسية ، واتفقت مع د . البرلسى على أن يتولى صندوق الخدمة إدارة البوفيهات

والمطاعم الجامعية ، وأن نلغى المتعهدين للأغذية فى الجامعة ، وعلى أن تقوم الجمعيات الاستهلاكية والمزارع النموذجية لوزارة الزراعة ومعامل كليات الزراعة والمدارس الزراعية بإمداد الجامعة بالأغذية بسعر التكلفة ونجحنا بذلك فى توفير مئات الآلاف من الوجبات الغذائية لجميع طلاب الجامعة ، بسعر زهيد هو ٧ قروش للوجبة الكاملة ، ودون أن نحمل ميزانية التغذية المحدودة فى الجامعة أية تكاليف أخرى .

ولم تكن هذه الأعمال سهلة كما قد يبدو عند تدوينها أو قراءتها على الورق ، فقد واجهتنا حروب ضارية سواء من البيروقراطيين الذين حاولوا أن يهزموا كثيرا من مبادراتنا باللوائح الجامدة ، وسواء من المنتفعين الذين كالوا الاتهامات لنا والشكاوى الكيدية . ولكننا لم نتوقف ولم نتراجع ، كان مهما أن نغير المناخ أيضا ، وكان فى أسيوط قصر للثقافة لم يتم استكماله ومديرية للثقافة كان يحكمها الروتين ، ولهذا طلبت أن يحضر إلى قصر الثقافة من القاهرة فنان يمكنه أن يحرك رسالة هذا القصر ، وسعدت يوم جاء إلى أسيوط الفنان هبة عنايت فسلمته القصر وطلبت منه أن يشع ثقافة على المحافظة كلها ، وأخذ هبة عنايت الذى كان دءوبا نشطا يتحرك فى كل مكان ، ويفتح الأبواب أمام الشباب المتعطش للثقافة والفنون ، ثم وضعت تحت إشرافه مجلة المحافظة التى كنا أصدرناها بلا إعلان واحد والتى كانت تعكس نبض جماهير أسيوط فى مواجهة السلطة التنفيذية والمعوقات الإدارية والتى بلغ توزيعها ٣٠٠٠ نسخة كل أسبوع ، بينما كان ما يوزع فى أسيوط كلها من جميع المجلات الأسبوعية لا يزيد على ٣٠٠ نسخة ، وكم أثرى هبة عنايت هذه المجلة بلوحاته الرائعة دون أجر وانتعش قصر الثقافة وأصبح منارة للثقافة والفنون الجميلة جميعها من موسيقى ونحت وتصوير .

كان من أبرز المشكلات الاجتماعية فى أسيوط ذلك الفصل الكامل بين شرق النيل وغربه ، فلا اتصال بينهما إلا بالمعديات أو قناطر أسيوط حيث لا وجود لأى جسور تضم الضفتين ، كانت المشكلة الأكثر تفجرا أيضا إضافة إلى العزلة كثرة الإنجاب والثأر ، وقد رأينا أنه يمكن للثقافة أن تلعب دورا فى خلق وعى صحيح بذلك كله . وبدأنا بإنشاء مسرح للعرائس قام بتمويله صندوق الخدمات ولعب هذا

المسرح البسيط دورا كبيرا فقد تنقل بين جميع المراكز والقرى ، وكان الإقبال على عروضه لا مثيل له ، لدرجة أن منطقة البدارى حاصرت العرض بالبنادق وهددت باستخدام القوة إذا نقل العرض قبل أن تتاح للمركز كله فرصة مشاهدته .

كان العمل دءوبا وشعبيا فى كل اتجاه ، فى الزراعة بالمحافظة على توقيتاتها وبمكافحة الآفات ، وبالبحوث المتصلة بين الجامعة ومراكز بحوث وزارة الزراعة لزيادة الإنتاج وتقليل المفقود .. كان الشباب هو الدم الذى دفع الحرارة فى عروق وأطراف التجربة كلها وهو الذى تحمس لردم البرك والمستنقعات وتمهيد الطرق ، وإحياء مراكز الشباب ، وإقامة وإنشاء الجمعيات التعاونية الاستهلاكية ، وهو الذى أوصل الخدمات المتنقلة إلى أعماق القرى .

أريد أن أضيف أن نجاح العمل السياسى فى استقطاب جهد الناس وتفجير طاقاتهم وتجاوز أزمة التمويل التى يتم التعلل بها غالبا لعدم اقتحام كثير من المشروعات لم يكن يمكن أن ينجح دون أن يتم على قاعدة واسعة من العدل ودون دخول فى التفاصيل فقد طبقت العدالة أولا على بنى مر التى كانت بلدة الرئيس ، فعندما تأخر عم الرئيس (خليل) عن دفع الضرائب أمر بدفعها فورا فدفعها ، وعندما اعتدى عم الرئيس (طه) على أرض أحد الفلاحين أمر بردها فردها فورا ، ولم يفاتحنى يوما عبدالناصر فى أننى عاملت أعمامه بخشونة أو بعنف ، ولم ينقل إلى شكواهم منى مرة واحدة ، عندما انتقلت بعد ذلك محافظا للاسكندرية وجدت مشكلة الصناعة ومشكلة التعليم مكبرة عشرات المرات عما ظهرت آثارها فى أسيوط ، فقد كان ثلث حجم صناعة الجمهورية قد وضعه التخطيط القاصر فى المحافظة ، وأذكر أننى طلبت مقابلة مع عزيز صدقى وزير الصناعة فى ذلك الوقت ، وكان غرضى من الزيارة شيئين ، أن أرتب معه جدولا لزيارة شباب المحافظة إلى المشروعات الصناعية الضخمة وأن نبحث إمكان اشراك الصناعة فى تخفيف أعباء الإسكان والمواصلات والخدمات عن الإسكندرية ، وعندما وصلت فى الموعد حاول السكرتير أن يزيح الموعد ساعة ولكننى أصررت على أن تتم المقابلة فى الموعد السابق تحديده أو تلغى ، وحين دخلت على امبراطور الصناعة فى مصر وبدأت أشرح أسباب الزيارة فوجئت به يهاجم المحافظين جميعا على أساس أنهم يريدون أن يسيطروا على الصناعة ، ووجدت نفسى أقول له أننى لو كنت أعلم أن هذا هو نمط تفكيرك ما فكرت فى طلب هذه المقابلة ، وأنهيت اللقاء كما بدأ متوترا بتأكيده على أنه ليس مسئولا عن الخدمات بالمحافظات التى تأخذ حصتها من ميزانية الدولة ، فوجئت به وهو يقف خطيبا بعد بضعة أيام عند افتتاح مشروع جديد فى مصانع محرم (وكنت قد طلبت من رئيس مجلس إدارة شركة بترول العامرية أن يخطط لمشروع احتياجاته من الإسكان والخدمات وأن يقدر ميزانية لذلك) وهو يقول :

أنه يحمل تحيات الرئيس عبدالناصر إلى العمال وأنه كلفه بحل مشكلاتهم وأن طلبات المحافظ فيما يتعلق بالإسكان يجب أن تنفذ باستخدام حصيلته من الأرباح لهذا الغرض .

بعد أن انتهت الزيارة جمعت رؤساء مجالس الإدارات وأعددت مشروعا متكاملا للوزير كان يتكلف بضعة ملايين بجوار تكلفة المشروع الذى كان فى ذلك الوقت ٨٥ مليون جنيه ، وجاء رد الوزير أن يتحمل ذلك كل رئيس مجلس إدارة بصفته الشخصية ، ومن يومها أحسست أن هذه المؤتمرات هى مجرد تهريج هدفها امتصاص غضب العاملين وتهويمهم فى وعود كاذبة ، وأن الوزارات تعمل كل منها منفردة كما لو كانت عبارة عن جزر منعزلة .

كنت قد بدأت عملى فى الاسكندرية باستقبال موجة الاضرابات الطلابية التى انتهت بالاعتصام ثم طلبت تدخل الجيش كما سبق القول ، وحين انتهت الأحداث

تبينت ضرورة أن يكون هناك عمل سياسى داخل الجامعة خاصة أنه لم يكن ثمة أثر لمنظمة الشباب بعد هزيمة ١٩٦٧ فقد انصرف الشباب عنها ، وبدأت عن طريق بعض الذين كانوا يعدون دراسات عليا ويعملون فى مكتبى فى تكوين مجموعات صغيرة من الطلاب والمعيدين من مختلف الكليات ، وبدأنا فى لقاء أسبوعى لنقاش سياسى جاد كنت أتولى الرد على أسئلتهم بصدق كامل ودون مداراة أو تبرير ، وبدأت الأعداد تزداد اتساعا وبدأت اجتمع بطلبة كل كلية على حدة ثم جمعتهم فى معسكرات ترفيهية فى اجازات الأسبوع ونصف العام وأشركت أعدادا منهم فى نادى سموحة وكان ضعيف العضوية وجعلتهم يساعدون الإدارة تطوعيا فى إدارته وقد نجح هذا التجمع الطلابى نجاحا كبيرا ولم يرق ذلك بعض الأساتذة فأخذوا يهاجمون الفكرة ، ولم ترق أيضا بعض أعضاء الاتحادات الطلابية فاتهموا المنخرطين فى هذا التجمع بأنهم جواسيس المحافظ ولكننى لم ألتفت إلى ذلك بل بدأت الفكرة تستقطب مزيدا من الطلاب حتى وصل عددهم إلى مئات الطلاب ، وقدر لقيمة هذا العمل أن تظهر سريعا حين فوجئنا بظهور وباء الكوليرا فى الاسكندرية الأمر الذى هدد المصيف كله ، أن ما قام به هؤلاء الشباب فى مواجهة الوباء عمل يجل عن الوصف ، لقد تمكنوا من تطهير الاسكندرية كلها مرتين خلال أسبوعين ، وتمكنوا بالتعاون مع أعضاء منظمة الشباب من تطهير جميع خزانات المياه وساعدوا وعاونوا فى تطهير منازل المرضى وبثوا الوعى الصحى فى أحياء الاسكندرية الشعبية ، على المقاهى وفى الحارات وداخل الدكاكين والبيوت والورش ، وعاونوا فى التفتيش على المطاعم ، المهم أنهم قاموا بالكثير من الأعمال النافعة التى لم يكن يمكن للجهاز الادارى أن يقوم بها ، كل ذلك بعمل سياسى تطوعى لم ينالوا عنه أجرا وكتب الله النجاة للاسكندرية بفضل هذا العمل .

كان الرئيس عبدالناصر على علم بهذه التجربة ، وعند حضوره إلى الاسكندرية ذات يوم سألنى : لماذا ترفض أن ينضم هذا التجمع الشبابى إلى التنظيم الطليعى ، فقد كان رأى شعراوى جمعه أن يتم ضمهم إلى التنظيم وكنت أخالف هذا الرأى ، ووافقنى الرئيس حين قلت إن ضمهم قد يشكل حساسية لأساتذتهم داخل الجامعة ، وأنهم لايزالون فى مرحلة اختبار .

أما بالنسبة للتعليم الثانوى فقد أخذت فى تشكيل مجموعات من الطلاب للعمل المعاون للشرطة وأطلقت عليهم أسم « اصدقاء الشرطة » وكان الهدف هو توثيق علاقة مبكرة بينهم وبين رجال الشرطة لإزالة تلك الحساسية الموروثة منذ القدم التى ترسم للشرطة فى عيون الناس دور أدوات السلطة لا سواعد الدولة والمجتمع ، ولم يقتصر عمل هذه المجموعات على القيام بتنظيم أعمال المرور فى الإجازات بل ومرافقة بعض دوريات الشرطة فى أعمالها المختلفة وتنظيم دخول وخروج الأطفال من المدارس ، وقد أضفى عمل هذه المجموعات على الاسكندرية خلال أشهر الصيف مشهد انضباط وجاذبية .

كان تقديرى فى الاسكندرية ـ أيضا ـ أن

العمل الثقافى والفنى النشط يستطيع أن يساهم فى دفع العمل فى شتى مجالات الإنتاج والحياة خطوات واسعة إلى الأمام ، ومع الأسف فقد كان النشاط الثقافى والفنى راكدا تماما ، كانت الاسكندرية تعطى تشجيعا للفرق القادمة إليها فى فصل الصيف عبارة عن بعض المعونات الرمزية وساعد ذلك على أن تكون الاسكندرية فى فصل الصيف منتدى لبعض الفرق الفنية بينما خلا فصل الشتاء تماما من أى نشاط ولذلك أصدرت قرارا ألا تعطى الفرق الفنية أية معونات إلا إذا حضرت فى فصل الشتاء .

بدأت بتشكيل فرقة مسرحية أشرف عليها المخرج حسين جمعة وقد قدمت مسرحية « شهرزاد » لسيد درويش وشاركت فيها السيدة منار أبوهيف وكان عرضا مسرحيا ناجحا .

وعندما التفت إلى قصور الثقافة فى الاسكندرية وجدتها على حالة من الوحدة والإهمال وكأنها تنعى من بناها ، يكفى أننى وجدت قصر ثقافة الحرية وكأنه بيت العنكبوت ، أتربة وتآكل من الخارج وفراغ فى الداخل ، ولما لم تكن تكفى ميزانية الثقافة لإصلاح القصر فقد تعاون معنا قطاع المقاولات ، ولذلك أذكر بالفضل المرحوم حسن علام .. هذا الرجل الفاضل العظيم الذى كان مثلا يحتذى به ، كان يفاخر بأنه بدأ عصاميا حتى أنجز شركة حسن علام والذى أبقته الثورة رئيسا لمجلس إدارتها بعد تأميمها اعترافا بفضله وكفاءته وأمانته ، وقد كان نعم المعين لى فى إصلاح قصر ثقافة الحرية وقصر ثقافة الأنفوشى ، وكان يشرف على الأول السيد محمد غنيم (وكيل وزارة الثقافة للعلاقات الخارجية حاليا) ويشرف على الثانى السيد فاروق حسنى (وزير الثقافة حاليا) ومهما قلت عما أبدع الأثنان فى عملهما فلن أوفيهما حقهما .

نجح فاروق حسنى فى أن يحول قصر ثقافة الأنفوشى الذى كان عشا دائما للغبار والفراغ ، إلى مركز إشاع ثقافى كبير ، ازدحم بآلاف الأعضاء من الشباب الذين يتزودون كل يوم بزاد ثقافى وفنى رفيع ، حدث أن فاروق حسنى نجح فى إقناع أوركسترا القاهرة السيمفونى بقيادة المايسترو السيسى بأن يعزف فى حى الأنفوشى أكثر أحياء الاسكندرية شعبية وكان انعكاس الموسيقى السيمفونية الرائعة على الوجدان الشعبى مفاجأة للكثيرين ، ومع تناوب الفريق السيمفونى وفريق الموسيقى العريق فى العزف اتسع نشاط القصر لكل أنواع الفنون الجميلة .

وكان محمد غنيم دائب النشاط فى قصر ثقافة الحرية حيث لم تتوقف الندوات الثقافية والشعرية ومعارض الكتب والاحتفالات بمشاهير الاسكندرية وعلى رأسهم فنان الشعب سيد درويش .

وكم التقيت بعد ذلك مع الأخ فاروق حسنى فى أعمال أخرى كانت كلها قمة فى النجاح بفضل درايته ونشاطه ودأبه .

ولم نترك الرياضة خاصة الرياضة البحرية ، وتعاون معى فى ذلك المرحوم الفريق فؤاد ذكرى وكان رئيسا لنادى اليخت ، والأخ جمال مختار (مدير الأكاديمية البحرية حاليا) حيث بدأت المسابقات الدولية لليخوت ، كذلك نادى التجديف فى المطار البحرى والطيران الشراعى فى مطار النزهة .

لقد كنت أتحدث عن أهمية العمل السياسى منذ البداية وقد يبدو أن جانبا كبيرا مما تحدثت عنه بعيد عن المفهوم التقليدى للعمل السياسى ، لكننى أود أن أؤكد أن كل ما سبق ذكره هو أعمال سياسية من الدرجة الأولى ، ولست أنسى يوم عاد الرئيس عبدالناصر من رحلته السرية إلى موسكو وقابلته فى الاسكندرية وطلبت إليه أن تأخذ الاسكندرية الأولوية فى الدفاع عنها بالصواريخ لأن بها الميناء الوحيد وبها خدمات البترول التى أصبحت المصدر الوحيد لإمداد مصر كلها ، بعد ضرب الزيتية فى السويس ، وقد قال الرئيس إنه يوافق على ذلك إذا تمكنت الاسكندرية من تنفيذ التجهيزات الهندسية اللازمة لقواعد الصواريخ بسواعدها وفى ظرف ستة أسابيع فقط .

ولا أحد يستطيع أن يقدر مدى الجهد الرائع الذى بذل فى صمت لتحقيق هذا الإنجاز خلال هذه المدة المحدودة ، ولكننى أريد أن أتوقف تحية وتقديرا لرجل مصرى ينبغى ألا ينسى عطاؤه لوطنه ، وهو المرحوم حسن علام الذى كان دوما فى مقدمة صفوف الذين يعطون فى صمت ودون انتظار عائد أو شكر .

وهكذا كانت الاسكندرية هى أول مدينة مصرية تحتضن صواريخ الدفاع الجوى فوق صدرها فى أصعب مرحلة من مراحل المواجهة العسكرية الشرسة مع إسرائيل .

●

ماذا يبقى ليضاف ؟

لم يكن قصدى فى البداية أو النهاية أن أسرد قصصا أو حكايات تعين على تسلية أو تدفع مللا .. ولكننى كنت أريد أن أضع أمام الأجيال الجديدة محصلة تجربة لعلها تعين وتنفع ، فتاريخنا يجب أن يكون متصلا وبلا فجوات ، وتجاربنا ينبغى أن تكون بنجاحها وفشلها قادرة على أن توصل ما بعدها إلى ربوة أعلى من النجاح دوما ، وإلا كان العمل الوطنى فى النهاية دوائر منفصلة يبدأ كل منها من نقطة مجهولة فى فراغ وينتهى كل منها إلى غيبوبة متصلة فى ركن متحف .

يؤسفنى أن أقول إننى لم أجد فى أى موقع تسلّمت مسئوليته على امتداد هذه المرحلة الطويلة ورقة واحدة خلفها من كان قبلى تشير إلى انجاز لم يكتمل أو إلى قصور لم يمكن تجاوزه أو إلى خطة عمل بقى فيها ما ينبغى أن يستكمل ، وكأن فينا شيئا من بقايا هؤلاء الفراعنة القدامى ، الذين كان يستهل كل منهم عمله بتحطيم

وطمس ما خلفه سلفه من نقوش على المعابد أو يبدأ مستهلا بأن ينسب لنفسه ما تحكيه النقوش الجدارية من إنجازات حدثت قبله .

أستشعر بعمق وبعد كل هذه السنوات أن المشكلة الأساسية لم تكن فى أى يوم من الأيام معلقة بالجماهير المصرية العريضة المنتجة ، وإنما كانت دوما مشكلة الصفوة ، فأمراضنا كانت دائما أمراض صفوتنا لا علل مجتمعنا .. تلك الصفوة التى غالبت عزلتها ولكنها لم تغلبها ، ونجحت فى نحت مئات الشعارات ، ولكنها لم تنتم إليها كليا ، ولم تساعد الجموع الغفيرة على أن تتوحد معها ..

أليست مفارقة مدهشة ، أن تتمكن هذه الصفوة بنضال دءوب متصل من أن تعيد صياغة الحياة على أرض مصر وتنجز أهم مهام التحرر الوطنى ثم تفشل فشلا ذريعا فى أن تزحزح نسبة الأمية عن ثلاثة أرباع المجتمع .. إنها مفارقة بالتأكيد ، ولكن تراها تبدو بعد ذلك مجرد مصادفة عشوائية ؟ ! ! !

●●

صــــــــور
و
وثــــائــــق

أحمد كامل فى مناورة فى الكلية الحربية عام ١٩٤٦

مع مصطفى فهمى عبدالمحسن فى موقع م/ط ٣,٧ فى العريش عام ١٩٤٨

فى فلسطين مع جهاز
رادار عام ١٩٤٨

أحمد كامل فى رفح عام
١٩٤٨

أحمد كامل مع عدد من الضباط الأحرار ليلة الثورة

مع الضباط الأحرار ليلة الثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

مع عبدالحكيم عامر فى مناورة الجيش السورى فى سوريا عام ١٩٥٩

فى سوريا مع عدد من الضباط المصريين والسوريين أثناء الوحدة

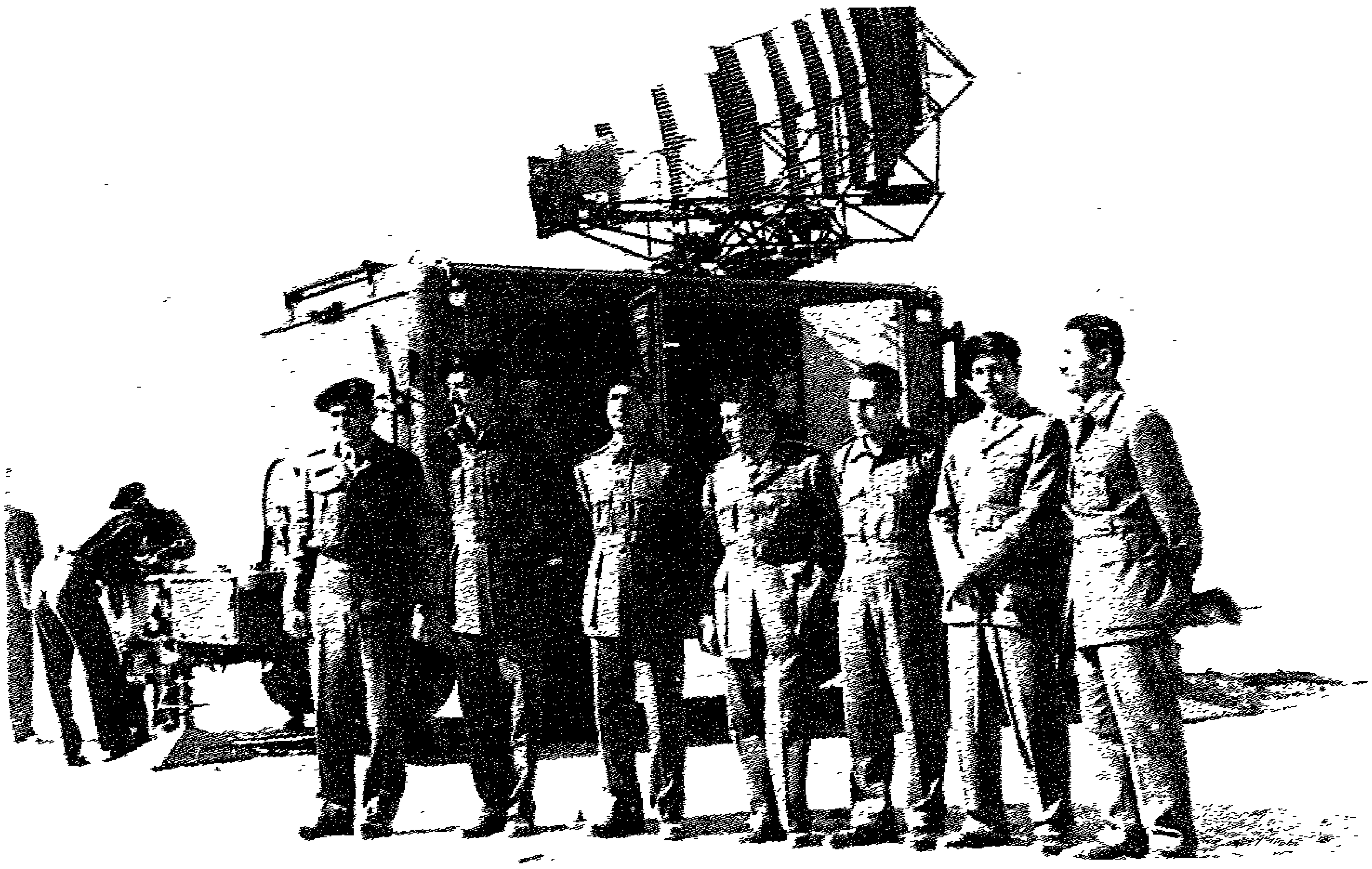

مع ضباط جناح الرادار عام ١٩٥٨

مع ضباط.. موقع مضاد للطائرات أثناء حرب ١٩٥٦ فى الاسكندرية

أحمد كامل ملحقا عسكريا فى أسبانيا . وفى المنتصف الجنرال فرانكو

مع موتيبوسين جراند نائب رئيس الدولة فى أسبانيا عام ١٩٦٣

أحمد كامل وزوجته ملحقا عسكريا فى أسبانيا عام ١٩٦١

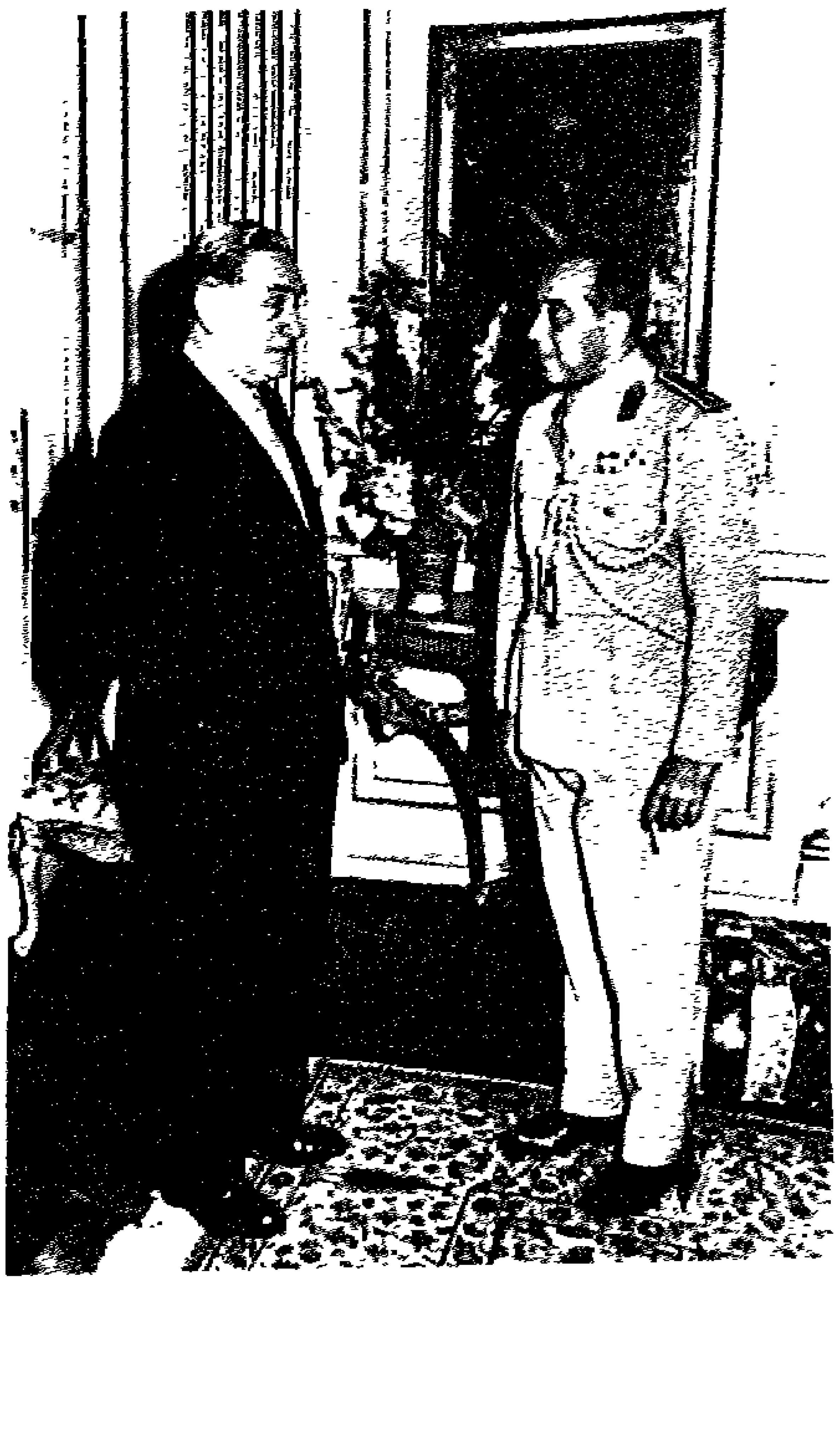

فى زيارة للدير المحرق فى أسيوط عام ١٩٦٦

أحمد كامل يناقش أحد الفلاحين فى أسيوط

أحمد كامل والى يساره د . النبوى المهندس

أحمد كامل مع ضياء الدين داود

عبدالمحسن أبو النور والى جواره ممدوح سالم وأحمد كامل (أقصى اليسار)

مع محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية فى الاسكندرية عام ١٩٦٩

مع الفريق أول محمد فوزى فى الاسكندرية عام ١٩٧٠

مع مجموعة من أهالى الاسكندرية

مع شعراوى جمعة وزير الداخلية الأسبق

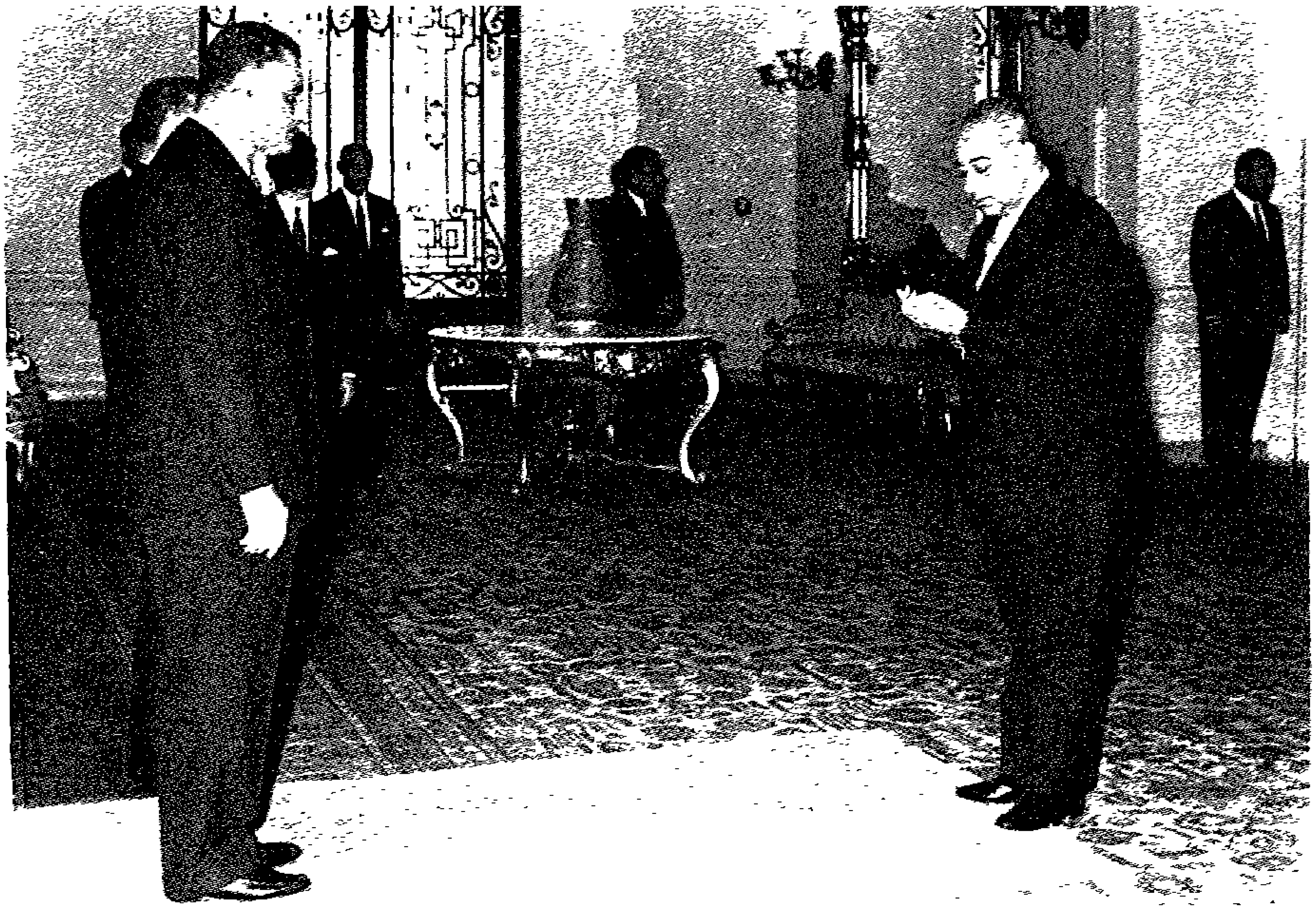

أحمد كامل يؤدى اليمين الدستورية أمام الرئيس جمال عبدالناصر

أحمد كامل يستقبل الملك السنوسى عندما كانا محافظا للاسكندرية

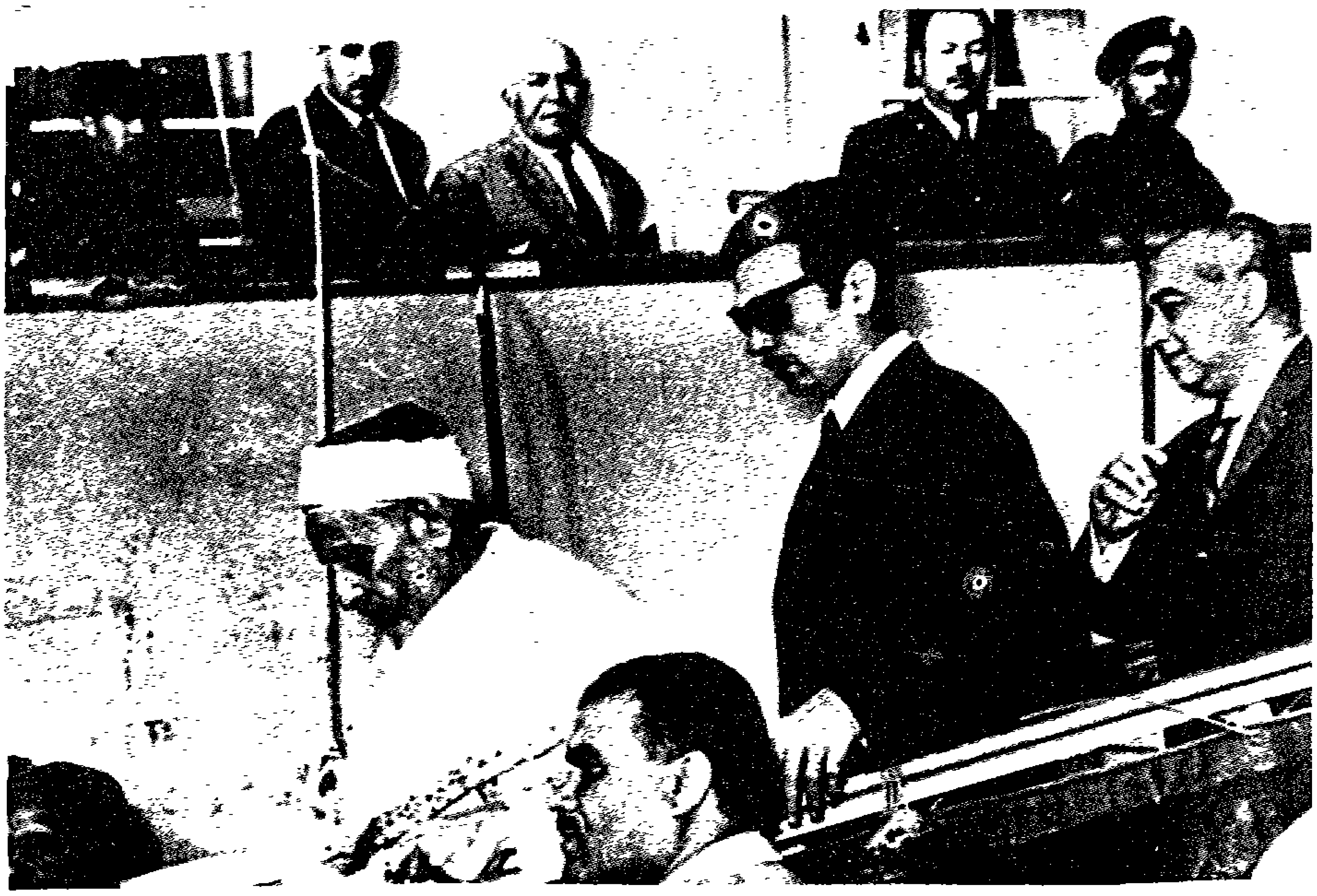

جنازة الزعيم الخالد جمال عبدالناصر فى الاسكندرية عام ١٩٧٠

أحمد كامل فى مستشفى السجن مع زوجته

الوثائق

السيد الرئيس

تحية واحتراما وولاء ·

فى يوم ١٩٦٨/٢/٢٧ حضرت الاجتماع الذى حضره السيد رئيس مجلس الأمة مع بعض طلاب كلية هندسة القاهرة ، وسمعت من تصريحات سيادته أن كل ما كان كان خطأ ، ويوم ١٩٦٨/٢/٢٨ حضرت جلسة مجلس الأمة يناقش الأحداث الأخيرة التى مرت ببلادنا ، وأنا أحب أن أضع تحت أنظار سيادتكم الحقائق التالية :

١ ـ إن السيد وزير الداخلية قد أدلى فى بيانه أمام مجلس الأمة يوم ١٩٦٨/٢/٢٧ وفى تعقيب له يوم ١٩٦٨/٢/٢٨ ، أن هناك اتفاقا تم بين الاتحاد الاشتراكى العربى ومنظمة الشباب الاشتراكى ، ووزارة الداخلية بمنع المظاهرات منعا باتا .

وبالنسبة لى فإن الأحداث تعاقبت كالآتى :

(أ) إن تجميع الرأى العام فى نفس يوم ١٩٦٨/٢/٢٠ من جميع أنحاء الجمهورية كان يوضح اعتراضا شديدا على الأحكام التى صدرت فى قضية الطيران .

(ب) وقد سارعت بنقل هذا الرأى العام إلى السيد سامى شرف حتى يعرض على سيادتكم .

(ج) كانت توقعاتى نتيجة للرأى العام أن الناس سوف يعترضون عليها بطريقة ما . ولم أهمل التظاهر من اعتبارى . وكان علىّ أن أتخذ قرارا بالنسبة لواجب المنظمة فى اليوم التالى . فنتيجة للرأى العام فى المنظمة وخارجها والذى سبق لى تجميعه وعرضه فى مذكرة على أمانة طليعة الاشتراكيين كنت أتوقع مشاركة الشباب للجماهير . وبكل هذه الظروف أصدرت التعليمات الآتية :

١ ـ أن يحاول أعضاء المنظمة فى وحدات الإنتاج ووحدات الجامعات أن يصرفوا أى تجمعات .

٢ ـ إذا أرادت الوحدات أن تعبر عن رأيها فيجب أن يبذل أعضاء المنظمة جهدهم لتكون طريقة التعبير هى المؤتمر الذى يرفع توصياته .

٣ ـ إذا أصرت الوحدات على الخروج فى مظاهرات ، ولم تتمكن وحدة المنظمة من إثنائها عن هذا يكون واجب المنظمة هو تنظيم المظاهرة دون أن يندس فيها أحد .

وقد أبلغت هذه النقاط الثلاث إلى السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى الساعة ٢٣٥٠ تقريبا .

وقد أصدرت هذه التعليمات إلى وحدات المنظمة فى الجمهورية ولم يصل إلى علمى أى كلام يخالف هذا .

٢ ـ أن حادث حلوان كان له أثر كبير فى إثارة طلبة الجامعة ، علاوة على رفض عقد مؤتمر للطلاب فى قاعة الاحتفالات الكبرى احتفالا بيوم الطالب .

٣ ـ فى جلسة مجلس الأمة يوم ١٩٦٨/٢/٢٨ هاجم السيد علوى حافظ عضو مجلس الأمة الاتحاد الاشتراكى العربى ومنظمة الشباب هجوما يصل إلى حد السباب بل والطعن فى الذمة والشرف والأمانة والوطنية ، وأنا يهمنى أن أركز على النقاط التالية :

(أ) أن يصدر هذا الكلام من منبر مجلس الأمة الذى يرأسه السيد نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ، وفى حضور السيد وزير الداخلية وعضو الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى وأمين تنظيم طليعة الاشتراكيين ولا يصدر تعقيب واحد . علاوة على وجود أكثر من عضو مجلس أمة أعضاء فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى .

(ب) إن هذا المجلس نفسه هو الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى وكثير من أعضائه أمناء للمكاتب التنفيذية أو أمناء مساعدين أو أعضاء غير متفرغين .

(جـ) كان الاتجاه الغالب على جميع المناقشات والتى وصلت ذروتها بحديث السيد علوى حافظ والذى واصل حديثه لوقت طويل قارب من الساعة هو اتجاه رجعى يحظى بتصفيق حاد من الأعضاء ، بل وانتهى بقبلات وزعت على السيد علوى حافظ وهو يصم الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب وقياداتها بالشيوعية وعدم الولاء وعدم الوطنية بل يشير بالاتهام إلى قيادة منظمة الشباب ، إنها دبرت هذه المظاهرات .

مذكرة إلى سامى شرف حول موقف على صبرى من المنظمة

السيد سامى شرف

تحياتى

استدعانى اليوم صباحا السيد على صبرى حتى يوضح لى الخطوط الرئيسية لسير الشباب ، وقد أوضح لى فكرته بالنسبة لسير الشباب فى المنظمة وباختصار أن فى رأيه أن المنظمة هى تجمع جماهيرى للشباب الغرض منه إعداد جيل جديد قادر على تولى القيادة وأن فى نظره هو خلق التنظيم القوى الذى يحرك الاتحاد الاشتراكى . وقد جرت مناقشة حول الكم والكيف وهو مقتنع تماما أن الرأى الصحيح فى الكم ولو أنه يتفق معى فى ضرورة إعداد وتدريب الكوادر .

وانطباعى من هذه الجلسة التى استمرت حوالى ساعتين أنه تتأثر أشد التأثر بكلام خارجى . ومنطبع فى ذهنه صورة معينة لبعض الأحداث ولا أعلم أن كان قد اقتنع مما ذكرته له من حقائق أم لا . وفيما يلى سوف أذكر هذه النقاط التى اشعرتنى بهذا الانطباع :

١ ـ أثار عدم مناقشة اللجنة المركزية للخطة . وتطرق من هذا بعد إثارتى لموضوع النشر أننى أشركت غير مسئولين فى مناقشة الخطة ، وقد أوضحت أن إطارات الخطة قد نوقشت فى مؤتمر حضره ٢٤ من اللجنة المركزية البالغ عددها (٤٧) وهذا المؤتمر ضم قيادات المنظمة ، أمناء المحافظات والمراكز وسكرتيرى المحافظات والمراكز

والبالغ عددهم حوالى ٣٢٠ » ، وأن النشر جاء بناء على توصية المؤتمر بالنشر وأنه فى رأى اللجنة المركزية لا تمثل المنظمة وأن تشكيلها الآن لا يعتبر تمثيلا صحيحا .

٢ ـ أثار للمرة الثانية معى أن الناس تقول أن المنظمة قائمة ولو أننى سبق أن أوضحت لسيادته فى مقابلة قبل ذلك أن العمل شاق خاصة فى الظروف التى نمر بها ويمكننا الآن القول أن لدينا منظمة بعد أن كان لا وجود لها بعد النكسة وهذا أعطانى الانطباع بأن السيد على صبرى يحكم بأفكار ثابتة على الرغم من سبق توضيحى للحقائق قبل ذلك ، وهذا هو الذى حدا بى أن أتساءل هل أقتنع سيادته بما أوضحت أم لا . وقد ذكرت أن من يتجنى على المنظمة بالقول أنها نائمة يظلم جهود الشباب الشاقة فى ظروف قاسية للغاية وأن الشباب بذلوا جهودا فوق الطاقة لإعادة الحياة إلى المنظمة بعد أن انفض الناس عنها .

٣ ـ ذكرت لسيادته أيضا أن الخطة جاءت تعبر عن آراء القاعدة فى المنظمة فى نقاش حر مفتوح وأن ماكتب من سلبيات سبق ذكره وأكثر منه فى تقرير المنظمة فى ١٩٦٧/٧/٢١ وأن مهاجمة المنظمة من جميع الجهات كانت لأساليب رفضتها الناس .

٤ ـ أثار سيادته أن أسلوب التعامل مع الشباب يجب أن يتسم بإبراز شخصياتهم وأن يعطوا الفرصة كى يعبروا عن أنفسهم . وقد أوضحت له أن ممارسة الديمقراطية فى منظمة الشباب اليوم بالنسبة للتعبير عن الرأى لم تمارس فى يوم قبل ذلك ويمكن تصور صعوبة هذه المرحلة على عدم وضوح الرؤيا فى كثير من الأحيان . بل أن لجان الشباب اليوم تمارس عملها بكل الحرية مع ممارسة سلطاتها تبعا لمسئولياتها .

٥ ـ أثرت معه موضوع مؤتمر المنظمة الذى وافق على عقده السيد الرئيس فى مارس القادم . وسيادته يميل إلى جعله بالانتخاب جميعه ولو أن ذلك يحتاج إلى وقت للتجهيز للانتخاب ثم إجراء الانتخابات ، وسيادته غير مقتنع أنه يحتاج إلى وقت ، وفى رأيى أن إجراء الانتخابات على جميع مستويات المنظمة فى هذه المرحلة بالذات ودون أى تدخل فى الترشيحات من جانبنا سوف يقيد حركة المنظمة لإرساء القواعد السليمة التى يجب أن تسير عليها . وكان فى رأيى عقد المؤتمر بالتعيين حتى نجتاز مرحلة إزالة آثار العدوان وحتى يتم التمهيد للانتخابات وشرح مفهومها وممارسة عملية الانتخاب بالدقة على مستوى الوحدات وما يليها من مستويات تدريجيا ، وكنت أعطى ذلك فى تقديرى لمدة عام أو مايزيد قليلا خاصة أننا نطبق خطة جديدة لمدة عام أيضا ، وعدم وصول الأفراد إلى مستوى سياسى معقول يمكنهم من إجراء انتخابات صحيحة وإلا فإنها سوف تكون مظهرية ونعانى من ذلك بتقدم الوقت . وسوف أتقدم إلى سيادته بداية .

٦ ـ طلب سيادته مناقشة تفصيلية لخطة التثقيف وخطة التجنيد وسوف تعرض .

٧ ـ وافق سيادته على عقد دورة اللجنة المركزية فى أقرب وقت .

٨ ـ وافق سيادته على حضور مؤتمر منظمة الشباب بالقاهرة الذى سوف يعقد فى ١٩٦٨/٢/٥ .

التعليـــق :

إننى أرى أن السيد على صبرى كانت لديه فكرة عن المنظمة غير ما كانت الحقيقة وأن هذا

الانطباع موجود لديه كفكرة ثابتة لا تتغير . كذلك أن لدى سيادته الكثير من الأفكار الغير قابلة للتغيير ، مثال ذلك الكم والكيف ولو أننى أوضحت لسيادته أن هذه المرحلة تتطلب التدقيق بعض الشىء حتى تتمكن من خلق الجهاز القيادى للمنظمة كذلك أحسست أنه قد صور لسيادته أن المنظمة قد ذابت داخل الاتحاد الاشتراكى ذوبانا يفقدها شخصيتها بينما فى الواقع أن المنظمة لازالت محتفظة بشخصيتها كاملة وكثير غير ذلك من النقاط التى اثيرت ، ولو اننى إعتبر أن هذه هى أهم النقاط . كما أحس أنه قد رسمت للمنظمة صورة سيئة من جميع نواحيها أو على الأقل صورة سلبية كاملة التسيب وهو ما يخالف كل حقيقة ، أردت أن أعرض عليك صورة لانطباع خرجت به بعد أول مقابلة للعمل واستمرت طوال ساعتين .

ولك أطيب التحيات .

الاتحاد الاشتراكى العربى
أمانة الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

مذكرة
من مكتب أمانة الشباب

رأى مكتب أمانة الشباب من واجبه أن يعرض تحليل لواقع المجتمع فى هذه المرحلة الخطيرة من نضاله إيمانا من أعضاء المكتب أن الظروف والأحداث التى يمر بها هذا المجتمع تتطلب من جميع القيادات المخلصة المساهمة بجهودهم وآرائهم فى محاولة صادقة وأمينة لنقل صورة لما يدور بين الجماهير إسهاما فى تدعيم الجبهة الداخلية وحمايتها ، وأعد مكتب الأمانة بالفعل مذكرة فى ١٢/٢/١٩٦٨ رفعت فى ٢٢/٢/١٩٦٨ حدد فيها صورة الجو السائد وخلص إلى مجموعة من الاقتراحات يمكن بتنفيذها انتشال الجماهير من نوبات اليأس والتردد والشك التى تنتابها ، مع كل حدث باعتبار أن هذه الاقتراحات تقدم حلا للمشكلات الرئيسية والتى تتفرع عنها أى مشكلة طارئة .

وقد جاءت أحداث الأسبوع الماضى وتطوراتها السريعة المتلاحقة لتؤكد صحة ما وصل إليه مكتب الأمانة من آراء حيث تفجر الموقف عقب صدور أحكام الطيران واتخذ غضب الجماهير صورة جديدة لأول مرة منذ أربعة عشر عاما وذلك بقيام المظاهرات ، وكانت هذه المظاهرات تزداد عنفا بعد كل تدخل من جانب السلطة كما حدث بعد حلوان وأمام مبنى صحيفة الأهرام متمثلا فى الهتافات التى ترددت بعد ذلك ، يضاف إلى الشعور بالدهشة الذى ساد الجميع والذى عبروا عنه ببساطة شديدة « كيف نضرب فى عهد الثورة وفى عهد جمال عبدالناصر .... ؟ » .

على أن أهم الحقائق المتعلقة بهذه المظاهرات يتجلى فى أنها تجاوزت بوعى موضوع أحكام الطيران إلى معالجة كثير من الأمور الأساسية وتركزت مطالب الجماهير حول ضرورة التغيير الجذرى الشامل سواء فى التنظيم السياسى أو أجهزة الحكم وضمان تأكيد الديمقراطية السليمة والمحاسبة الشاملة والقضاء على جميع الانحرافات أينما وجدت .

لقد كان تصدى رجال الشرطة لمظاهرات عمال حلوان تصعيدا للموقف أدى عندما وصلت أخباره إلى طلبة الجامعة أثناء احتفالهم بيوم الطالب إلى استغلال بعض الأفراد ذوى الانتماءات المختلفة له فى استثارة الطلاب بترديد هذه الأخبار ولقيت هذه الإثارة الاستجابة المتوقعة بتوافقها مع الإحساس الجماهيرى العام ضد أحكام الطيران ، فقامت المظاهرات وبرغم ماحدث من انحرافات فردية فلقد ظلت هذه المظاهرات لفترة طويلة تعبر عن حلم الجماهير الدائم المتمثل فى أن يقوم قائدها الرئيس جمال عبدالناصر بإحداث التغيير المطلوب ، ومما يلفت النظر أن

التجمعات الجماهيرية فى عديد من المواقع عبرت بأكثر من صورة عن عدم ثقتها إلا فى شخص السيد / الرئيس ، ومن هنا كان إصرار الجميع على اختلاف المواقع أن يرفعوا رأيهم مباشرة إلى سيادته بلا واسطة من أى إنسان .. وإذا كانت بعض المظاهرات قد هاجمت أجهزة الحكم ، فلقد كان ذلك نتيجة القسوة التى استعملتها الشرطة فى فض هذه المظاهرات كما حدث فى شارع رمسيس مثلا ، ومع ذلك فلقد كان التعبير البسيط فى تلك اللحظات « نحن نتوجه بمطالبنا إلى عبدالناصر الثورة » .

وأخيرا فلقد جاء بيان السيد / وزير الداخلية بعدم السماح بقيام المظاهرات تعبيرا عن قيامه بمسئوليته فى حماية المجتمع من أى تخريب قد تحدثه عناصر عميلة تستغل حركة الجماهير بما يضر بصالح الوطن والنضال لشعبنا العربى ، وليس من شك فى أن قرار منع المظاهرات يعتبر استجابة علمية لواقع المجتمع خاصة وأن ضعف التنظيم السياسى قد يؤدى إلى استفادة بعض القوى الرجعية من هذه المظاهرات وسيطرتها عليها بتبنى مطالب الجماهير .

ولكن هل ينتهى الأمر بهذا القرار ؟ لقد أثارت الجماهير تساؤلات لا يمكن تجاهلها .. وقدمت الجماهير مطالب لا يمكن التغاضى عنها وإلا فإنه مع كل حدث عارض سوف يتكرر نفس رد الفعل الذى أحدثته أحكام الطيران ، ومع كل مظاهرة تتجدد وتقمع سوف يزداد النظام بعدا عن الجماهير .. وفى النهاية ستنقلب صورة الحكم إلى قمع وضغط..

إن أى تنظيم سياسى لا يتبنى مطالب الجماهير فى هذه المرحلة إنما يحكم على نفسه بالانعزال ، وعندما يحدث ذلك فإن النظام كله يفقد سنده الأساسى ونعنى به الشعب .

إن مكتب أمانة الشباب يرى من واجبه فى هذه اللحظات التاريخية أن يعرض على سيادتكم صورة أمينة وصادقة لما يمكن أن ينتهى إليه الموقف إن لم يحدث التغيير الشامل الذى تطالب به الجماهير والذى حاول المكتب أن يعرض تصوره له فى مذكرته التفصيلية التى سبق تقديمها .

إن الأحداث تتحرك بسرعة شديدة وهى فى تحركها تؤكد رأينا ويكفى أن نشير إلى أنه بالرغم من بيان منع المظاهرات فإن طلبة الجامعة قد واصلوا مظاهراتهم اليوم ٢٥/٢/١٩٦٨ ومع كل ساعة تزداد عنفا وضراوة كرد فعل للعنف فى مواجهتها .

وأخيرا فإننا عندما نشير إلى مطالب الجماهير وضرورة تلبيتها نؤكد حقيقة هامة وهى أن الجماهير لم تخترع هذه المطالب وإنما استقرأتها من خطابى للسيد / الرئيس فى ٢٣ يوليو ، ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٧ وهى فى هذا تؤكد أنها مع القائد ضد كل صور الإنحراف والفساد .. إنها مع القائد ضد الارتجال والإهمال .. إنها مع القائد فى ضرورة تعبئة الجبهة الداخلية ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا .. إنها مع القائد فى ضرورة القضاء على معوقات التقدم والنضال ... إنها مع القائد فى معركته الشريفة ضد أعداء الشعب وأعداء الوطن .

وإيمانا منا بأن الثقة تتركز الآن فى السيد الرئيس فقط فإننا نرجو ونلح فى الرجاء أن يتحدث سيادته إلى جماهير الشعب مؤكدا استمرار خط النضال ، ومطمئنا الجماهير ، ونحن على ثقة من أن حبها واحترامها لسيادته كفيل بتحقيق الأثر المطلوب .

عاش نضال الشعب العربى .....

عاش معلمنا وقائدنا الرئيس جمال عبدالناصر ......

والله ولى التوفيق

(أحمد كامل)

١٩٦٨/٢/٢٥ ,

عضو الأمانة العامة وأمين الشباب

اجتماع السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكي بالسادة أمناء لجان المحافظات والمناطق والأقسام والمراكز وأعضاء السكرتارية المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكي

السيد أمين الشباب :

يشرفنا أن السيد الأمين العام قد خصص بعض وقته للإجابة على تساؤلات شباب المنظمة . ويجب أن يكون فى اعتبارنا أن الوقت ساعتان فقط وسيتفضل السيد الأمين العام بالإجابة تفصيليا على جميع التساؤلات .

السيد الأمين العام :

قبل الإجابة على هذه التساؤلات - ومن خلال قراءاتى لتساؤلاتكم ومن الرأى العام فمن الواضح أن هناك صورة معينة تعبر عن بعض القلق الموجود داخل المنظمة وهذا وضع طبيعى أن هذا القلق لا ينعكس على المنظمة فقط بل على كثير من القيادات فى مواقع أخرى .. ويرجع ذلك لعدم تفهم ظروف المرحلة التى نمر بها الآن .

وفى الواقع فإنه كان من الصعب جدا خلال المرحلة الماضية أن نتكلم بالتفصيل عن المستقبل وذلك لعدة أسباب :

١ - أن هناك برنامجا بالخطوات المختلفة التى تتخذ فى المستقبل وكل خطوة تعبر عن مرحلة معينة ننتقل بعدها إلى مرحلة أخرى والتساؤلات فى كثير من الأحيان كانت تنطلق من مرحلة إلى أخرى مباشرة ودون انتظار وهذا فى حد ذاته يضعف فى الواقع من القدرة على تركيز الجهود فى تعبئة الجماهير فى كل مرحلة .

٢ - أن الدخول فى تفاصيل مرحلة بعيدة قد يؤدى إلى جدل ونقاش حول مرحلة لم تأت بعد مثال ذلك فإنه يتعين علينا واجب أساسى فى المرحلة الحالية حتى يوم ٢ مايو وهو توعية الجماهير حول بيان ٣٠ مارس حتى يكون الاستفتاء عن وعى أما القفز لما بعد ٢ مايو فيجعلنا ننصرف عن القضية الأساسية وبالتالى لا يكون الاستفتاء عن وعى وإدراك .

٣ - إن التفاصيل الكثيرة التى تطرحها التساؤلات لا يملك أحد قدرة الرد عليها لأننا فى هذه المرحلة ليس لدينا حصر كامل ودقيق للعضوية الحالية للاتحاد الاشتراكى والمنظمة وتتم الآن اجراءات الحصر وبعدها يمكن الرد على تساؤلات كثيرة لأنه من الصعوبة بمكان تحديد شكل الانتخابات دون معرفة العضوية الحقيقية .

ونخرج من هذا أن اسلوب العمل يجب أن يتفق وطبيعة كل مرحلة من المراحل ، فالمرحلة الأولى حتى ٢ مايو نركز جهدنا وندعم عملنا خلالها دون إهمال لما بعدها ، ولكن لا ننتظر ردودا كافية وتفصيلية عن التساؤلات التى تدور عما بعدها إلا بعد أن ننتهى من المرحلة الأولى وعندئذ يكون لدينا الوضوح الكافى .

٤ ـ إنه ضمن أسباب القلق التساؤلات عن دور المنظمة فى المستقبل وأحب أن أوضح فى هذا المجال نقطة أساسية هى أن منظمة الشباب هى تنظيم سياسى لشباب الجمهورية فى إطار تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى ولا يعقل أن نفكر فى أن يعيش شبابنا بدون منظمة الشباب .. أين يذهب نشاط الشباب إذا لم يوجد تنظيم سياسى يجمعه .. هذا الشباب إما أن يتفكك أو يكون سلبيا أو ينضم إلى تنظيمات أخرى خارج نطاق تحالف قوى الشعب العاملة ـ ويعد ذلك تقصيرا من جانبنا تجاه الشباب وتجاه مستقبل البلد .

ويمكن أن تكون بعض الأحداث قد أدت إلى التشكك فى هذا المجال .. وهذا ما تدور حوله المجموعة الأولى من تساؤلاتكم خاصة ما يتعلق منها بقرار توحيد خطوط الاتصال .. وأحب أن أوضح الظروف التى نمر بها الآن ..

ولاشك فى أن هناك قوى مضادة فى كل المجالات لتحالف قوى الشعب العاملة سواء فى أقصى اليمين أو أقصى اليسار هدفها تحطيم فكرة تحالف قوى الشعب العاملة وانتقال السلطة إليها .. ما وسيلتهم لذلك ؟ .. وسيلتهم هى تحطيم أى تنظيم جماهيرى يؤمن بهذا التحالف ويسعى إلى تدعيمه .. من هى القوى المعادية ؟ ... هى القوى التى تشكك فى منظمة الشباب والاتحاد الاشتراكى والتركيز من جانب القوى المضادة على تصيد بعض الأخطاء وبعض المواقف للهدم والتشكيك فى منظمة الشباب والاتحاد الأشتراكى .. وعن طريق التشكيك فى التنظيمات القائمة يمكن للقوى المضادة أن تحطم مبدأ تحالف قوى الشعب العاملة وحتى بالنسبة للانتخابات فإن هناك محاولات كثيرة للتشكيك ، فالقيادات ليست على المستوى المطلوب وجاءت بالتعيين والتعيين لا يصلح ... ثم يقولون أن الانتخابات لن تأتى بغيرهم ... ويقال العملية مترتبة والناس هم هم ...

وفى كل مجتمع عادة .. وهذه طبيعة البشر توجد قوى تمثل مجموعات سياسية وتوجد قيادات تعتبر قلة وقوى مضادة تعتبر أيضا قلة وفى الوسط توجد الجماهير وتحاول كل من القوتين جذب الجماهير إلى صفها .. فمن يكسب قوى الجماهير ويكسب المعركة السياسية .. ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا إذا ترابط التنظيم السياسى كتنظيم متماسك متشابك وأى تخلخل فى هذا التنظيم يعطى للقوى المضادة فرصة واسعة للتحرك .. وعلينا كتنظيم سياسى أن نتماسك ونتكاتف من أجل جذب الجماهير وتحطيم كل القوى المضادة التى تحاول التأثير على الجماهير الغير مدركة لأبعاد المعركة وهذا الواجب إذا كان له أهميته فى عملنا السابق فأهميته فى المراحل المقبلة تفوق ما سبق وفى خلال العامين السابقين أقمنا تنظيمنا السياسى على أساس تعيين القيادات .. وفى المرحلة القادمة سوف تكون الانتخابات هى الأساس وإذا كان التنظيم السياسى بالتعيين فإنه يمكن أن يعمل وتوجد متناقضات بداخله وهذه الانتخابات هامة لإفراز العناصر الصالحة التى تستطيع أن تواجه القوى المضادة ، إن تماسك التنظيم واجب أساسى فى المرحلة القادمة .

وهذا يفسر إلى حد كبير لماذا صدر قرار توحيد خطوط الاتصال فهذا الموضوع لا يتصل بأحداث وقعت فى أيام محدودة وأيام عادية ولكنه صدر بسبب إعادة تشكيل التنظيمات السياسية على أساس الانتخابات وذلك حتى يستطيع التنظيم أن يكون أكثر

تماسكا ويستطيع التكاتف والوقوف أمام القوى المعادية وأيضا لاختيار احسن العناصر المؤمنة بهذا التحالف وفى الواقع لم يكن ممكنا ونحن مقبلون على عملية إعادة بناء التنظيم السياسى بالانتخاب أن نترك منظمة الشباب تعمل فى جانب والاتحاد الاشتراكى فى جانب آخر ولا أتصور أن يكون هناك تناقض فى المعركة الانتخابية بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى والذى قد يؤدى إلى ظهور عناصر تستفيد فى المعركة الانتخابية من هذا التناقض .

وإذاً فالعملية عبارة عن تعبئة سياسية لكل القوى من أجل حسن الأداء فى المرحلة المقبلة وليست خاصة بالمظاهرات ولا الهجوم على منظمة الشباب ولا ما اثير حولها من شائعات .. والحقيقة أن الهجوم على المنظمة قائم من يوم أن بدأت المنظمة عملها .. وما قيل فى مجلس الأمة سبق أن سمعنا مثله الكثير وأى تنظيم سياسى لابد وأن ينتظر مثل هذا الهجوم - لأن هناك من هم ضد فكر هذا التنظيم وهناك الموتورين منهم لانحرافات فكرية أو شخصية أو خلافه ولا يمكن أن يؤدى مثل هذا الهجوم إلى تجميد نشاط التنظيم لأن معنى هذا اننا نكون قد وقعنا فى شراك القوى المضادة وحققنا لها ما تريد .

وإذاً فعملية توحيد سلوك الاتصال ليس الغرض منها تجميد المنظمة وإن كان إحقاقا للحق لابد من ذكر أن هناك من بين أعضاء التنظيم من أنحرفوا عن أهدافه حينما اشتركوا فى قيادة بعض المظاهرات دون وعى أو إدراك وفى مجال النقد والنقد الذاتى فلابد من أن نعترف بذلك .

وهناك سؤال هو ..... إلى متى سوف يستمر العمل بهذا القرار ؟ ، والإجابة : أن العملية سوف تعود إلى طبيعتها بعد استكمال بناء التنظيم السياسى ... وفى كل مرحلة من مراحل النضال قد تستجد ظروف تستدعى توحيد وسائل الاتصال وفى أى معركة لابد من أن يوحد القائد جهوده وجهة واحدة وإذا بالنسبة للتوقيت فحين يكتمل بناء التنظيم فإن العملية سوف تعود لوضعها الطبيعى .

- هناك سؤال يقول أن هذا القرار يؤدى إلى عدم وجود مسئوليات واضحة للجنة المركزية وسكرتارية المحافظات ..

... وإنه بعد الاستفتاء سيكون العمل من أجل الانتخابات وكشف العناصر المنحرفة وإذا كانت الانتخابات سوف تبدأ من الوحدات فإن التركيز فى العمل السياسى والجماهيرى يحتم بالتالى العمل على مستوى الوحدة الأساسية وأن تنشط قيادات الوحدات حتى تظهر المعركة الانتخابية العناصر الصالحة وبالتالى فإن السكرتاريات فى مستوى المحافظات واجبها الأساسى أن تتحرك إلى مستوى القاعدة والشىء نفسه ينطبق على الأمانة العامة ومن التسلسل القيادى الهرمى المعروف كلما كانت قيادات الوحدات سليمة كلما كان التنظيم السياسى حتى - اللجنة المركزية مبنيا على أساس سليم .. وكلما كانت القيادات بالوحدات غير سليمة كلما كان مستوى اللجنة المركزية غير سليم واللجان القيادية على مستوى المحافظات والمراكز لابد من أن تقود العمل فى مستوى الوحدات .

- والتساؤل الثانى حول أثر قرار توحيد خطوط الاتصال على التسيب .. فالتسيب الذى حدث فى المنظمة يجب على القيادات أن تشرح أبعاد هذا القرار وأسبابه حتى يواجهوا التسيب الذى حدث وليس واجبها أن تترك العمل هى الأخرى وتتسيب لأن معنى هذا عدم التخلى فى وقت النضال هو الذى يكشف صلابة القيادات أما العناصر

المتسيبة فإنها ليست على مستوى المسئولية والصمود ، وبالتالى يلفظها التنظيم . وأن أوقات النضال هى التى تكشف العناصر المخلصة والمناضلة .

سؤال ثالث .. عن هبوط معدل الحركة السياسية للمنظمة فى بعض المواقع بسبب سوء فهم بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى لهذا القرار ..

... والرد على هذا أن النظرة يجب أن تكون شاملة ... وأنا أمامى جميع المحافظات من أسوان حتى الاسكندرية وكل عضو وحدة منظمة أو اتحاد فى هذه المرحلة يحتك بالجماهير ويوجهها ببيان ٣٠ مارس ويمهد لاختيار وانتخاب أحسن العناصر ولكن إذا تعطلت الحركة السياسية فى هذه المواقع فلابد من إعادة تشكيلها .

فالوحدات التى ترى الحركة السياسية قد هبطت عليها أن ترفع ملاحظاتها إلى المستوى الأعلى .. مستوى السكرتارية .

سؤال رابع عن الموقف بالنسبة لخطة المنظمة ....

إن الهدف فى هذه المرحلة هو إعادة بناء تحالف قوى الشعب العامل .. والخطة نستطيع أن نؤجلها حتى ننتهى من الهدف الرئيسى والعاجل وهو إعادة بناء التنظيم وذلك إلى أن يجتمع المؤتمر القومى ويصدق عليها أو يعدل فيها كما أن القيادات قد تتبدل ويأتى غيرها .

مناقشة وتعليقات :

السيد / فضل شلبى .. محافظة الجيزة

(أ) بالنسبة للنقد الذاتى وحركة المنظمة فى المظاهرات لماذا لم ينفذ السيد وزير الداخلية ما اتفق عليه فى ليلة ٢١ فبراير حيث أتفق على تحريك الجماهير فى شكل مؤتمر سواء فى المنظمة أو فى الاتحاد الاشتراكى العربى ولم ينفذ .

(ب) إن المباحث تتابع نشاط أعضاء المنظمة حتى من قبل ٢١ فبراير ... فما موقف أعضاء المنظمة الذين اعتقلوا .. فهل سيكون الاعتقال نقطة سوداء فى حياتهم .

(جـ) لقد حدثت بعض التحقيقات فى اللجنة المركزية للمنظمة حول خطة الحركة الجديدة فى مارس وهذا الخط الجديد لا أعتبره إلا خطا طبيعيا فهم على أنه خط جديد .

تعقيب السيد الأمين العام :

هذا الموضوع سأرد عليه رغم أنى لم أكن أحب الدخول فى تفاصيل هذا الموضوع ولكن أحب أعلق على موضوع المباحث فهذا الموضوع إذا حدث يحدث فردى ويوقف باستمرار وأنا كنت أقول لرجال المباحث أن أى حاجة يحتاجون إليها عن أعضاء المنظمة أستطيع أن أقدمها لهم ... مفيش عمل من جانب المباحث فى تتبع فرد من أعضاء المنظمة والمسئولين فى كل هذه الأجهزة أعضاء بالأمانة العامة والتقى بهم باستمرار .

بهاء الجبيلى ـ أمين شباب الاسكندرية :

بالنسبة لموضوع المباحث أعطى لسيادتك صورة لما حدث فى الاسكندرية ...

فقد عقد مؤتمر للمنظمة بالمحافظة لمناقشة برنامج ٣٠ مارس وبعد انتهاء المؤتمر فوجئت بأن ضباط المباحث جاءوا ليحاولوا معرفة مادار فى الاجتماع داخل المؤتمر . فما معنى هذا ؟ ، إن منظمة الشباب إما أن تكون موضع ثقة السيد الرئيس عبدالناصر أو لاتكون ... وإذا كانت المنظمة موضع ثقة السيد الرئيس فأحب أن أسأل سيادتك شخصيا .. إذا كان الرئيس يثق فى الشباب الاشتراكى فلماذا لا يلتقى بالشباب الذى احترق فى الفترة الماضية بدلا من الالتقاء بالشباب المثقف بالجامعة .

رد الأمين العام :

إن تقارير المباحث مصدر من مصادر المعلومات فقط وهى لا يؤخذ بها كمرجع للحكم على أعمال المنظمة وليس معنى هذا ألا يأتى أحد ليسألك عما دار فى أحد الاجتماعات والحقيقة أنه ليس كل عضو ملتزم داخل المنظمة .. فهناك انحرافات فردية داخل المنظمة والمهم فى النهاية أن الذى يقرر أى شىء بالنسبة للمنظمة هو التنظيم السياسى وليس المباحث ..

السيد / محمد عبدالبديع الفيشاوى .. محافظة الشرقية :

نقلت من محافظة الشرقية إلى محافظة سوهاج بناء على تقرير من السيد أمين هويدى المشرف على المخابرات بأنى شخص غير مرغوب فيه بالشرقية رغم أننى متفرغ للعمل السياسى اعتبارا من أبريل ١٩٦٧ .

رد السيد الأمين العام :

لقد أوقف النقل وأنا لما شفت القرار وقفته إلى حين أن يحقق سياسيا فى الموضوع حيث أن القرار السياسى هو الذى يحدد الموضوع وعايز أقول أن قيادات المنظمة مسئولة عن قواعدها فى تقييم أو تقويم الأعضاء ولو أن المنظمة سبقت الأجهزة الإدارية لما حدث ذلك ويجب أن نحمى التنظيم من أنفسنا أولا ومن أعدائنا ثانيا ، وفى العام الماضى كانت تأتى تقارير من المنظمة تقارير معلومات مثل بعض الحرائق التى وقعت فى بعض القرى قبل معرفة الأجهزة الادارية وكنت أقوم بإبلاغ وزير الداخلية ووزير الشئون الاجتماعية وكان التنظيم يتحرك حركة واسعة فى هذه المرحلة .

وبالنسبة للثقة فى المنظمة ـ فالثقة كاملة فى المنظمة وفى تنظيمنا السياسى .. وإلا فما معنى أن ننقل السلطة إلى تحالف قوى الشعب العاملة . ليس للرجعية أو الانتهازية .. ما يحدث الآن حول بيان ٣٠ مارس وما يتبعه من إجراءات هو نقل السلطة لتحالف قوى الشعب عن طريق القيادات التى ستنتخبها القوى العاملة وهذه هى فلسفة التغيير العميقة التى هى إزالة مراكز القوى والعقبات التى وقفت أما الجماهير ومنظمة الشباب ما هى إلا جزء من التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى ومعنى ذلك أن الثقة كاملة فى المنظمة وإذا كانت المنظمة تمثل قوى منحرفة أو انتهازية لما اتخذت القيادة خطوات نقل السلطة إلى هذه التنظيمات .. وأن هذا يعنى أكبر ثقة فى هذه المنظمة ..

أما عن الاجتماع فى الجامعة فسوف يضم أعضاء منظمة بجانب أعداد كبيرة من المثقفين .

بهاء الجبيلى .... أمين الاسكندرية

إن نقل السلطة للجماهير عملية لاخلاف عليها .

إن الجهاز الوحيد الذى يقيم نفسه باستمرار هو المنظمة التى تسير وفقا للأسلوب العلمى وتجدد نفسها باستمرار ووضعت خطة للانتخابات على مستوى الوحدات بخطة هذا العام ووضعت قضية الديمقراطية موضع التطبيق العملى ومكتب تنفيذى المحافظة كما تعرف سيادتك لا يعمل الآن .. وإذا دخلنا المعركة الانتخابية سوف تتصدى لقيادات كثيرة من قيادات الاتحاد الاشتراكى ..

السيد الأمين العام :

التنظيم ليس أمين المكتب التنفيذى ، إنما التنظيم هو الجماهير التى تشمل جميع الأعضاء .. ولابد من التصدى للعناصر المضادة والمنحرفة حتى لا تسلم القيادة للقوى الرجعية فالتماسك فى التنظيم لا يعنى انتخاب أية قيادات وليس لدى مانع من التصدى لأى قيادات منحرفة غير مخلصة والذى أقصد أن التماسك ليس يعنى بأى حال من الأحوال أن نؤيد القيادات الموجودة المهم أن تظهر أصلح القيادات وكى نكون واقعيين قد أقبل قيادات ليست على مستوى المسئولية وغير مضادة .. ولا أقبل عناصر مضادة مضادة لكنها حركية .

السيد / إبراهيم توفيق أمين الجيزة

بعد اجتماع سيادتكم بأمناء المكاتب التنفيذية للمحافظات قال الدكتور طعيمة الجرف لأعضاء المكاتب التنفيذية بالمحافظة ـ الانتخابات فى جيبنا ونحن مطالبون بأن ينجح ٧٠٪ من القيادات الحالية على الأقل .

السيد الأمين العام :

أنا لا أعرف كيف قال طعيمة الجرف هذا الكلام .. حينما أثير هذا الموضوع بعض الناس قالوا احنا اتحرقنا فى المعركة السابقة وغيرنا سيظهر علينا ـ وكان كلامى أن التنظيمات الموجودة قوة وفى تصورى أن هناك ٧٠٪ من القيادات الحالية ستظهر فى هذه الانتخابات ولو أخذت وحدة مثلا كمصنع به ١٠٠٠ عضو فى حلوان منهم ١٢٠ قيادات قطعا ٧٠٪ من هذه القيادات سيظهر فى هذه الانتخابات ـ ولكن ليسوا الأشخاص أنفسهم قد يكون عضو مكتب أو أمين مركز أو أمين مساعد وأنا ما يهمنيش مادام هو أصلا مرتبط .

السيد / فاروق الشاذلى أمين مساعد الدقهلية :

العلاقة بالمكاتب التنفيذية بالمنظمة فى الواقع تعتبر علاقة بين تنظيم متخلف وتنظيم متقدم والتناقض أساس فى كثير من المواقع بين المنظمة وقياداتها والاتحاد الاشتراكى هذا اللقاء جاء متأخرا جدا ـ مفيش خط واضح لدى المكاتب التنفيذية وإذا ـ كان فيه خط فهو مهلهل ـ وبعد ٣٠ مارس أنفض الجميع تقريبا . وأؤكد أن المباحث تتبع أفراد المنظمة فعلا .

السيد الأمين العام :

ـ أعطنا مثال .

السيد أحمد موافى :

ـ جاء لى خطاب شكر كى أعود إلى عملى من اللواء/محمد السيد عبدالرحمن أمين الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة وأعتقد أن ذلك بسبب تقرير المباحث .

السيد الأمين العام :

مين عرفك أن تقرير المباحث هو الذى أخذ به ... هذه مسئولية سياسية وليست مسئولية المباحث، وأنت أخطأت هل تحب أن تحاكم تنظيميا .

هذا قرار سياسى ولا داعى لأن تعقد .. لأن العملية ليست عملية مباحث .

السيد أحمد موافى :

نعم أحب أن أحاكم تنظيميا ... وهل من المفروض أن أعرف ويحقق معى أم لا ؟

وأنا أطالب بأن توقع أقصى عقوبة علىّ وبكل شجاعة مستعد لتحمل كل التبعات .

السيد الأمين العام :

إذا كنت تريد ذلك ... ممكن ... ممكن التحقيق وفيه أحد احتمالين ... إما اتخاذ إجراء .... أو تجميد حتى تفيق لنفسك شوية .

ـ بالنسبة لموضوع حلوان فإن ما حدث بعد ذلك كان خروج على التعليمات التنظيمية والاجراءات التى اتخذت هى بشأن ما حدث بعد ٢١ فبراير لأنه كان فيه خروج على التعليمات التنظيمية ... ولكن بعد هذه التعليمات أن تتحرك مع الجماهير فهذا خروج عن التعليمات ... وأحب أن أؤكد أن القرار الذى اتخذ بتوحيد خطوط الاتصال لم يكن له علاقة بالمظاهرات وقد اتخذ قرار إعادة المحاكمة بناء على رغبة الملايين من الناس الذين انتظموا فى وحداتهم وعبرت عن رأيها تنظيميا ولم تعاد المحاكمة نتيجة المظاهرات .

السيد ناصف عبدالخالق :

مساء يوم الجمعة اتصل بنا الدكتور عادل عبدالفتاح فى محافظة الجيزة وأبلغنى بأنه محتمل حدوث مظاهرات فى الجامعة ويجب مواجهة هذه المظاهرات وبناء على ذلك خرجنا بناء على تعليمات تنظيمية لتفريق المظاهرات وكنت أنا أحد الضحايا وأخذت إلى المعتقل وطبعا أسىء فهم المنظمة حيث أنه كان هناك ٢٠ من بين الـ ٦٠ المعتقلين أعضاء منظمة منتظمين ومتحركين بتعليمات من الدكتور عادل عبدالفتاح .

السيد الأمين العام :

هل كان هناك تعليمات بذلك ؟ يوم الجمعة كان فيه تعليمات بهذا ؟

السيد ناصف عبدالخالق :

- يوم الجمعة ٢٣ فبراير مساء يا أفندم اتصل بنا الدكتور عادل عبدالفتاح الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وأبلغنا بالتعليمات السابقة وأبلغناها لجميع المراكز وأنا قلت هذا الكلام فى التحقيق الذى أجرى معى .

السيد الأمين العام :

- كان هناك تعليمات بمنع التظاهر ؟

السيد ناصف عبدالخالق :

- أيوه يا أفندم التعليمات بمنع المظاهرة - وأنا اتصلت بالسيد اللواء قائد قوة الشرطة عند جريدة الأهرام وأبلغته أننى نازل بتعليمات من المنظمة لتفريق المظاهرات وبذلت جهوداً مستميتة ، وضعف هو عن تفريق المظاهرة وفرقتها أنا وجاءنى اللواء الثانى وقال لو سمحت تفرقها فى أكثر من شارع وفرقتها فعلا وأثناء قيامى بذلك قبض علىّ واحد ... فقلت له يا أفندم أحنا اتفقنا على ضبط الأعصاب وعلى تفريق المظاهرة سلميا - والقبض على هذا الشخص سيقلب سلمية المظاهرة - فقال لى أنت بتخرف فقلت له أنا آسف يا أفندم لكن هذه هى الواجبات اللى خارج بيها تنظيميا ، فقال لى أنت كمان تعالى وقام وأخذنى ورمانى فى البوكس ، وشفت ليلة لن أنسى الحرمان والمذلة اللى شفتها فى سجن قسم عابدين طوال هذه الليلة وأننى أريد أن أقر هنا أمام الأخوة أننى لاقيت أحسن معاملة فى معتقل القلعة ولكنها كانت ليلة سوداء لن أنساها طوال حياتى فى زنزانة سجن عابدين .

السيد الأمين العام :

- يبقى الخطأ من قيادة المنظمة .

السيد . عادل عبدالفتاح

- مساء الجمعة كان هناك معلومات أن طلبة الجامعة بيحضروا لمظاهرة فصدرت التعليمات للتحرك يوم السبت لمواجهة أى موقف وأنه لو حدثت مظاهرة فعليهم أن يحولوا ما بين صدام قوات البوليس بالطلبة ومساء يوم الجمعة أخذوا هذه التعليمات بمنع المظاهرات وإذا حدث أى تحرك فيمنع أى تصادم بين الشرطة والطلبة المتظاهرين وهذه هى التعليمات التى بلغت بس علشان يوضح كلامه .

السيد ناصف عبدالخالق :

- أنا قلت هذا للمعنى .

السيد عادل عبدالفتاح :

- هو كلامه كده ولكنه لم .....

السيد الأمين العام :

- الكلام كان يوم السبت اللى قبل منع المظاهرات يبقى ده سليم .

سؤال :

هل صدرت توجيهات للصحف بعدم نشر أى أخبار عن المنظمة والاتحاد الاشتراكى ؟

السيد الأمين العام :

- هناك تعليمات بعدم نشر أى شىء عن المنظمة والاتحاد الاشتراكى . مش عايزين دعاية والتحرك يجب أن يكون تنظيميا . وبصراحة فأنا لا أضمن العناصر الموجودة حاليا بالصحافة ولن تفيد الصحافة بل ستضر بالقضية ولذلك كل شىء بالنسبة للاتحاد الاشتراكى والمنظمة موقوف ... ولو عملنا دعاية وإعلانات حيقرلوا أننا بنعمل دعاية لأنفسنا ... واحنا شفنا الناس اللى نشروا إعلانات عليهم نقد أد إيه يجب أن نتحرك باسلوب سياسى وأن نعمل باسلوب تنظيمى .

سؤال : ما هو أسلوب العمل السياسى بالجامعة ؟
وهل مجموعة الشباب المسلم صيغة جديدة للعمل السياسى بالجامعة ؟

السيد الأمين العام :

- موضوع الجامعة سوف نتكلم فيه بعد انتهاء العام الدراسى ولابد من عمل خطة نتحرك على أساسها فى الصيف وما جاء على لسان مديرى الجامعات موضوع مرحلى فى هذه الفترة حيث أن المنظمة ضعيفة بالجامعة . وبالنسبة لموضوع مجموعات الشباب المسلم فهذا الموضوع جاء فى فترة معينة بحجة مساعدة العمل السياسى لكن العملية أوقفت نهائيا . وهناك تعليمات لتوفيق عويضة بألا يتحرك .. مش هو ده اللى بيتحرك لوحده ولكن المفروض أن تعرف مين تانى بيتحرك .. القوى المضادة بتتحرك ... داخل الجامعة .

السيد السباعى :

- مازالت هناك مجموعات تتحرك داخل الجامعة . فى كلية العلوم والفنون التطبيقية .

السيد الأمين العام :

- هل المنظمة استطاعت أن تسيطر على جميع المؤتمرات فى الجامعة .... لا ... بالطبع ولذا فأنا أحتاج أن أوحد جهودى فى هذه الظروف خاصة أن المنظمة ضعيفة فى الجامعة .

السيد مهدى عسر :

- سيادتك ذكرت أن ظروف الجامعة فتحت مجالا للتحرك أمام العناصر الرجعية وهذا يثير تساؤلا أساسيا .. ما إمكان أى فرد فى عمل تنظيم داخل الجامعة أو أى مكان آخر دون الرجوع إلى التنظيم السياسى وما أخشاه هو تشكيل الخمسات الذى يتم داخل جمعيات الشبان المسلمين . وهل يسمح لتوفيق عويضة باستمرار

الاجتماعات .. وقد كان هناك اجتماع يوم الأربعاء الماضى بتجارة عين شمس .

... إن إستمرار هذا العمل بهذا الشكل سوف يعطل حركتنا فى المستقبل .

السيد الأمين العام :

ـ التنظيمات الجماهيرية طبعا لها نشاطها ولكن الفرق هو أن يعمل تنظيم سياسى خلاف التنظيمات السياسية القائمة وهذا الموضوع أوقف . والأسلوب السليم هو أن يكون لك ناس فى هذه التنظيمات . والمهم عندى ألا يكون هناك نشاط سياسى داخل الجامعة لغير تنظيمنا السياسى .. عندما يكتمل بناء التنظيم السياسى . والواقع أن المنظمة لم تستطع أن تسيطر على المؤتمرات التى تمت داخل الجامعة ولا يجب أن نحمل القيادة أكثر مما تحتمل ... ولو أنك نشط تستطيع النفاذ والسيطرة على هذه التنظيمات .

ـ لازم تكون أقوى وأنشط من هذه التنظيمات .

سؤال :

ـ ما هى حقيقة الشائعات عن تولى وزارة الشباب الاشراف على منظمة الشباب .

السيد الأمين العام :

ـ هذا الموضوع سبق أن رددنا عليه من قبل وليس من الممكن أن تحل وزارة الشباب محل منظمة الشباب .. وكون وزارة الشباب تعمل بمفهوم سياسى فليس معنى هذا أن توقف منظمة الشباب بل العكس فالوزارة تضع إمكانياتها فى خدمة التنظيم السياسى ومنظمة الشباب .

سؤال :

ـ لماذا لا يعقد لقاء بين السيد الرئيس وقيادات الشباب الاشتراكى حيث أن ذلك يعطى للمنظمة فاعلية ودفعة قوية ؟ .

السيد الأمين العام :

ـ رأيى فى المرحلة القادمة أن نبتعد عن عملية التركيز على التنظيمات السياسية أو على تنظيم معين . لأن التركيز على التنظيم السياسى فى هذه الظروف معناه إبراز تنظيم معين وهذا غير مقبول من جانب الجماهير . ولقاء الرئيس بالمنظمة سوف يثير النقد حول المنظمة وسيكون هناك هجوم مركز على المنظمة ويجب أن نكون واقعيين فى نظرتنا لذلك .

سؤال : محمد صلاح الدين الاسكندرية

ـ نحن نشك كثيرا فى أن الصورة لدى الرئيس عن المنظمة مشوهة وغير صحيحة .. والدليل على ذلك أنه عقب لقاء السيد الرئيس مع مديرى الجامعات جمدت المنظمة فى الجامعة وكذلك فإن الرئيس لم يشر إلى المنظمة فى أى خطاب من خطاباته .. والسيد علوى حافظ هاجم المنظمة ولم يرد عليه أحد . وكل هذه الأمور تجعلنا نشك

فى أن الرئيس ليس لديه صورة واضحة عما تقوم به المنظمة .

السيد الأمين العام :

- ما يقال فى القواعد من بعض أعضاء مجلس الأمة هو أن السيد الرئيس شكر مجلس الأمة ولم يشكر الاتحاد الاشتراكى والمنظمة فى البيان والرد على هذا بسيط وأنا أقول أن الرئيس شكر مجلس الأمة وهو ماشى . ولكن الاتحاد الاشتراكى والمنظمة باقيان . فلا يمكن أن القائد يشكر تنظيم إلا إذا كان عاوز ينهيه . وبصرف النظر عن انطباعاتكم عن قيادات الاتحاد الاشتراكى فإن التنظيم واحد فى النهاية وفى اجتماعاتى مع اللجنة المركزية قلت لكم أن التنظيم السياسى أصلا وأخيرا هو الاتحاد الاشتراكى لأنه فى النهاية هو قيادات الاتحاد الاشتراكى المقبلة ويجب أن نعمل على ألا يكون هناك أى انفصال وإذا كان هناك خلافات بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى فلا يعنى هذا وجود تناقض بينهما . ولكن لطبيعة وظروف الشباب تعمل له تنظيمات هرمية مستقلة ولكن غير منفصلة عن الاتحاد الاشتراكى . ولقد قاومت باستمرار عملية الدمج ، ولا يمكن أن نخلق حزبان فى الوقت نفسه لهما الهدف نفسه .

وليس هناك شك فى المنظمة . وإذا كان هناك لكان من الممكن أتخاذ قرار بحلها وليس هناك حاجز بين المنظمة وبين السيد الرئيس ومش ممكن يكون فيه تنظيم قائم ومتشكك فيه ويترك وصورة نشاط المنظمة بالكامل موجودة لدى السيد الرئيس . وترفع له كل التقارير ومحاضر الجلسات . والمنظمة كمنظمة سليمة ، وإن ظهر عدد بسيط ليس على المستوى المطلوب ، ولكن لا يمكن أن يشوه هذه الصورة للمنظمة .

سؤال :

- متى سيتم اجراء الانتخابات داخل المنظمة . وما الموقف من جريدة الشباب بالغربية ؟

السيد الأمين العام :

- انتخابات المنظمة سوف تتم بعد انتخابات الاتحاد الاشتراكى بنفس النمط والاسلوب ولكن كما قلت عملية الانتخابات وتفاصيلها لابد لها من بيانات كاملة عن العضوية وفى تصورى أن حجم مؤتمر المنظمة والمؤتمر القومى يتراوح ما بين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ ولايزيد عن هذا الحجم بأى حال من الأحوال . فكيف أشكل المؤتمر والتمثيل الجغرافى والنوعى به ، وهذا يتطلب اجراء حصر للعضوية ومعرفة حجمها الحقيقى وطريق تشكيل مؤتمر القسم والمحافظة . والمطلوب الآن حصر ميدانى كامل للعضوية فى كل موقع كى تصل إلى الحجم الحقيقى للعضوية كى يمكن على ضوئه وضع الحجم النهائى للمؤتمر .

وبالنسبة لوقف جريدة الشباب بالغربية أتضحت أن الجريدة قبلت إعلانات ، وأنا أقول أن أى جريدة سياسية لا تقبل ولا يجب أن تقبل إعلانات وإلا انقلبت إلى عملية تجارية وقيل أيضا أن المنظمة تعرض أسعاراً معينة للإعلانات أعلى من اجهزة الإعلان الأخرى ولهذا أوقفنا هذه الجريدة .

تعقيب من أحد الحاضرين :

- مكتب تنفيذى القاهرة يصدر نشرة أسمها القاهرة تأخذ إعلانات .

السيد الأمين العام :

- صدرت تعليمات لجميع المحافظات بألا تصدر أى نشرات أو مجلات سياسية تتضمن إعلانات .

السيد إبراهيم بكر أمين الغربية :

- تتردد فى بلادنا مناقشات حول الحرية والاشتراكية ولابد من أن يكون لنا رأى فى هذه القضايا المثارة . ليس لدينا كوادر حقيقية ملتزمة مؤمنة تحس بنبض الجماهير .. والمجلة محاولة لخلق صحافة إقليمية شبابية . لأنه لا يوجد إلى الآن صحافة إقليمية شبابية فى بلادنا ، وكنا نريد أن نقول أننا كشباب نستطيع أن نطرق كل المجالات وأن نثبت لأدعياء الخبرة وأنا أقصد ذلك .. إننا كشباب قادرون على طرق كل المجالات وموضوع الجريدة سيادتك عندك تقرير كامل عنه . وكل الأجهزة عندها فكرة كاملة عن المجلة أما بالنسبة لتسعيرة إعلانات فقد أقرت من إدارة الاعلانات والإعلان الموجود بالسعر الموجود مش غالى ولا حاجة .. والجريدة بتعبر عن تجربة جديدة فى تاريخ بلادنا وأن فيه على مستوى إقليم شبابا يعملون جريدة بهذا الشكل وأن يكون هناك إعلانات فمن أين نأتى بالتكاليف اللازمة للجريدة . أحنا جمعنا بعض النقود لإظهار العدد الأول وكل شىء موجود ومسجل بالنسبة للحسابات والاعلانات بمعرفة الاتحاد الاشتراكى فلنا موقف سابق هو أن مجلة الشباب العربى تصدر إعلانات ونحن لم نستحدث شيئا جديدا وإذا كان هناك شخص انحرف فيمكن أن يحاسب والعملية التى تمت ما هى إلا عملية نصب وهى أن أحد الأشخاص انتحل شخصية أمين مركز طنطا وصفة مندوب الجريدة .

السيد الأمين العام :

فيه فرق كبير بين الشباب العربى وجريدة الغربية ولابد من حماية التنظيم فى هذه المرحلة فقد قيل أن المنظمة تفرض إتاوات على بعض شركات إعلان وأن واحد انتحل صفة مندوب الجريدة وخلق مشكلات . فلماذا نخلق مشكلات لأنفسنا ولماذا نعرض التنظيم للتجريح فى هذه الظروف الحرجة . فيمكن للجريدة أن تصدر بشكل مبسط وبنفس المواد دون إعلانات . وأرى أن نبعد أنفسنا عن أى عملية تجريح للمنظمة فى هذه المرحلة .. وكل النشرات التى تصدر فى القاهرة وأماكن أخرى تكفى نفسها بنفسها .

السيد الأمين العام :

ما طبيعة عمل المكاتب التنفيذية بعد الاستفتاء مع ملاحظة ما أثير فى الصحف حول التخوف من أن يكون هناك تأثير من ماضى الاتحاد الاشتراكى على مستقبله .

السيد الأمين العام :

التنظيم بشكله الحالى يبقى حتى نهاية الانتخابات وفى رأيى أن نترك الجماهير ووعيها

ولكن لا يمكن أن نترك فراغ سياسى فى هذه المرحلة . وكون الناس تتأثر فهذا يرجع إلى الناس أنفسهم ولا يمكن أن نقول بعد الاستفتاء للمكاتب التنفيذية مع السلامة إذ من الذى سيبقى غير القوى المضادة . وهذا لا يعنى أننا نفرضهم على الناس .

سؤال :

هل هناك اتجاه للاستفادة ببعض العناصر التى قد لاتنجح فى الانتخابات إذا رشحت نفسها ؟

السيد الامين العام :

العناصر الفنية التى لا يمكن انتخابها لسبب أو آخر يمكن الاستفادة بها فى اللجان الفنية وليس لها حق التصويت فى المؤتمرات ولا تولى القيادة يعطى قرارات ويصدر توجيهات وهذا الموضوع متروك للمستقبل . ولكن التنظيم السياسى كمبدأ عام هو أن الناس المنتخبون هم الذين يتولون القيادة .

سؤال :

هناك قيادات لا ترشح نفسها أو سوف تعود إلى عملها هل هناك نية للاستفادة منها وتصعيدها داخل العمل التنفيذى ؟

السيد الأمين العام :

لا أستطيع أن أقول أى فرد يعود إلى عمله التنفيذى يأخذ موقعا قياديا وكل واحد حسب كفاءته فى مجاله التنفيذى ولا أستطيع أن أقول أتوماتيكيا أن واحداً خدم فى الاتحاد الاشتراكى يتخطى زملاءه لا لشىء إلا أنه كان يعمل فى الاتحاد الاشتراكى .

سؤال :

ما صورة الهيكل التنظيمى للاتحاد الاشتراكى بعد الانتخابات ؟

السيد الأمين العام :

لا أستطيع الرد على هذا التساؤل إلا بعد عملية الحصر وتوافر البيانات الكاملة .

والعمل السياسى فى المجتمع الاشتراكى قائم على الإنتاج والخدمات ولكن كيف وما هى التفاصيل ؟ وهذا ما لا يمكن تحديده الآن أما المؤكد فهو أن الوحدات الجماهيرية لها الثقل الأكبر .

سؤال :

ما شكل العلاقة بين الجهاز التنفيذى والتنظيم السياسى . وهل من الممكن أن يكون هناك جمع بين المسئولية السياسية والمسئولية التنفيذية فى الموقع الواحد ؟

السيد الأمين العام :

لابد من فصل العمل السياسى عن العمل التنفيذى ولا يمكن أن يكون المسئول السياسى هو المسئول الإدارى نفسه وإلا لانتفت الرقابة الشعبية فى حالة الجمع بينهما .

أما تفاصيل العلاقة من مستوى الوحدة حتى اللجنة المركزية فستكون من مهام

المؤتمر القومى والعلاقة بين التنظيم السياسى والجهاز التنفيذى علاقة موضحها القانون تماما .

سؤال :

هل سيكون الترشيح للانتخابات قاصرا على مسددى الاشتراكات ؟

السيد الأمين العام :

فى الحقيقة أن صورة الانتخابات عن طريق مسددى الاشتراكات وغير مسددى الاشتراكات لا تختلف كثيرا وسوف تحدث محاولات تكتيكية فى الانتخابات ولكن الاشتراطات ليست الأساس ومن هو متأخر فى التسديد يمكن أن يعطى فرصة ويشترك فى التصويت ونحن نشترط لكافة العضوية وستشكل لجنة رقابة لكشف أى تلاعب بغرض غير شريف . والأرقام التى جاءت إلى الآن تدل على أن الأعداد بسيطة .

سؤال : رفعت العزب .. محافظة الغربية :

الحقيقة سنة ١٩٦٥ طلع إيصال الاشتراكات فيه ناس سددت وناس لم تسدد وأنا ألقى المسئولية على الناس اللى كانوا بيجمعوا الاشتراكات . وأنا أحب أن أوضح من الذى دفع فى هذه الفترة الماضية . أما الموظفون الذين يخصم من مرتباتهم وأما الفلاحون اللى كان عندهم قطن ويسددون الاشتراكات عن طريق الجمعية وأصبح النهارده الخفير صاحب المصلحة الحقيقية هو الذى لم يدفع ولا يستطيع أن يدفع المبلغ كله مرة واحدة . وبالتالى لن يستطيع أن يدلى بصوته . وأنا أقترح أن نتجاوز عن السنين الماضية ويكون لهم حق التصويت وليس لهم حق الترشيح . وكمان الشباب اللى كان سنه أقل من ١٨ سنة عام ١٩٦٢ وأصبح الآن يؤهله سنه أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ما موقفهم ولذلك نطالب بالنسبة لهذا الشباب أن تفتح له باب العضوية .

السيد الأمين العام :

فى الواقع أننا لا نستطيع أن نعمم العملية وألا يحدث الآتى : وهذا احتمال ممكن ... واحد يلم كذا شخص ويدفع لهم ويعطوا له أصواتهم ولازم يكون فيه عملية محددة وطبقا لقواعد ثابتة ومعروفة . ورغم هذا فقد قلنا أنه ممكن التسديد عن طريق نظام التأخرات ثم لا نستطيع تنفيذ كلام الأخ وإلا تصبح العملية انتخابات عامة وليست انتخابات تنظيم سياسى ولازم نفرق بين العمليتين .

وماذا حدث سنة ١٩٦٢ فى انتخابات لجان العشرين هل نتركه يتكرر طبعا لا يمكن تكرار ذلك .

أما بالنسبة لفتح باب العضوية للاتحاد الاشتراكى فإن باب العضوية مفتوح من الآن وممكن أن نتغاضى عن عملية الانتساب .

فاروق العشرى : الدرب الأحمر :

هناك قوى مضادة موجودة فى المجتمع وحركة لأعداء قوى الشعب العاملة . أما لسبب فكرى أو شخصى وهناك أشخاص تحتاج لقوى أكثر مما حدده المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى حدد من هو الشعب ومن هم أعداء الشعب أن هناك كثيرين من أعداء الشعب يتحركون الآن . وأذكر على سبيل المثال علوى حافظ الذى شكك فى

القيادات وفى جمال عبدالناصر وطبع نشرة يهاجم فيها القيادات فى فترة حرجة علوى حافظ الذى طالب بأن نهادن أمريكا ، وقال نمسك العصا من الوسط ، الكلام نفسه اللى بيتحاكم عليه شمس بدران ، هذا الرجل لماذا يوضع داخل المكتب التنفيذى ؟ ، لماذا هذا التناقض الموجود ؟ ، نحن محتاجون إلى مزيد من الحسم والحزم . ولابد من عزل بعض الأشخاص المنحرفين ، ومطلبى الوحيد : لماذا لا يحدد موقف واضح من العناصر المنحرفة ؟ .

وفى سنة ١٩٦٢ تم عزل أعداء الشعب هل النهارده يمكن أن نهادن أعداء الشعب ؟ ، لماذا لا تكون لجان تحدد وتدرس هذه الحالات فيه مد رجعى هذه الأيام ويجب أن يكون هناك حماية للشعب من أعداء الشعب .

السيد الأمين العام :

العمل السياسى معناه أن نسقط المنحرف . ويجب ألا نعتمد على التصرف الادارى فقط وألا نستسهل مثل هذه العملية الادارية أو هذا الاجراء أو نعمل مثلا قائمة بالأسماء المنحرفة يجب بواسطة العمل السياسى والتنظيم السياسى أن نسقط المنحرفين وهذا لا يعنى أن ننهى السلطات التأديبية للتنظيم السياسى ، وهناك فرق بين التنظيم السياسى والعمل الادارى وهناك خطورة على أى تنظيم سياسى من أن يستخدم سلطاته التأديبية كثيرا وبسهولة فقد يؤدى هذا إلى جمود حركة التنظيم السياسى وخوف من التحرك المشروع ونوع من الإرهاب فى داخل التنظيم لا كلام عن الأشخاص لا استخدام للسلطة التأديبية إلا فى أضيق الحدود . لا توجد الآن مراكز تخضع لغير قوى الشعب . أحب أقول لكم أنه لو تستخدم السلطة الإدارية بكثرة داخل التنظيم ما كنش يحدث ما حدث الآن داخل هذا الاجتماع اللى فيه جدل ومناقشة وأنتم بتعارضونى .

السيد حسن محمد حسن ـ الاسكندرية :

منظمة الشباب فى فترة من الفترات نوهت عن مراكز القوى ولم يحدث تحرك من قيادة التنظيم وكانت النتيجة حدوث النكسة .. والتنظيم بدون معلومات لا قيمة له . هل التنظيم هو جهاز إرسال فقط وليس جهاز استقبال رغم وجود انحرافات متعددة فى الأجهزة المختلفة والإبلاغ عنها ، ولا يرد عليها أحد وبهذا يصبح التنظيم مجرد شكل بدون مضمون .

السيد الأمين العام :

أنا لا ألغى السلطة التأديبية للتنظيم السياسى ولكن يجب أولا أن نتحرك بالعمل السياسى لكشف العناصر المنحرفة ومراكز القوى هى المراكز التى لا تخضع إلى رقابة شعبية .

ولما قلت لدى تقارير لو أخذت بها القيادة لفصلت جميع القيادات بما فيها أنتم وأنا لا أستطيع أن أقول سوف أعزل فلان وأعين فلان وألا سوف تكون هناك لخبطة ... لازم نعمل ديمقراطية أولا ثم السلطة التأديبية فى المقام الثانى ، والعمل السياسى ليس عمل يوم .. ولكنه عمل سنوات وإعداد قائمة بعزل بعض الأشخاص ليس هو الحل .

سؤال : نبيل سلام ـ القاهرة :

- نحن لا نريد الحديث عن أفراد نحن نريد إرساء قواعد وقيم تنظيمية الكلام اللى ذكرته

سيادتك لا ينطبق على هذه الحالة على وجه التحديد ، الوقائع التى ذكرت عن علوى حافظ ليست تنظيمية .. علوى حافظ جرح قيادات المنظمة وهو عضو مكتب تنفيذى وقال إنهم أحد نوعين : خريجى سجون أو شيوعيين ...وقال هذا الكلام فى مجلس الأمة وهو بهذا يعتبر قد جرح النظام والبلد وهو داخل تنظيم سياسى كان من الممكن لعلوى حافظ وهو عضو مكتب تنفيذى أن يتكلم وينقد الشباب تنظيميا وما حدث من علوى حافظ هو انحراف تنظيمى بجانب أنه انحراف سياسى . علوى حافظ كان أمامه أمين الشباب أو حضرتك وينقد زى ما هو عايز ويقول رأيه ، ونحن نتكلم عن هذا الموضوع ليس كشخص ولكن لإرساء قيمة ، كمان قبل زميلى اللى سيادتك قلت له ... نعمل معاك تحقيق لو تسكت أنا أخشى أن يكون قبل لعلوى الكلام نفسه نعمل معاك تحقيق وإلا تسكت ضرورى يبقى فيه تقليد أنا غلطت تعمل لى محاكمة تثبت بالتحقيق أخرج بره ...

موضوع علوى الجماهير كلها قالته .. الخط السياسى بتاعنا ضرب فى الدرب الأحمر كلام علوى كان ضرب للخط السياسى لبلدنا والجماهير بتسأل أحنا فين ؟ وبعدين يأتى علوى حافظ عضو مكتب تنفيذى وبعدين نقول لا نلجأ إلى السلطة التأديبية إذا كان هناك خطأ فلابد من المحاسبة .

السيد الأمين العام :

- برضه مش حتكلم عن أشخاص ولا يمكن أن نخرج من هذا الاجتماع وتأخذ منى كلمة وأنا ما قلتش لزميلك تسكت أو أحقق معاك أنا قلت له هل توافق أن يحقق معك وما قلتلوش تسكت أو متسكتش أنا لا أستطيع أن أعطيك كلمة حول أى شخص فى هذا الاجتماع ممكن واحد يخرج بره التنظيم ويخطىء ولا أحاسبه لأننا بشر وهذا الموضوع بالذات أنا لا أرد عليه لأنى ملتزم تنظيميا .

السيد علم الدين ثابت :

- نحن لانتكلم عن الأشخاص وموضوع علوى حافظ أخذ منا وقتاً كثيراً وهو لايستحق هذا الوقت ، والمسألة الآن : ما وضع التنظيم فى المجتمع ؟ ، هل التنظيم مؤثر ؟ هل التنظيم له صوت ؟ هل له حيوية ؟ فى الحقيقة داخل القرية لا توجد ديمقراطية اجتماعية ، لقمة العيش لا تزال سيفا مسلطا على رقاب الفلاحين ، الراجل بينتخب اللى بيشغله واللى يسلف له . ما نتيجة الانتخابات القادمة ؟ أنها سوف تبرز العصبيات ، وسوف تبرز الرواسب القديمة وسوف تفرض هذه العناصر وتأتى بها إلى المؤتمر واللجنة المركزية فى الحقيقة مفيش فى بلدنا ديمقراطية اجتماعية .. والمعركة تستلزم سيطرة كاملة والانتخابات سوف تفتت الجبهة الداخلية وسوف يحدث قتل وخلاف بين العائلات أن لم يحدث هذا كله ، أجهزة الأمن كفيلة بتوزيع الموضوع على العائلات وقد جاء بالبيان أنه لا صوت أعلى من صوت المعركة ، فهل المعركة الآن لها أعلى صوت ؟ من ساعة ما تكلمنا لم يتعرض أحد للمعركة ، المعركة ليس إلا آخر صوت فى المجتمع ، المعركة تستلزم قيادة حازمة . لابد من تغيير أجهزة الإعلام . كل من ناقشوا البيان لم يناقشوه مناقشة موضوعية لم يتعرض أحد فى مناقشته إلى التحدث عن الانتخابات مثلا البيان له مبادىء كويسة جدا .. لكن ما ضمان تنفيذ ما جاء بالبيان .

السيد الأمين العام :

ما البديل .. الكلام اللى بتقوله ده تعجيز هل نأخذ بمبدأ التعيين ؟ ، هل تستطيع أن

تشكل مؤتمراً من ١٥٠٠ واحد ملتزمين بالميثاق ومؤمنين بتحالف قوى الشعب العاملة ؟ أنت تفترض أن المؤتمر سيكون رجعيا وتسأل ما ضمان التنفيذ ؟

الضمان الوحيد هو الديمقراطية وليكن المؤتمر القادم من وجهة نظرك رجعيا لكنه أحسن من المؤتمر السابق ، والشعوب لا تبني في سنة أو اثنتين ولكنها تبنى فى أجيال وإذا كنا اليوم نرفض الانتخابات متى إذاً نبدأ ... نحن لابد من أن نبدأ بدخول الانتخابات ، فإذا رفضنا الانتخاب اليوم كيف سوف ندخله فى المستقبل ؟ ، إن القيادة السليمة لابد من أن تفرزها الجماهير وإذا حملتنى مسئولية اختيار مركز واحد وهو مركزى لما تحملت هذه المسئولية بالشروط الموضوعية ولا أنت فى مركزك ، وإلا كنتم أخذتم قيادات كويسة فى الاتحاد الاشتراكى نحن حتى اليوم لا يزال التغيير مستمرا ، لابد من أن يتحمل الشعب المسئولية ولا تتحمله القيادة وحدها ، المسئولية فى هذه المرحلة إذا كنا مؤمنين بأهدافنا فيجب أن ننزل إلى الشعب ونوعيه ونعرفه مصلحته فين .

والبيان فى ذلته أعلى صوت للمعركة وإلى أن تبدأ المعركة العسكرية فالمعركة هنا ، ولابديل لها إلا بالتماسك القوى المؤمن بالتحول الاشتراكى وتحالف قوى الشعب العاملة والتنظيم السياسى السليم .. ولابد من بناء التنظيم على أسس ديمقراطية ، فهذا هو السند الأول والأخير للمعركة والجبهة الداخلية الآن هى هدف العدو والمعركة الداخلية لابد من أن نكسبها وفى السنتين الماضيتين بذلت جهود لتوضيح مفهوم العمل السياسى وهذا سوف تكون له آثاره فى المعركة الانتخابية .. المعركة هنا لابد من أن نكسبها ولنترك للناس فرصة أن تختار وتستفيد من المواقف التى تقابلها .

تقرر أن يدخل جميع أعضاء المنظمة فوق ١٨ سنة أعضاء عاملين فى الاتحاد الاشتراكى ليشاركوا فى عمليات الانتخابات والترشيح أيضا .

سؤال :

- ما دور المنظمة فى الانتخابات ؟

السيد الأمين العام :

- هذا ما قلته أن تتقدم للانتخابات وتترشح فى الاتحاد الاشتراكى .

سؤال :

- ما العلاقة بين اللجان المنتخبة ولجان المنظمة بعد ذلك ؟

السيد الأمين العام :

- هذه عملية سننظمها بعد ذلك ثم بعد كده كل المستويات التنظيمية فى المنظمة ستكون منتخبة أيضا .

سؤال :

- استفسار خاص عن موضوع استقالة زكريا محيى الدين ؟ .

السيد الأمين العام :

- وأنا برضه إذا كنت سأتكلم فى هذا الموضوع وخاصة كعملية مبدأ بنعمل بيه وهو الذى يترك دون تبرير لذلك جماهيرنا حتى لا يقال أن فلانا كذا وعلانا كذا وحاجة

أخرى عالمية وهذا معترف به دوليا وهو أن أى واحد فى تنظيم سياسى استقال لا أحد يقول أن فلان استقال لأسباب كذا أو أن أى حزب يطلع نشرة ويقول أن فلان استقال لأية أسباب سياسية . وهذا موضوع تنظيمى واحنا شايفين العالم كله . مكنمارا استقال .. وبراون استقال ، ولا أحد قال لماذا استقالوا وأنا قلت أن هذا مبدأ تنظيمى وأخلاقى أيضا .. كل الدنيا بتعمل كده ..

سؤال :

ما سبب عدم نشر مرافعات الدفاع ؟

السيد الأمين العام :

اتجاهات الرأى العام لا تهتم بالمحاكمات الآن وأوضح الرئيس فى بيانه أنه لسبب أخلاقى جعلت المحاكمات علنية ومفيش دولة فى العالم حاكمت رئيس مخابراتها وقياداتها علنا (ولابد من أن ينشط كل عضو فى موقعه وأن يتصدى للقوى المضادة المتربصة بغرض القضاء على تحالف قوى الشعب العامل . ويجب أن تعملوا فى وحداتكم الأساسية وتختاروا العناصر المخلصة الصالحة . وتتصدوا لأى عناصر منحرفة .

سؤال : أحمد عبدالوهاب ـ الاسكندرية :

سيادتك وضحت أن فيه قوتين تتصارعان على جذب الجماهير .. القوى التقدمية والقوى الرجعية .. لو طبقنا ذلك فى الجامعة التى ليس بها عمل سياسى وأن التحرك يتم من خلال عميد الكلية فكيف ذلك ؟

السيد الأمين العام :

أنا رديت على موضوع الجامعة بما فيه الكفاية وأنا عارف اللى موجود فى الجامعة وأن هذا لضعف منظمة الشباب فى الجامعة ولو منظمة الشباب فى الجامعة قوية ومسيطرة على الحركة السياسية كنت أطلقت حركتها داخل الجامعة .

أحمد عبدالوهاب :

لكن سيادتك هل من الأفضل أن نترك القوى المضادة تتحرك فى الجامعة وتشكك فى البيان ؟

السيد الأمين العام :

فى كليتك اتحرك وتصدى لهم ودافع عن البيان ومفيش ما يمنع من ذلك .

أحمد عبدالوهاب :

فى كلية الهندسة فى الاسكندرية حاولنا عمل اجتماعات ومؤتمرات ولكن السيد عميد الكلية قفل المدرجات وكان عليها حرس .

السيد الأمين العام :

لو أنا مطمئن أن المنظمة قادرة فعلا على قيادة الجامعة ، لفتحت المدرجات لازم تعترفوا بضعف المنظمة فى الجامعة وأنه فلت الزمام منكم .

مذكرة
مقدمة من السيد المحافظ أحمد كامل
عضو التنظيم (مجموعة السيد سامى شرف)

١ - جامعة أسيوط :

أ - من مدة وجيزة أمضيتها هنا أحس أن الجامعة تحاول أن تعزل نفسها بدعوى استقلال الجامعة ، وأنا متأثر بتوجيهات سيادة الرئيس عن استقلال الجامعة أثناء مناقشتها فى أحد اجتماعات الأمانة .

ومشاكل الجامعة هنا كثيرة للغاية أغلبها نتج عن عدم التخطيط السليم ، سواء فى بنائها أو فى قبول طلبتها ، وهى تشكل ضغطاً على أسيوط من حيث مشاكل عمالها ومشاكل طلبتها الكثيرة .

وأرى أن استقلال الجامعة بالنسبة لجميع نواحيها الفنية والعلمية مكفول . أما من الناحية الادارية فإنى لا أعقل أن تكون كما تتصور نفسها مستقلة وإلا فإنها تشكل "دولة داخل الدولة" .. فقد وصلت إلىَّ شكاوى كثيرة من عمال الهندسة ومن كثير من الطلبة .

وإنى إذ أسأل الرأى ، فأرى من واجبى أن أتدخل فى هذه الأمور التى قد تستلزم تدخلاً سريعاً وإلا فإن الطلبة والعمال سوف يعيشون تحت سيطرة الجامعة ولا يجدون من يتدخل لإصلاح بعض الأخطاء .

ب - قابلت السيد مدير الجامعة وأغلب هيئة التدريس وانطباعاتى هى :

(١) أن السيد مدير الجامعة يظهر أنه رجل ضعيف وأنه يحاول أن يقلد سلفه ولكن بغير قدرات .

(٢) أن السيد التهامى عبد الرحمن يظهر على أنه شخصية محترمة لها وزنها ، متزن وعاقل .

(٣) أن مدة السيد مدير الجامعة حسين فهيم تنتهى فى فبراير القادم ومعنى ذلك أنه سوف يقضى إلى نهاية السنة الدراسية .

أقترح

أن أضم السيد التهامى عبد الرحمن إلى مجموعتى فى التنظيم على أن يوضع تحت الاختبار الدقيق طوال فترة شغل السيد حسين فهيم كمدير للجامعة ، على أنه إذا إجتاز فترة الاختبار يمكن أن اقترح تعيينه مديرا للجامعة . والذى دعانى إلى هذا الاقتراح أن أظهر لى أنه مستعد للتعاون معى الى أقصى حدود التعاون للقضاء على عزلة الجامعة عن المجتمع وهو ما نحتاجه ، وبضمه الى مجموعتى يمكن أن يتم التوجيه داخل الجامعة عن طريقه .

ج - الموقف فى كلية الطب بجامعة أسيوط يتلخص فى عدم وجود مستشفى جامعى لتدريب الطلبة - وهى مشكلة كبرى - نتيجة لعدم بناء المستشفى الجامعى حتى الآن ، إذ أن أساساته موجودة من ثلاث سنوات ولم يتخذ أى إجراء بعد ذلك لبناء المستشفى ..

والحلول المقترحة كلها تتسم بعدم الواقعية ، فمن نقل للمستشفى الى القاهرة أو الى أى مدينة فى الصعيد يعتبر كلام غير عملى يحمل الدولة مصاريف لا طائل وراءها علاوة على أنه لن يفيد الطلاب بل قد يضرهم .

ويظهر بوضوح أن الحلول التى تقترح باستمرار تتوخى الصالح الشخصى لبعض أفراد هيئة

التدريس بكلية الطب دون النظر إلى المصلحة العامة .

اقترح

أن تخصص المستشفى الأميرى بأسيوط بحيث تصبح مستشفى جامعى تخضع كلها لادارة الجامعة للأسباب التالية :

(١) أن المستشفى سوف تصل سعتها فى يوليو القادم إلى ٢١٠ سراير وهى حاليا ٢٣٠ سريراً .

(٢) يمكن توفير ٦٠ سريراً فى مستشفى المبرة .

(٣) بذلك يكون المجموع من ٢٩٠ الى ٢٧٠

(٤) يمكن تدبير عدد من السراير أكثر ببعض التعديلات فى إقامة الممرضات بالمستشفى

(٥) احتياجات كلية الطب الحقيقية هى ٤٠٠ سرير للثلاث سنوات القادمة فكونها تعمل بنقص طفيف أفضل من أن لا تعمل إطلاقاً أو الاقتراحات الغير عملية بنقل الطلبة الى القاهرة أو أى مدينة أخرى .

وقف أمام هذا الحل عدم إتخاذ إجراء ثورى . إذ أن وزارة الصحة صممت أن تقوم الجامعة بعداد المستشفى بالموظفين والممرضات .. الخ مع علم وزارة الصحة بأن الجامعة ليس فى قدرتها شغل هذه الوظائف .

وهنا اقترح أن تلحق المستشفى بموظفيها وممرضاتها وأطبائها على الجامعة طوال السنوات الثلاث القادمة ذلك حتى تتوحد الجهة الادارية القائدة إذ أن الكثير من الخلافات بين أطباء الصحة وأطباء الجامعة تسبب ضياع المسئولية والكثير من الإهمال فى العمل بل التنازع بين الأطباء .

وفى الفترة القادمة يتم الآتى :

(١) تبدأ الجامعة فى استكمال اعداد الأفراد اللازمين للعمل بالمستشفى الجامعى تدريجيا .

(٢) يسحب عطاء بناء المستشفى الجامعى من الدكتور سيد كريم ويسلم إلى الجهة المسئولة عن تنفيذ مبانى الجامعة حتى تبدأ فى إجراءات البناء .

(٣) أن يتم بناء المستشفى الجامعى على مراحل وعند إتمام كل مرحلة تجهزها الجامعة وتسحب نفسها تدريجياً من المستشفى العام حتى بعد إنتهاء هذه المراحل نبقى على المستشفى العام ويكون قد تم إنشاء مستشفى الجامعة .

وفى رأيى أن هذا هو الحل الوحيد لمشكلة تدريب الطلبة على أن تعزز كلية الطب فورا وأن يتم هذا الإجراء عاجلاً حتى لا تضيع فرصة التدريب على الطلبة .

د - أن كلية الطب على الرغم من الحالة السيئة التى هى عليها فإنه ليس لها عميد ، فالعميد المعين حاليا هو مشرف معين من المعاش بمكافأة ، وهو لا يمكنه السيطرة على الطلبة وهيئة التدريس بها كما أنه ليس لديه الخبرة بمشاكل كلية الطب . وأرى أن الوضع الحالى كان يستلزم وجود عميد حازم يمكنه تسيير أمور الطلبة وله خبرة واسعة بمشاكل كليات الطب .

وكان معيناً قبل ذلك الدكتور عبد الوهاب البرلسى عميداً لهذه الكلية ولكنه نقل نتيجة لخلافاته مع الدكتور حزين ومازال كرسيه بالكلية شاغرا ، كذلك فإن اقدميته تؤهله لشغل منصب وكيل الجامعة .

اقترح

أن يعين عميدا للكلية الدكتور عبد الوهاب البرلسى خاصة فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الكلية . ويمكن أن يعين مستقبلاً وكيلاً للجامعة على أن يظل مشرفاً على كلية الطب نظراً لخبرته الطويلة فى هذه الكلية بالذات لأنه ملم بجميع مشاكلها .

هـ - مررت على الكثيرين من الطلبة الجامعيين ، ووجدت أن مشاكلهم لا حصر لها وأن هذه المشكلة لا تحل حلاً سريعاً للعجز المادى سواء فى الجامعة أو فى المحافظة عن حل هذه المشاكل . والناحية المادية هى الناحية المؤثرة ، فأغلب الطلبة من آباء فقراء ولو أنهم يرسلون إلى الطلبة ما متوسطه ٧ جنيهات شهرياً . والطلبة قسمان :

(١) القسم الذى يعيش فى المدينة الجامعية ويدفع خمسة جنيهات شهرياً نظير المأكل والإقامة .

(٢) القسم الذى يعيش خارج المدينة الجامعية اى فى مدينة أسيوط وهؤلاء فى حالة سيئة للغاية ، فهم يدفعون مبلغاً يتراوح ما بين جنيهين ونصف وثلاث جنيهات ونصف نظير السكن فقط ويمكن تصور كيف يعيش بباقى المبلغ .

والمصاريف تتلخص فى الأكل وفى الكتب والمذكرات الجامعية وهى لا تكفيه إلا ليعيش على أكل ضعيف للغاية ـ رأيته بنفسى ـ علاوة على ما يتحمله الآباء من مصروفات ترهق أغلب العائلات .

اقترح

(١) أن يعاد النظر فى نظام التنسيق ، فإنه فى نظرى قد خلقت جامعة أسيوط لتخدم الصعيد وإلا فإن معنى إرسال المجاميع المتأخرة إلى أسيوط سوف يجعل منها جامعة متخلفة على مدى الأيام .

(٢) أن السيد الرئيس يشمل برعايته الشباب برجاء قبول الاقتراح بأن يفتح لنا اعتماد يأمر به السيد الرئيس ليشكل منحة السيد الرئيس لمعونة الطلبة الجامعيين تحت إشراف المحافظة وفى رأيى أن هذا يعطى الفرصة لارتباط الشباب الجامعى الذى يعيش فى هذه الضائقة بالثورة والالتحام بها .

٢ ـ مستشفى المبرة بأسيوط "سابقا مبرة محمد على"

تعرضت هذه المستشفى فى الماضى إلى إدارة بعض الرجعيين . وقد تم حل مجلس الادارة السابق ، وبناء على القرار الجمهورى رقم ١٢١٠ لسنة ٦٤ اعيد تشكيل مجلس إدارتها بقرار وزارى رقم ٤٧ لسنة ٦٥ بناء على اقتراح المحافظ .

جاء التشكيل الجديد ببعض التيارات الرجعية وعناصر غير صالحة .

اقترح

ا ـ حل مجلس الادارة الحالى

ب ـ تعيين مفوض له سلطات مجلس الادارة على أن يكون فنياً وذا خبرة

ج ـ يبقى هذا الوضع مؤقتاً لحين اقتراح مجلس ادارة جديد بعد دراسة تفصيلية للموقف للوصول إلى افراد ثوريين .

بيان
بأسماء المصابين نتيجة ضرب الشرطة على مظاهرة حلوان
يوم ٢١ / ٢ / ١٩٦٨

١ ـ المواطن على احمد متولى
٢ ـ المواطن فتحى عباس حلمى
٣ ـ المواطن عبد الغنى محمد محمد
٤ ـ المواطن على محمد عبده
٥ ـ المواطن محمود عبد المقصود
٦ ـ المواطن رضا عبد العزيز السيد
٧ ـ المواطن محمد المعتصم إبراهيم
٨ ـ المواطن محمد رضا محمد — عضو منظمة
٩ ـ المواطن ناصر حامد ابو سعيد — عضو منظمة
١٠ ـ المواطن عبد العزيز إبراهيم
١١ ـ المواطن مصطفى محمد سيد
١٢ ـ المواطن سعيد حسين طه
١٣ ـ المواطن شوقى عبد العزيز — عضو منظمة
١٤ ـ المواطن حسن عبد النعيم عبد الرازق
١٥ ـ المواطن فاروق فرج السيد — عضو منظمة
١٦ ـ المواطن محمد حسن مندور

١٧ ـ المواطن عبد التواب طه
١٨ ـ المواطن لطفى غبريال دربال
١٩ ـ المواطن علا الله محمد أنور
٢٠ ـ المواطن نعيم على السعيد — عضو منظمة
٢١ ـ المواطن هاشم كيلانى الخياط
٢٢ ـ المواطن عبد ابراهيم كامل محمد
٢٣ ـ المواطن حمدى محمد أحمد
جميع المصابين بإستثناء اثنين من مصانع الطائرات رقم ٣٦ و١٣٥ و٣٦٠ بحلوان

تقرير عن وحدة منظمة الشباب بمستشفى حلوان
يوم ٢١ / ٢ / ٦٨

فى تمام الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء ١٩٦٨/٢/٢١ فوجئنا بوصول عدد من المصابين نتيجة للمظاهرة التى حدثت .

تحرك مقرر الوحدة فوراً ومعه أعضاء المنظمة بالوحدة وتم تقسيم الأعضاء إلى الفرق الآتية :

- فرقة لنقل المصابين من عربات الاسعاف إلى قسم الاستقبال .
- فرقة لنقل المصابين من قسم الاستقبال الى غرفة العمليات والأقسام الداخلية .
- فرقة للمساعدة فى الاسعاف داخل قسم الاستقبال وقسم العمليات .
- فرقة لنقل المصابين من قسم الاستقبال والعمليات الى قسم الاشعة .
- فرقة لنقل المصابين من المستشفى العام الى مستشفى العظام .
- فرقة لاعداد الليمون والشاى وتوزيعه على المصابين ومن معهم من الذين نقلوا الى الأقسام الداخلية بالمستشفى واستقروا بأماكنهم .
- فرقة لقيادة الجماهير الآتية من الخارج للاستدلال عن المصابين وإرشادهم إلى أماكن المصابين .
- فرقة مقسمة على العنابر والأقسام لخدمة المصابين بصفة دورية طول مدة وجودهم بالمستشفى .
- تكوين مجموعة للرد على الشائعات المغرضة والرد على ما يروج منها وتهدئة الجماهير وتتولى منظمة الشباب الرعاية بنفسها فى هذه الظروف .

ونأمل من الله التوفيق

مقرر الوحدة
محمد المسلمى

أفاد السيد / صلاح الشرنوبى بأن مقرر الوحدة يقوم بواجبه على أكمل وجه

أولاً : عرض عام للموقف إزاء أحكام الطيران

١) يوم الثلاثاء ١٩٦٨/٢/٢٠ :

بمجرد إذاعة الأحكام إتضح بجلاء استنكار الجماهير لهذه الأحكام وقد قامت سكرتارية لجنة المحافظة بناء على تكليف من اللجنة المركزية بطلب قياس رأى عام حول هذا الموضوع من الاقسام والمراكز على أن يصل فى نفس اليوم .

.. تم تكليف كل المستويات بعمل نوباتجيات مستمرة يقوم بها الأمين أو سكرتير اللجنة .

.. تم تجميع الرأى العام وارسل إلى اللجنة المركزية فى الساعة الثامنة مساء .

٢) الأربعاء ١٩٦٨/٢/٢١ :

- ورد من اللجنة المركزية فى تمام الساعة الثانية صباحا ما يحدد اسلوبا لحركة أعضاء التنظيم فى مستوياته المختلفة وتتلخص فى :

* مشاركة الجماهير وعدم الاصطدام بها
* قيادة كل اشكال التعبير عن مظاهرات ومسيرات
- أبلغت هذه التعليمات الى كافة المستويات
- اتفق هذا اليوم مع موعد الطلاب العالمى وكانت خطة اليوم تستهدف التعبير عن يوم الطلاب العالمى فى الدرس الأول فى كل كلية - ولو أنه صرح من قبل ادارة الجامعة بعقد بعض الكليات مؤتمرات كان ابرزها مؤتمر الحقوق وطب القاهرة وتجارة القاهرة وكانت القضية التى فرضت نفسها هى قضية الأحكام واستهجان المؤتمرين بها.
- كان موعد مؤتمر الهندسة فى الساعة الواحدة والنصف وفى نهاية هذا المؤتمر كانت قد وصلت أنباء مظاهرات حلوان وموقف رجال الأمن منها - مما أدى إلى إلتهاب الموقف فى المؤتمر.
- خرجت مجموعة من كلية الهندسة على هيئة مظاهرة بقيادة أسامة غيث من كلية الاقتصاد ومحمد فريد حسنين ورشيق رفعت من الهندسة وكان عددهم ثلاثون فردا وتوجهوا الى كلية التجارة ثم إلى العلوم وقد تعاطف معهم فى كل كلية عدد من الطلبة ودخلت المجموعة الى مدرج ٧٨ بكلية الآداب وتحول أسلوب التعبير الى مؤتمر - والتهب الموقف فى المؤتمر نتيجة استشهادهم بأقوال فتاة عائدة لتوها من حلوان ورفعت مجموعة من الشعارات المتناقضة داخل المؤتمر أغلبها كان يعنى الاتجاه عن لجنة تنفيذية مثلت فيها كل كلية بطالبين واستهدفت تلك اللجنة مقابلة السيد الرئيس جمال عبد الناصر لإبلاغه بمطالب الكلية لفقدان الثقة فى كل الموصلات بين الطلاب والسيد الرئيس كما تواعد المؤتمرون على لقاء آخر صباح السبت لهدفين ..
الأول .. التأكد من سلامة زملائهم أعضاء اللجنة التنفيذية يوم إعتقالهم ..
والثانى .. عرض لما توصلت إليه اللجنة ونتائج اتصالاتها بالسيد الرئيس.
- انتقلت اللجنة التنفيذية الى لقاء مع السيد وكيل الجامعة حضره السيد طعيمه الجرف أمين مكتب تنفيذى محافظة الجيزة والسيد / ابراهيم محمد توفيق أمين شباب محافظة الجيزة والسيد / عصمت الرخاوى من المباحث العامة ولحق بالاجتماع السيد الدكتور محمد موسى أحمد مدير الجامعة وتم فى هذا اللقاء محاولات عن طريق ادارة الجامعة للاتصال بمكتب السيد الرئيس - كذا جرى اتصال بين الجامعة وبين السيد لبيب شقير وزير التعليم العالى.
وكان الاتجاه بين الطلاب (اللجنة التنفيذية) الى الاعتصام داخل اسوار الجامعة وعدم مغادرتها حتى يتم موعد مع السيد الرئيس.
ولما كان الطلاب لم يتفقوا بعد على فكر موحد لعرضه على السيد الرئيس حيث انهم قد اختلفوا فى صياغة قراراتهم ولما كانت المنظمة قد كلفت أحد أعضائها وهو علاء حمروش مقرر وحدة الآداب للانضمام للمجموعة للسيطرة على ما يصدر منها من مطالب ورغبة فى عدم اعتصامهم فى الجامعة فقد اتفق على انتقالهم الى مقر مكتب تنفيذى الجيزة لاستكمال مناقشاتهم حول مطالبهم. واستمر تواجدهم الى الساعة الثانية من صباح الخميس ١٩٦٨/٢/٢٢.

٣) الخميس ١٩٦٨/٢/٢٢ :
وقد وافق هذا اليوم عطلة عيد الوحدة ..

- تجمع الطلاب فى العاشرة والنصف صباحا بجامعة القاهرة للاتفاق على الصياغة النهائية لمطالبهم والتوجه لمقابلة السيد / سامى شرف سكرتير السيد الرئيس للمعلومات بصحبة السيد الدكتور موسى أحمد مدير الجامعة وفى تمام الساعة الثانية عشر ظهراً. كوعده لهم فى اليوم السابق.
- غيرت ادارة الجامعة موقفها وظهر ان هناك عدة تبريرات للحيلولة دون توجيههم إلى مكتب السيد الرئيس منها.
عدم شرعية العمل الذى يقومون به. وعدم شرعية تمثيلهم لاجمالى الطلاب البالغ عددهم ٥٥ الف طالب.
- جرت اتصالات عن طريق ادارة الجامعة مع مجلس اتحاد طلاب الجامعة تستهدف دعوته لعقد اجتماع طارىء لتوضيح موقف الاتحاد من هذه الحركة وإظهار استنكاره لها.
- حضر السيد الدكتور لبيب شقير وزير التعليم العالى للقاء اللجنة التنفيذية واثار موضوع عدم الشرعية وقضية عدم تمثيلهم للطلاب - ثم قضية الانحرافات التنظيمية فى الأسلوب الذى تم اتخاذه

فى التعبير عن وجهة نظرهم مثل المرور على الطلاب بالكليات المختلفة أثناء الدراسة للتهيج والإثارة وافتعال موقف جماهيرى وفرض أنفسهم عليه .

ثم طرح أسلوب للعمل لابد من اتباعه وهو أن تحال المطالب المتعلقة بكل جهاز من الأجهزة القائمة داخل الجامعة لدراستها ثم تبقى قضية الأحكام ويتم رفعها ببرقية منهم كأفراد إلى الرئيس للنظر فيها .

تبقت فى لقاء السيد الوزير قضية المؤتمر الذى تم الاتفاق على انعقاده يوم السبت وقد حدد السيد الوزير موقفا خاطئا يقضى بعدم عقد أى مؤتمرات يوم السبت فاقترحت عليه اللجنة مجموعة من الاقتراحات منها ..

أن تدعو ادارة الجامعة الاتحاد الاشتراكى أو اتحاد الطلاب أو منظمة الشباب الى عقد هذا المؤتمر بشكل شرعى ويعرض فيه نتيجة ما توصل اليه .. ولكن السيد الوزير رفض هذا الاقتراح .

- انصرف السيد الوزير وكان الموقف ملتهباً داخل اللجنة ومشحوناً بعواطف متعددة على اثر تهديد سيادته الطلاب بأنه ستتخذ ضدهم إجراءات رادعة إذا انعقدت أية مؤتمرات .

- انصرف الطلاب بعد ذلك كل الى منزله .

يوم الجمعة ١٩٦٨/٢/٢٣ :

- اتضح فى هذا اليوم أن هناك إصراراً من جانب الطلاب لعقد المؤتمر فى موعده وجرت بالفعل بعض الاتصالات بين الكليات المختلفة للتمهيد لهذا المؤتمر .

- فى مواجهة هذا الموقف عقد اجتماع بمقر اللجنة المركزية برئاسة السيد الدكتور / عادل عبد الفتاح حضرته بعض قيادات المنظمة ببعض كليات الجامعة بهدف الاستعداد لما هو متوقع يوم السبت - طرحت فكرة أن تبادر المنظمة بعقد مؤتمر تمتص فيه شحنات الطلاب ويتم فيه التعبير عن آرائهم تحت السيطرة الكمية لأعضاء المنظمة وكان القرار أن لابد من إجهاض أية محاولة للتجمع او للتظاهر أو عقد مؤتمر يوم السبت على أن تبادر المنظمة بعقد مؤتمر آخر فى أسرع وقت ممكن .

- وفى نفس اليوم جرت محاولات من السيد الدكتور أسامة الخولى وكيل كلية الهندسة لعدم عقد مؤتمرات يوم السبت أيضا بكلية الهندسة حيث التقى بمحمد فريد ورشيق رفعت واتفق معهم على أن يكون العمل من خلال اتحاد الطلاب بالكلية وليس شرطا أن يكون يوم السبت .

يوم السبت ١٩٦٨/٢/٢٤ :

- حاولت عناصر استغلال اسم المنظمة أكثر من مرة لصبغ الشرعية على تجمعات يدعون لها وبرز هذا الموقف فى دعوة لمؤتمر وهمى فى كلية الحقوق تنظمه المنظمة وقيل أن السيد الدكتور مفيد شهاب وكان موجود بكلية الحقوق وقتئذ قد وافق على عقد هذا المؤتمر وأن عميد الكلية قد وافق ايضا على عقده وقد تحقق السيد الدكتور طعيمة الجرف والسيد إبراهيم توفيق أمين شباب المحافظة أن شيئاً من هذا لم يحدث

إزاء هذا الموقف فقد كلفت سكرتارية لجنة المحافظة كل العاملين للتواجد بالكليات المختلفة لإمكان السيطرة على الموقف وبناء على تعليمات السيد / أحمد كامل أمين الشباب فقد اتفق على أن تكون الأوامر والتعليمات الصادرة من المنظمة لمستوياتها المختلفة مكتوبة .

- ظهرت عناصر من كليات خارج الحرم الجامعى مثل كلية الطب البيطرى وبدأت تدعو لعمل مظاهرة فى الجامعة طالما سوف لا ينعقد المؤتمر .

- حضر الى كلية العلوم العناصر التى كانت متواجدة فى معسكر التدريب العسكرى - وتجمهروا فى بوفيه الكلية مستهدفين القيام بمظاهرات . وقد تم إقناعهم بالذهاب إلى مقر اتحاد الكلية والتقى بهم كل من أمين اتحاد الكلية والسيد رائد الشباب بالكلية والسيد الدكتور اسامة رفعت عضو مكتب تنفيذى المحافظة . وابراهيم توفيق امين الشباب بالمحافظة فى محاولات لاقناعهم بعدم جدوى أسلوب المظاهرات .

- بدأت تحركات فى مدرج السنة الأولى بكلية طب الأسنان تستهدف عقد مؤتمر بالكلية ليمكن الطلاب من التعبير عن آرائهم واتضح وجود بعض العناصر من كلية الطب البشرى بمدرج السنة الأولى بطب الأسنان .

وقد توجه الى الكلية السيد ابراهيم توفيق أمين شباب المحافظة وعقد اجتماع بمكتب السيد عميد الكلية حضره السيد رائد الشباب بالكلية وقيادات هذه الحركة .

تجمع بعض الطلبة فى كلية الحقوق مستهدفين عمل مؤتمر بها ونزل إليهم السيد الدكتور إيهاب إسماعيل مستشار رعاية الشباب فى الجامعة ومنعهم من عقد مؤتمر ثم طرد بعض العناصر من كلية الطب البيطرى

خارج الكلية بأسلوب لم يخل من التعسف .
- نجح مجموعة من الطلبة وهم قلة فى مدرج ٧٨ بكلية الآداب على أمل أن هناك مؤتمراً وبدأوا يتناقشون فى أسباب عدم انعقاده - وكانت اغلبيتهم من كلية الهندسة .

- حاولت قيادات التنظيم إقناع الطلاب بعدم جدوى المظاهرات بناء على تجمع الطلبة أمام الآداب وتحركوا إلى كلية الحقوق وتجمعوا أمامها وبدأت الهتاف - وكانت نواة التحرك لا تتجاوز من ٢٥ - ٣٥ طالبا
- طافت المجموعة بكلية الحقوق وخرجت داخل الحرم الجامعى وهنا إزداد عدد الطلاب بدرجة كبيرة وبدا التحرك خارج الحرم الجامعى وكان خط سير المظاهرة الى كلية الفنون فخلف مديرية أمن الجيزة بجوار سور حديقة الأورمان ثم كوبرى الجامعة فكلية الطب البشرى ثم التحرك فى شارع القصر العينى حتى الوصول إلى مجلس الأمة - وكان عدد المتظاهرين يربو على ١٢ الف طالب .
- كانت معظم الشعارات والهتافات المرفوعة معتدلة غير متطرفة - وكان يقض على المتطرف منهم بمجرد سماعه ومن بين الهتافات .
الحرية الحرية .. نريد حرية الكلمة .. نريد حرية الصحافة .. تسقط دولة المخابرات . تسقط دولة المباحث .. البلد دى بلدنا واللى ماتوا اخوانا .. عاش نضال الطلبة مع العمال .. لا تعريص بعد اليوم .. أنور .. أنور ياسادات فين قانون الحريات .
- توجهت المظاهرة إلى مجلس الأمة بعد مرورها على تجارة عين شمس وتجمعوا فى فناء المجلس ودخل وفد لمقابلة السيد / أنور السادات والقى فيهم كلمته التى عرض فيها المطالب ولخصها فى :
١) استنكار أحكام قضية الطيران
٢) تدخل المباحث بصورة واضحة فى الجامعة
ونتيجة لعدم وجود قيادة للمتظاهرين لم يحسنوا الاستماع ولم تكن لهم مطالب موحدة الأمر الذى دفع رئيس مجلس الأمة إلى اعتذاره عن الاستمرار فى الاستماع إليهم فى نفس الوقت ترددت هتافات .
الى التحرير الى التحرير .. نريد مجلس نيابى سليم
بيقولوا مجلس امه وهم ....
فضلاً عن ترديد بعض الهتافات السابق ايضاحها .
- خرج المتظاهرون وانقسمت المظاهرة جزء الى ميدان التحرير فشارع رمسيس وجزء الى باب اللوق وكلاهما اصطدم المتظاهرون بالبوليس - وفى الوقت الذى كانت تحاول قيادات منظمة الشباب معاونة البوليس على اقناع المتظاهرين بفض المظاهرة بناء على طلب وزارة الداخلية تم القبض على البعض منهم فى حين نجا الآخرون وكانوا معرضين لنفس الموقف .
- والجدير بالذكر أن من العناصر التى هيئت للمظاهرة وقادت بدايتها ..
- درويش الحلوجى العلوم
- مصطفى السـبع مكتب تنفيذى خريج حقوق
- شـعبان الحقوق
فضلا عن بعض العناصر من كلية الهندسة وكلية الطب البيطرى التى تحركت ولم يتمكن من معرفة أسمائها .

يوم الأحد ١٩٦٨/٢/٢٥ :
١) فى صباح الأحد الساعة الثانية تم القبض على بعض الطلاب منهم رشيق رفعت ، محمد فريد "الهندسة" ، اسامة غيث "الاقتصاد" وافراد آخرون .
١) احتشدت قوات الأمن امام الجامعة بتشكيلاتها المختلفة وتجمع الطلاب خارج الجامعة مطالبين بعودة زملائهم الذين تم إلقاء القبض عليهم كل ذلك بجوار النصب التذكارى لشهداء الجامعة .
٣) بدأت قوات الأمن تتحرك وتقدم خط الدفاع الثانى (ذو البدل الصفراء) فى المواجهة وبدأ يأخذ موقفاً متقدماً - الأمر الذى أثار الطلاب فبدأوا يقطعون افرع الأشجار لحماية انفسهم وبدأ تبادل رمى الطوب وبدأت موجات من المد والجذر .
٤) تحركت كلية الفنون التطبيقية الى الجامعة بقصد مواجهة عنيفة من قوات البوليس .
٥) بدأ البوليس يستخدم العصى وقنابل الدخان والقنابل المسيلة للدموع وقذفت عدة قنابل داخل الحرم الجامعى بغزارة .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

٦) انحصر تحرك الطلاب فى مواجهة ذلك بالشكل الآتى :
- صعد بعض الطلاب فوق أسطح الكليات وقاموا بقذف الحجارة على قوات الأمن .
- قام بعض الطلاب بإعادة قذف القنابل خارج الحرم الجامعى على قوات الأمن . فى حين قام آخرون بوضع شكائر الرمل على بعض القنابل لإفساد مفعولها .
- زاد الهجوم وزادت عدد القنابل وزاد عدد الجرحى من الطلاب - هجم الطلاب على إدارة الجامعة وصعد فريق منهم الى مكتب مدير الجامعة مستنكرين ما يحدث وناشدوه بالاتصال لوقف ذلك .
- رددت هتافات .. البوليس عدو الشعب

يا شعراوى ياجبان عملت ايه فى عمال حلوان

عبد الناصر إحنا معاك وإن نسيتنا راح ننساك

- فى نفس الوقت كان طلاب الهندسة معتصمين بداخلها من قبل بداية الاشتباكات وعلى إثر سماع صوت القنابل تجمعوا فى الكلية من الداخل وقامت قوات البوليس بقذف فناء الكلية بالقنابل المسيلة للدموع الأمر الذى دفع الطلاب إلى قذفهم بالحجارة والهجوم عليهم - وأخذ الأمر يشكل موجات من المد والجذر واعترض اساتذة الكلية وطلابها على الوضع .
- فى نفس اللحظات كان أمين المكتب التنفيذى يتواجد بكلية الهندسة ..عد مالاتد " بالسيد على صبرى ليناشده بعدول البوليس عن موقفه .
- واثر الاشتباكات والقذف بالحجارة تم تكسير زجاج كلية الفنون التطبيقية وتجريح وتكسير بعض العربات الموجودة بما فيها عربة اسعاف تابعة لمستشفى الجامعة والاستيلاء على عربة مطافى وادخالها فى كلية الهندسة .
- حوالى الساعة الواحدة والنصف ظهراً تجمع البوليس وخرج الطلاب فى مظاهراتهم متوجهين إلى كوبرى الجامعة .
- ترك البوليس الفرصة للطلاب للتقدم وحاصرهم من جميع الاتجاهات وعبر موجات من المد والجذر من قوات البوليس سقط مجموعة من الفرسان جرحى .. واستمرت المعركة دائرة لفترة من الوقت حتى تمكنت الشرطة من السيطرة على الموقف .

يوما الاثنين والثلاثاء ٢٦ ، ١٩٦٨/٢/٢٧ :

قامت مجموعات من الطلبة بمدرسة السعيدية الثانوية ومدرسة الجيزة الثانوية وأبو الهول الاعدادية والهرام التجارية والتجارة الثانوية ومدرسة امبابة الثانوية بالتظاهر استنكارا للموقف وتأييدا لطلبة الجامعة .

ولكن الشرطة تمكنت فى كل موقع من السيطرة عليه .

ثانياً : تحليل الأحداث

١) فيما يتعلق بصدور الأحكام :

من الواضح أن هذه الأحكام لا تتناسب بأى شكل من الأشكال مع ضخامة النكسة التى ادى إليها عدم قيام المسئولين عن الطيران بأعباء مسئولياتهم بشرف وجدية .. وهذا أدى بدوره إلى استنكار الأحكام منذ اللحظة الأولى لسماعها .. وأخذ الاستنكار أشكالاً متعددة بين الجماهير .. بين مذهول من وقع المفاجأة .. ويائس من الأمل فى إمكانية التغيير فى المجتمع وإزالة النكسة .. وتوقع لاستمرار المجاملة والتهاون حتى فى مصير أمة بأسرها .. وغاضب من العبث الذى تسبب فى نكسة نعانى منها وسوف يؤدى إلى ضربة قاصمة تؤدى بالبقية الباقية من كيان هذه الأمة .

وهذا الاستنكار - المشوب بالخوف من المستقبل .. وانعدام الثقة فى كل أمل .. يأخذ شكل الغليان الذى لا يهدأ .. حتى أن المرء لم يكن ليستطيع حتى أن يسكت أو يفكر .. وما زاد من خطورة ذلك ..
- الحملة الصحفية التى سبقت اعلان الأحكام فى نفس اليوم مما هيأ الأذهان إلى ترقب موقف حاسم مع المسئولين عن النكسة .
- مرور الوقت بعد صدور الأحكام دون وضوح حقيقتها وحيثياتها .
- صدور [illegible]ام بهذه التفاهة وإذاعتها قبل التصديق عليها .
- صدور الأحكام فى وقت تظهر فيه لأول مرة حقائق مثيرة عن أوضاع مراكز القوى ومظاهر الفساد

الخلقى بين افراد كانوا يتحكمون فى مصير شعب بأسره .
ـ الوقت الذى كانت فيه المحاكمة سرية ـ مما أدى إلى تساؤلات مثيرة وغريبة بل وداعية لليأس القاتل ..
ـ التفسير الوحيد الذى تطوعت إحدى الصحف بإبرازه كان منصبا على القانون الذى لا تعرفه الجماهير .. ولا ترضى بحكمه إذا كانت هذه أحكامه .
ـ الانتظار الطويل بصبر فارغ لمسئول يتولى التفسير .. أو صحيفة تتولى التحقيق أو مجلس امة يناقش بوضوح .. أو تنظيم سياسى يملك الحقيقة .

٢) فيما يتعلق بالمظاهرات وأساليب التعبير عن الاستنكار :

ولقد كان لكل العوامل السابقة الأثر الفعال فى تفجير الجماهير للكثير من القضايا الخطيرة التى تعيش فى آلام معاناتها .. التغيير .. العدالة .. الحسم .. الجدية .. الحقيقة .. الأمان .. مراكز القوى .. واتخذ تفجير هذه القضايا اشكالاً متعددة .. بدأت من مجرد الهمس والحديث والنقاش بين مجموعات صغيرة .. حتى أن وصلت إلى صخب المظاهرات وأصوات الحناجر والقنابل .

ولقد كان كل ذلك محتملاً لدى كل مواطن هزته ازمة الأحكام .. وكان متوقعا أيضا أن تقابل هذه الأساليب من جانب رجال الأمن ورجال التنظيم السياسى بما يوفر لها الفاعلية وقوى التأثير وما يضمن لها أن تسير فى الطريق الصحيح دون إنحراف أو ..... وما يتيح لأشكال الديمقراطية من أن ترسخ قواعدها الطيبة لدى الجماهير .. وبالرغم من أن أسلوب المظاهرات يعتبر من أقل وسائل التعبير ضمانا .. إلا أنه بجهود مخلصة وواعية كان يمكن أن ينجح .. إلا أن الرعب الذى سيطر على رجال الأمن ومبادرتهم السريعة فى ضرب أول مظاهرة تقوم فى حلوان .. إنحرف بالمظاهرات عن الخط الذى كان يمكن أن تسير فيه .. إلى جانب غياب دور التنظيم السياسى وجناحه الشبابى فى تنظيم المظاهرة .. بل أن سوء فهم شرطة حلوان لحق الشعب فى أن يختار الأسلوب الذى يعبر به عن رأيه فى قضية اعتبرها خطيرة .. كان يمكن أن يؤدى إلى عواقب وخيمة .. ربما تزيد آثارها النكسة نفسها .. والذى يدعو الى التأمل ثم الحسم مستقبلاً .. هو ذلك الاتهام الخطير لأسلوب المظاهرات كتعبير عن رأى الجماهير فى شكله كهذه .. وتصوير ذلك بأنه اندساس جماعة من المغرضين .. أو تدخل عناصر سيئة .. وحتى إن كان ذلك صحيحاً فإن ذلك لا ينفى أن كل المظاهرات خرجت معبرة عن رأى حر برىء من أى أغراض .. وأن الجماهير التى خرجت مع كل مظاهرة كانت صادقة فى تعبيرها واعية بظروف امتها .. مدركة لابعاد النكسة التى نعيشها .. حتى بدأ التدخل لفضها .. ثم القرار بمنعها .. ثم الاستفزاز برؤية الاستعدادات لردعها والذى سبقه القيام بسوء فهم لطبيعة الموقف بالقبض على بعض الطلبة من الجامعات ممن سبق أن أعلنوا اعتصامهم لحين استجابة طلباتهم .. كل ذلك مما اخرج المظاهرات عن الشكل الذى كان يمكن لها أن تدعم فيه أسس الديمقراطية مستقبلاً ومن الغريب أنه بعد مظاهرات حلوان كان واضحاً أن هناك مظاهرات وأشكال للتعبير عن الرأى تفرض نفسها يوم السبت .. أول يوم عمل بعد أجازة يومين .

ومن الغريب أيضا أن قيادات كثيرة نبهت بذلك .. وطلبت أن يكون للتنظيم السياسى دور فعال فى الاستحواذ على هذه الأشكال حتى لا تنحرف وكان الرد الذى تسبب فيما حدث أنه غير مسموح على الاطلاق بأى مظاهرات أو مؤتمرات فى الجامعة .

وبالرغم من تعليمات السيد رئيس الجمهورية التى صدرت يوم السبت والتى جاءت ببيان السيد وزير الداخلية أمام مجلس الأمة فإن الطلبة الذين سبق أن امنهم السيد رئيس مجلس الأمة عند لقائه بهم يوم السبت قد تم القبض عليهم فى نفس اليوم ليلاً فى منازلهم مما أدى إلى تفاقم الموقف صباح الأحد علاوة على القرار بمنع المظاهرات تماما واستكمالا لجوانب البحث فى هذا الجانب ينبغى الاشارة الى أن الصدام بين رجال الأمن والطلبة عمقه دخول بعض العناصر التى وجدت فى ذلك الصدام فرصة عمرها مما خلق حالة من الجزع والالم المشوب بالخوف والفزع .

٣) إن المتتبع لموقف رجال الأمن خلال تطورات الأحداث يخرج بحقيقة واضحة لايمكن إنكارها أن موقف رجال الأمن كان عاملاً رئيسيا الى جانب عوامل اخرى فى تصعيد الأحداث الى درجة الخطورة التى وصلت اليها وتتضح صورة هذه الحقيقة فى المواقف التالية :

١) الفهم الخاطىء للمظاهرات كأسلوب للتعبير عن رأى الشعب ولطبيعة الظروف التى أحاطت بالمظاهرات مما أدى الى اتخاذ مبادرة خاطئة أول بادرة منها فى حلوان ـ فبدلا من أن يكون دور رجال الأمن حماية

حق الشعب فى إبداء رأيه فى قضية الأحكام كانت المواجهة المدوية لعمال حلوان بالصورة التى ظهر بها رجال الأمن أمام الجماهير وكأنهم يريدون إخماد أى حق لهم فى إبداء وجهة نظرهم بل وفرض السكوت عليهم ولو بالقوة المسلحة مما كان له اكبر الاثار فى اندلاع مظاهرة الطلبة فى جامعة القاهرة فى نفس اليوم .

٢) ظهور رجال الأمن المدنيين بأعداد ضخمة وبكميات كبيرة بجامعة القاهرة فى يوم الأربعاء ٦٨/٢/٢١ بعد اعتصام الطلبة الذين اطلقوا على أنفسهم اللجنة التنفيذية العليا لطلاب جامعة القاهرة .

٣) التصوير الخاطىء لحقيقة المتظاهرين ومشاعرهم وعدم التفريق بين إبداء الرأى عن طريق المظاهرة وانتهاز فرصة المظاهرة للافساد وتجلى ذلك بوضوح فى مواقف مختلفة لرجال الأمن تجاه المتظاهرين يومى السبت والأحد ٢٤ ، ٦٨/٢/٢٥ من القبض على الكثير من الطلبة أثناء المظاهرات وبعدها واحتجازهم لأكثر من ليلة فى أقسام البوليس ومعتقل القلعة وكثير منهم لم يشترك فى المظاهرة كما يظهر ذلك بصورة جلية فى قرار السيد وزير الداخلية بمنع المظاهرات مساء يوم السبت ٦٨/٢/٢٤ مع التحذير بالمواجهة الحاسمة لأى شكل من أشكال المظاهرة فى الوقت الذى لم تتبع فيه أى إجراءات تخفف من حدة الموقف بل على العكس قام رجال الأمن بالقبض على الطلبة الذين استقبلهم السيد رئيس مجلس الأمة فى نفس الليلة وبعد صدور القرار مما أدى إلى موقف تحدى خطير صباح الأحد بين طلبة الجامعة ورجال الأمن ـ كما كان له أثر مع احترام المواطنين لمجلس الأمة ومدى أمانهم فيه .

٤) إلقاء التهم جزافا بشكل صارخ على كل من يلقى القبض عليه .. والأمثلة كثيرة مما أشاع فى النفوس أن هناك دولة جديدة تحكم بالقوة (دولة المباحث)

٥) الأسلوب البدائى فى منع المظاهرات .. بالارهاب باعداد كبيرة من رجال البوليس بزيهم العسكرى أمام الجامعة وبشكل يوحى بالاستفزاز خاصة يوم الأحد ٦٨/٢/٢٥

٦) الأمر الذى يحتاج إلى الاهتمام المتزايد هو ذلك الادعاء الخطير بالاتفاق مع التنظيم السياسى والشبابى بعقد مؤتمرات داخلية مع العلم أنه فى الوقت الذى سمح السيد الرئيس فيه للأمن بعدم التعرض للمظاهرات يوم السبت كانت تعليمات التنظيم السياسى حتى لا مؤتمرات .

٧) ويجدر الاشارة هنا الى أنه هناك محاولات مستمرة من جانب الأمن لدفع الحركة بالتآمر وانها كانت مدبرة مسبقاً .

وسكرتارية لجنة المحافظة من خلال معايشتها المستمرة للأحداث تؤكد وتتحمل مسئولية هذا التأكيد أن المظاهرات كانت تلقائية وكانت تعبير لما يدور فى نفوس الطلبة وإحساسهم بما يدور حولهم فى المجتمع ـ وكان هذا اسلوبا من أساليب التعبير كرد فعل طبيعى لقرار السيد وزير التعليم العالى وتوجيهات التنظيم السياسى بمنع عقد اية مؤتمرات يوم السبت وأن تصعيد الموقف كانت استجابات طبيعية لاستفزازات رجال الشرطة . وعند هذا بدات العناصر المندسة تنتهز الموقف أى أن المظاهرات لم تكن من تدبير الرجعية ولكن ما حدث فيها من انحرافات كانت من انتهاز الرجعية .

٤) فيما يتعلق بدور التنظيم السياسى :

ولقد كان لموقف التنظيم السياسى أثر ايضا فيما وصلت اليه الأحداث .. فلم يكن التنظيم عند مستوى المسئولية التى تجعله طليعة للجماهير تنظم حركتها وتعبر عن مشاعرها .. بل وقف التنظيم كعادته ينتظر التعليمات . ولقد ظهر واضحا أن التنظيم لم يكن متخلفا عن الجماهير .. بل انه بأفراده كانوا يشاركون الجماهير انفعالها .. ولكن بدون الحركة كتنظيم يمكن أن ينظم ويحمى ولقد تجلى ذلك واضحا فيما يلى ..

١) عدم تنسيق العمل بين التنظيم السياسى ورجال الأمن

٢) التضارب فى التعليمات بشكل صارخ .. بين قيادة أشكال التعبير .. ثم عدم المشاركة وتحويل اية مظاهرة الى مؤتمر .. مما أدى إلى إحتراق الكثير من القيادات فى المستويات التنظيمية وظهورها مؤسفة أمام قواعدها .. وحتى حينما ارادت بعض القيادات أن يكون لها دور يحافظ على كيانها وكيان التنظيم ويشارك فى أحداث الوطن كانت التعليمات بلا .. ولا .. دون البحث عن بديل لهما .

٣) لقد أدى حرص قيادة التنظيم السياسى والشبابى على سمعة التنظيم من تقولات القوى المضادة الى حرمان التنظيم من دور طبيعى أن يقوم به كسبا لثقة الجماهير وقياسا لقدرات أعضاء التنظيم .. وتدعيما لخبراتها واكتشافا لقيادات جديدة .

التقرير الختامى
للجنة التحقيق فى أحداث فبراير سنة ١٩٦٨

أولا - تشكيل اللجنة - أعمالها - مصادر المعلومات :

بناء على التكليف الصادر من السيد أمين الشباب بتشكيل لجنة من كل من السادة :

- العميد / جمال هدايت
- السيد / سعيد حشمت
- الدكتور / عادل عبد الفتاح

لتقصى الحقائق فيما أثير حول موقف منظمة الشباب من أحداث المظاهرات التى حدثت فى أواخر شهر فبراير ١٩٦٨ ، وما نسب إلى بعض أعضائها من أحاديث حول مفهوم النضال وموقف المنظمة من السلطة .. قامت اللجنة بإجراء الآتى :

١ - بدأت اللجنة أعمالها فى يوم ١٩٦٨/٢/١٣ وعقدت عدد خمسة عشر إجتماعا ناقشت خلالها ٢٥ عضوا من أعضاء المنظمة وقياداتها .

٢ - كذلك قامت اللجنة بمقابلة السيد /محمود أمين العالم رئيس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم والسيد / موسى صبرى رئيس التحرير للاسترشاد برأيهما فيما أثير حول موضوع السلطة ومفهوم النضال أثناء الاجتماع الذى عقد بدار أخبار اليوم لأعضاء المنظمة ..

وقامت اللجنة أيضا بمقابلة السيد مدير عام مصنع ٣٦ للطائرات بحلوان بشأن موضوع مظاهرات حلوان .. كما قامت اللجنة بمناقشة السيد /عبد الحميد صالح بسام ناظر مدرسة التجارة الثانوية ببنى سويف فيما ذكره عن تصرفات قيادات المنظمة ببنى سويف يوم ٢١ فبراير ١٩٦٨ .

٣ - وقد اطلعت اللجنة على المذكرات والتقارير والبيانات الآتية :

- تقرير ادارة المباحث العامة بتاريخ ١٩٦٨/٢/٨ .. بشأن تصرفات بعض أعضاء منظمة الشباب أثناء المظاهرات وبعدها .
- تقرير لجنة منظمة الشباب بمنطقة حلوان بشأن مظاهرات العمال يوم ١٩٦٨/٢/٢١ المقدم الى السيد / أمين الشباب .
- تقرير لجنة منظمة الشباب بمنطقة حلوان بشأن مظاهرات العمال يوم ١٩٦٨/٢/٢١ المقدم الى مجلس الأمة .
- التوجيهات والاشارات والبيانات الصادرة من مكتب أمانة الشباب ومن سكرتارية التنظيم باللجنة المركزية لمنظمة الشباب فى المدة من ١٩٦٨/٢/١٢ حتى يوم ١٩٦٨/٣/١٢ .
- محضر اجتماع امناء لجان المنظمة بالمحافظات وأعضاء لجنتى القاهرة والجيزة وقيادات المنظمة بالجامعات برئاسة السيد أمين الشباب يوم ١٩٦٨/٢/٢٩ .
- محضر اجتماع لجنة المنظمة بمنطقة شرق القاهرة مع لجان الأقسام بتاريخ ١٩٦٨/٣/٢ .
- مذكرة ادارة المباحث العامة بشأن مظاهرات الطلبة .
- المعلومات الشفوية التى ابلغت إلى السيد أمين الشباب شخصياً وتتضمن ما يلى :

(١) معلومات وصلت للسيد الأمين العام للاتحاد الأشتراكى العربى تفيد بأن منظمة الشباب هى

التى دبرت المظاهرات ، وبأن المنظمة تنادى بالنضال ضد السلطة فى اجتماعاتها التى عقدت فى مناطق شرق وغرب ووسط وجنوب القاهرة .

(٢) معلومات وصلت إلى السيد وزير الداخلية تفيد بأن منظمة الشباب بمحافظة بورسعيد وزعت نشرة مطبوعة تطلب منها رأى القواعد فى أسلوب التغيير .. وأن أحد قادة المنظمة بلجنة الجيزة نزل إلى مدينة العياط وقال أن هناك تعليمات من المنظمة بمهاجمة أعضاء مجلس الأمة .

(٣) معلومات وصلت للسيد أمين هريدى وزير الدولة تفيد بأن السيد أمين الشباب توجه إلى مصنع ٩٩ يوم السبت ٦٨/٢/٢٤ وطالب العمال بالقيام بمظاهرات .

(٤) معلومات من سكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن أحد قادة المنظمة بمنطقة شبرا الخيمة قام بتوزيع اشارة مكتوبة بأمضاء السيد أحمد كامل أمين الشباب تطالب أعضاء المنظمة فى بعض الوحدات بتنظيم المظاهرات .

(٥) معلومات وصلت لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن علاء الدين عبد الفتاح على البنا سكرتير لجنة المنظمة بجامعة القاهرة تعرض بالنقد لشخص السيد الرئيس جمال عبد الناصر أثناء حديثه مع بعض أصدقائه بمدينة المنصورة خلال عطلة عيد الأضحى المبارك .

ـ المذكرة المقدمة من السيد ممدوح محمد حسين مقرر وحدة المنظمة بكلية الطب البيطرى بجامعة القاهرة بشأن تصرفات اثنين من ضباط المباحث العامة مع أحد طلبة الكلية .

ـ مذكرة المباحث العامة المرفقة بكتاب سكرتارية السيد الرئيس للمعلومات بشأن موقف بعض أعضاء المنظمة فى بنى سويف .. مرسلة بخطاب من مكتب السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى .

هذا وقد اطلعت اللجنة على التقرير المعد بواسطة كل من السيدين الدكتور محمود شريف وعبد الغفار شكر والخاص بتقصى الحقائق حول الدور الايجابى للمنظمة فى هذه الفترة .

وعلى ضوء نتائج التحقيقات التى قامت بها اللجنة فى الوقائع المحددة التى وردت من مصادر المعلومات المشار إليها عاليه وما احتواه تقرير ايجابيات المنظمة أعدت اللجنة التقرير الختامى التالى متضمنا رأيها فى موقف المنظمة من هذه الأحداث .

ثانيا : رأى اللجنة بالنسبة للوقائع المتعلقة بالمظاهرات :

١ ـ بالنسبة لمظاهرات العمال فى حلوان :

بالرغم من بعض الملاحظات التى سنشير اليها فيما بعد .. تستبعد اللجنة أن تكون مظاهرة عمال مصنع ٣٦ للطائرات تم تدبيرها وتحريكها أساسا بواسطة قيادات المنظمة وذلك للأسباب الآتية :

أ ـ كانت تقاير اتجاهات الرأى العام التى تجمعت لسكرتارية اللجنة المركزية للمنظمة مساء يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير ١٩٦٨ تشير إلى وجود رد فعل عنيف لدى الجماهير إزاء أحكام الطيران التى صدرت فى ذلك اليوم .. وكانت هذه التقارير تشير إلى إحتمالات قوية لتحرك الجماهير للتعبير عن استنكارهم للأحكام وكانت التوقعات تشير بشكل أساسى إلى مصنع الطائرات فى حلوان بالذات نظراً لصلتها المباشرة بموضوع الأحكام .. ويعزز هذا الرأى أن أحد أعضاء المنظمة ويدعى سيد عبد المطلب قام فى تمام الساعة ٤ر٣٠ من بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٩٦٨/٢/٢٠ بإبلاغ لجنة المنظمة بمحافظة القاهرة بأنه سمع عمال مصنع ٣٦ للطائرات يتحدثون فى مترو حلوان أثناء عودتهم إلى منازلهم بما يفيد عزمهم على الخروج فى مظاهرة فى اليوم التالى والتوجه إلى منزل السيد الرئيس إحتجاجا على أحكام الطيران .. وهذا يؤكد أن النية كانت مبيتة منذ يوم الثلاثاء على الإضراب .. كما أشارت تقارير الرأى العام فى ذلك اليوم .

ب ـ ان السبب الواضح لاتهام قيادات المنظمة بتدبير هذه المظاهرة يرجع الى قيام مقرر وحدة المنظمة بالمصنع بقيادة المظاهرة مما دفع مدير المصنع وغيره من الأشخاص الى القول بأن المظاهرة من تدبير وتحريك قيادات المنظمة وهو اتهام سطحى سرعان ما انتشر وعم فى ذلك اليوم والأيام التالية والحقيقة التى توصلت اليها اللجنة أن مقرر المنظمة قام بهذا الدور القيادى للمظاهرة بعد تأكده من تصميم العمال على المظاهرة وإحساسه بالعجز عن إيقاف هذا التصميم ثم رغبته فى تجنب احتمالات التخريب داخل الورش بعد أن بدأ العمال يضربون بأيديهم على الآلات والعدد وهم فى حالة انفعال واضح .. وقد حدث ذلك كله قبل أن يصل مدير المصنع الذى وصل بعد أن خرج العمال من الورشة فعلا وتحركوا فى طريقهم إلى باب المصنع حيث حاول

مدير المصنع منعهم من الخروج باستخدام جنود الحراسة المسلحين مما زاد في استثارة العمال وإصرارهم على الخروج وهم يرددون هتافات عدائية مباشرة ضد مدير المصنع .

وترى اللجنة .. أن مقرر وحدة منظمة الشباب بمصنع ٣٦ للطائرات بحلوان قد تصرف وفقا للتعليمات الصادرة له بعد أن تأكد من إصرار العمال على الخروج وأنه فى ذلك الوقت نجح فى تفادى أصطدام جنود الحراسة المسلحين بالعمال داخل المصنع وتفادى اصطدام العمال بمدير المصنع وفى تفادى احتمالات تخريب اجهزة وآلات الورش .. كذلك نجح بالتعاون مع زملائه من أعضاء المنظمة فى ضمان سلامة المظاهرة وفى عدم انحرافها الى أهداف تخريبية خارج المصنع أو تبنى شعارات عدائية .. كما أن محاولة توجيه المظاهرة الى مقر المكتب التنفيذى بحلوان كانت تعنى مضمونا سياسيا يؤكد ارتباط العمال بالتنظيم السياسى وثقتهم فيه .

وترى اللجنة .. انه كان من الممكن أن تتم هذه المظاهرة بسلام باعتبارها مظهرا منظما للتعبير عن رأى العمال لولا تدخل رجال الشرطة واعتداءهم على المتظاهرين دون مبرر واضح .

وفى هذا المجال ترى اللجنة أهمية الاشارة الى جهود قيادات المنظمة وأعضائها الموفقة فى تحويل انفعالات الجماهير الساخطة فى كثير من المواقع الهامة وتنظيمها على شكل مؤتمرات داخلية كوسيلة بديلة للمظاهرات فى التعبير عن رأى الجماهير .. وقد حدث ذلك يوم ٢١ فبراير فى كل من الوحدات الآتية : مصنع المطروقات بحلوان - شركة حرير حلوان - مصنع ٦٣ الحربى - مصنع ٥٤ الحربى بالمعادى - مدرسة المعادى - وزارة العمل - هيئة التأمينات الاجتماعية - هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية - الهيئة العامة للسكك الحديدية - شركة المحاريث والهندسة - مجمع ميدان التحرير - محلات جاتينيو - البنك المركزى - بنك مصر - بنك القاهرة - البنك الأهلى - مدرسة شبرا الثانوية - ما قام به شباب منطقة شرق القاهرة بالنسبة لمظاهرات الوايلى .

٢ - بالنسبة لمظاهرات طلبة الجامعة :

ترى اللجنة .. أن هناك عدة عوامل رئيسية أدت إلى تفجير الموقف فى الجامعات وإلى عدم إمكان السيطرة على مظاهرات الطلبة أو توجيهها وجهة سليمة فى الوقت المناسب .. وهذه العوامل الرئيسية هى :

أ - ما نتج عن ترديد للشائعات والأخبار التى تضخم من نتائج الأصطدام فى حلوان بين الشرطة والعمال ويدعى بوجود عدد من القتلى بين العمال .. ويعزز هذا الرأى أن طلبة كليات الطب والحقوق والتجارة بجامعة القاهرة كانوا قد عقدوا مؤتمرات للاحتفال بيوم الطلاب العالمى صباح يوم ١٩٦٨/٢/٢١ .. وتطرقت الكلمات فى هذه المؤتمرات الى أحكام الطيران وانتهت هذه المؤتمرات بإصدار التوصيات وإرسال البرقيات دون أن تتحول إلى مظاهرات .. ولم يتفجر الموقف إلا أثناء انعقاد مؤتمر كلية الهندسة فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر نتيجة لوصول أخبار مظاهرات حلوان التى كانت هى المفجر المباشر للموقف .

ب - الظروف الموضوعية الخاصة بكلية الهندسة بجامعة القاهرة والتى تتلخص فيما يلى :

(١) عقب اكتشاف التنظيم الخاص داخل منظمة الشباب فى أكتوبر سنة ١٩٦٦ قبض على عدد من أعضاء المنظمة من كليات الهندسة وفصلوا من المنظمة مما أدى إلى وجود تيار مضاد لمنظمة الشباب بين عدد من طلبة الكلية ومن بينهم الطالب محمد فريد حسنين أحد زعماء المظاهرات الأخيرة فى الجامعة .

(٢) فى يوليو الماضى حدثت أزمة حادة فى وحدة منظمة الشباب بكلية الهندسة أدت إلى صدور قرار تجميد اللجنة القيادية بالكلية .

ومن المعروف أن الشرارة الأولى للمظاهرات بدات من كلية الهندسة بجامعة القاهرة .

ج - ضعف منظمة الشباب عموما داخل الجامعات وعدم فاعليتها بين جماهير الطلاب .. بالاضافة الى تعدد وتضارب التنظيمات السياسية والطلابية بالجامعات .. مما أتاح فرصة واسعة لتحرك العناصر المضادة بين الطلاب مستخدمة كل عوامل الإثارة ومستندة إلى المناخ النفسى السىء السائد بين الطلاب فى هذا اليوم .. ويعزز هذا الاتجاه هجوم المتحدثين فى المؤتمرات التى عقدت فى الجامعة على منظمة الشباب والاتحاد الاشتراكى العربى .

د - وجود تراكمات نفسية سيئة لدى الطلاب نتيجة لشعورهم بعدم الثقة فى معظم القيادات السياسية والادارية داخل الجامعة ونتيجة لتصرفات حرس الجامعة معهم .. وقد اكد هذا الاتجاه عجز

القيادات السياسية والاساتذة ومدير الجامعة عن السيطرة على حركة الطلاب أو إقناعهم بالمناقشة الجادة بالعدول عن التظاهر كما يؤكد إصرار الطلبة على تشكيل لجنة تنفيذية خاصة لصياغة مطالبهم ورفعها للسيد الرئيس مباشرة متجاهلين فى ذلك كل التنظيمات والقيادات القائمة فى الجامعة وخارجها .

هـ ـ ما أثير عن إصرار السيد وزير التعليم العالى على عدم السماح للطلبة بعقد مؤتمر صباح يوم السبت الموافق ١٩٦٨/٢/٢٤ .. وذلك أثناء الاجتماع الصاخب الذى عقده مع أعضاء اللجنة التنفيذية للطلبة التى شكلت مساء يوم الأربعاء الموافق ١٩٦٨/٢/٢١ على أساس أنها ستنظم هذا المؤتمر لمناقشة البيان الذى أعدته لرفعه للسيد الرئيس .

وإزاء هذه الظروف .. ترى اللجنة .. أن أعضاء منظمة الشباب بالجامعات لم يكونوا فى موقف يسمح لهم بتوجيه حركة الطلاب والسيطرة عليها .

وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت قيادة المنظمة وبعض أعضائها من القيام بدور ملموس فى محاولة السيطرة على الموقف طوال أيام المظاهرات تسجلها اللجنة فيما يلى :

(١) صدرت تعليمات قيادة المنظمة إلى بعض أعضائها من طلبة جامعة القاهرة بالاشتراك فى عضوية اللجنة التنفيذية التى شكلها مؤتمر الطلبة فى كلية الآداب بعد ظهر يوم ١٩٦٨/٢/٢١ وذلك بهدف محاولة السيطرة على التوصيات التى ستضعها اللجنة .. ولما ظهر اتجاه بين أعضاء اللجنة للاعتصام بالجامعة فى أعقاب اجتماعهم بمدير الجامعة استطاع مسئول الشباب اقناعهم بالعدول عن الاعتصام والتوجه الى مقر مكتب تنفيذى الجيزة لاستكمال اعداد بيان اللجنة .

(٢) تمكن بعض أعضاء المنظمة من السيطرة على محاولات التظاهر فى كليتى الحقوق والعلوم بجامعة عين شمس صباح يوم ١٩٦٨/٢/٢١ مما حال دون حدوثها .

(٣) خلال يومى ٢/٢٢ ، ٢/٢٣ وهما يوما عطلة بذلت قيادة المنظمة جهودا كبيرة لمحاولة تصفية اللجنة التنفيذية التى شكلت بجامعة القاهرة .. وتم الاتصال بالسيد عميد كلية الهندسة لعقد اجتماع مع طلبة الكلية من أعضاء اللجنة والاتفاق معهم على نقل نشاط الطلاب الى إطار الأمور الخاصة بالكلية وعلى أن يكون اتحاد الطلاب هو الهيئة الشرعية التى تتولى ذلك .. كذلك تمت عدة اتصالات واجتماعات مع عدد من العناصر النشيطة بالجامعات بغرض محاولة السيطرة على توقعات الموقف المنتظرة صباح السبت ١٩٦٨/٢/٢٤ .

(٤) صدرت تعليمات واضحة من قيادة المنظمة الى أعضائها بالجامعة لتصفية أى تجمع يحدث يوم السبت ١٩٦٨/٢/٢٤ .

(٥) فى مواجهة التحركات التى بدأت فى كلية الهندسة بجامعة عين شمس يوم ١٩٦٨/٢/٢٤ للقيام بمظاهرة .. قرر عدد من أعضاء المنظمة عمل مؤتمر قاده عميد الكلية وأمين المكتب التنفيذى ورائد الشباب وأمين اتحاد الطلاب ومقرر المنظمة ورغم ذلك استطاعت بعض العناصر اليمينية التى كانت منظمة طوال العام تحت اسم "الجماعة الدينية" السيطرة على المؤتمر والهاب الحماس بإثارة نبأ اعتقال بعض أعضاء الجماعة وقد حضر السيد مدير الجامعة وحاول تهدئة الموقف فلم ينجح وخرج المؤتمر بعدة توصيات بعد أن استطاع مقرر المنظمة أن يعدل بعض القرارات المنحرفة .. وتم اختيار وفد يمثل الطلاب ضم مقرر المنظمة والمقرر المساعد وأمين الاتحاد وعضوا من الجماعة الدينية يرافقهم مدير الجامعة للتوجه الى مكتب السيد سامى شرف لرفع التوصيات .. وبعد عودة الوفد قرر الطلبة الاعتصام بالكلية حتى تجاب مطالبهم وقد قرر أعضاء المنظمة البقاء معهم وتمكنوا من إنهاء الاعتصام بعد مناقشات استمرت حتى الساعة الثانية عشرة مساء .

(٦) عاود طلبة كلية الهندسة بجامعة عين شمس إصرارهم على الخروج فى مظاهرة صباح يوم الأحد ١٩٦٨/٢/٢٥ ونجح المقرر المساعد لمنظمة الشباب فى تحويلها الى مسيرة صامتة تتوجه إلى حرم الجامعة لعقد مؤتمر غير أن الموقف افلت من يديه بعد اصطدام البوليس مع المسيرة .

(٧) تمكن أعضاء المنظمة والادارة من تحويل تجمعات الطلاب فى كليات المعلمين والزراعة والعلوم بجامعة عين شمس الى مؤتمرات داخلية يوم ١٩٦٨/٢/٢٥ .

(٨) رفع مكتب الامانة مذكرة الى القيادة السياسية موضحا تطورات الموقف وخطورته .. وتضمنت المذكرة اقتراحات محددة لتدارك الموقف .. منها اقتراح أن يتحدث السيد الرئيس الى الجماهير التى تتركز ثقتها فى سيادته .. كذلك أصدر مكتب الأمانة عدة بيانات وتوجيهات تنظيمية لقيادات المنظمة شرح فيها تطورات الموقف ونبه الى محاولات الرجعية واستغلال الموقف وطالب أعضاء المنظمة باليقظة التامة لأهداف الرجعية وتحركاتها وحماية المجتمع من أى عمل تخريبى .

ثالثا : بالنسبة لموضوع أسلوب النضال وموقف المنظمة من السلطة :

مصادر المعلومات

١ ـ مذكرة السيد محمد ادريس امين مساعد أمانة الفلاحين بشأن ما دار فى اجتماع لمنظمة الشباب عقد بالعياط يوم الأحد الموافق ٣ مارس ١٩٦٨ محولة من مكتب السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى بتاريخ ١٩٦٨/٣/١٤ .

٢ ـ تبليغ شفوى من السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى للسيد أمين الشباب عن معلومات وصلت لسيادته تفيد بأن منظمة الشباب هى التى دبرت المظاهرات .. وبأن المنظمة تنادى بالنضال ضد السلطة فى اجتماعاتها التى عقدت فى مناطق شرق وغرب ووسط وجنوب القاهرة .

٣ ـ معلومات مبلغة للسيد العميد جمال هدايت من سكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بنفس المضمون المشار إليه سابقا .

رأى اللجنة

يرتبط هذا الموضوع ارتباطا مباشرا بالمظاهرات التى حدثت أيام ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ فبراير ١٩٦٨ وما تلاها من أحداث حتى يوم ٢٩ فبراير ١٩٦٨ .. وفى ذلك تبرز اللجنة النقاط التالية :

١ ـ منذ قيام مظاهرة العمال فى حلوان ترددت شائعات قوية وواسعة تفيد بأن منظمة الشباب هى التى دبرت هذه المظاهرات فى حلوان والجامعات ، ووصلت هذه الشائعات إلى حد الاتهام العلنى الصريح الذى وجهه أحد أعضاء مجلس الأمة للمنظمة بتنظيم وتدبير المظاهرات .. وذلك فى الاجتماع الذى عقد لمناقشة هذه الأحداث فى مجلس الأمة .

٢ ـ لفت نظر قيادة المنظمة بعض الوقائع التى حدثت خلال أيام المظاهرات وما بعدها .. وكان مضمون هذه الوقائع يشير إلى وجود محاولات منظمة ومقصودة لضرب المنظمة عن طريق تلفيق بعض الحوادث واختلاق الإشاعات التى ثبت بالدليل القاطع عدم صحتها .. بالاضافة إلى محاولة تصعيد الموقف وركوب شبكة اتصالات المنظمة بواسطة عناصر مجهولة ومخربة .. مثال ذلك مايلى :

أ ـ وصلت معلومات للسيد أمين هويدى وزير الدولة تفيد أن السيد أحمد كامل أمين الشباب زار مصنع ٩٩ حربى وطالب العمال فى هذا المصنع بالقيام بمظاهرات وكان ذلك يوم السبت الموافق ٢٤ فبراير ١٩٦٨ ، وقد اتضح بما لا يدع مجالا للشك عدم صحة هذه الواقعة وعدم قيام السيد أمين الشباب بزيارة هذا المصنع أو غيره من المصانع أساسا .

ب ـ وصلت معلومات لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن أمين لجنة منظمة الشباب بقسم مسطرد بمنطقة شبرا الخيمة يقوم بتوزيع اشارة مكتوبة بإمضاء السيد أحمد كامل أمين الشباب تطالب عمال مصانع المنطقة بعمل مظاهرات .

وقد قامت لجنة من أعضاء مكتب الامانة فور تلقى هذه المعلومات ليلا بالانتقال إلى منطقة شبرا الخيمة وتأكدت من عدم وجود أى أساس من الصحة لهذه المعلومات .. وكانت الحالة هادئة تماما فى منطقة شبرا الخيمة طوال أيام المظاهرات وبعدها .

ج ـ وصلت بعض المواقع التنظيمية لمنظمة الشباب فى حلوان وفى جامعة القاهرة اشارات وتعليمات مدسوسة على المنظمة اتضح عدم صدورها من أى مستوى قيادى للمنظمة .

٣ ـ نتيجة للمظاهرات تم القبض على عدد من أعضاء المنظمة ضمن الأفراد الذين قبض عليهم فى هذه الأحداث .. وأدى ذلك إلى حدوث استياء بين أفراد المنظمة والى كثرة التساؤلات حول مصير الأعضاء المعتقلين .

٤ ـ عقد اجتماع لأعضاء مكتب امانة الشباب مع السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى اعقاب أحداث المظاهرات .. حيث شرح سيادته تفاصيل الموقف وأجاب على التساؤلات التى كانت

سائدة فى ذلك الوقت وأعطى سيادته بعض التوجيهات الخاصة بمواجهة الموقف كما حدد بعض المهام الأساسية للمنظمة فى هذه المرحلة .

وعلى ضوء ذلك كله رأت قيادة المنظمة أن الأمر يقتضى ضرورة عقد اجتماع عاجل لقيادات المنظمة بغرض شرح تفاصيل الموقف خلال الأيام السابقة وتجديد بعض المهام الأساسية لأعضاء المنظمة لمواجهة الموقف ونقل توجيهات السيد الأمين العام الى الشباب .

ترى اللجنة

أ - أن جميع قيادات المنظمة فى هذه المواقع (شرق وغرب ووسط وجنوب القاهرة والجيزة) خرجوا بمفهوم واضح وسليم لما دار فى الاجتماعين اللذين عقدا برئاسة السيد أمين الشباب يومى ٢٩ فبراير وأول مارس ١٩٦٨ .

ب - أن معظم الاجتماعات التى عقدت لأعضاء المنظمة بعد ذلك كانت تسيطر عليها روح الحماس الزائد والتوتر وعدم الانضباط فى بعض الأحيان وذلك بسبب المناخ النفسى السيء الذى كان يخيم على الشباب نتيجة للأحداث الأخيرة وخاصة نتيجة لاحساسهم بالهجوم المتكرر على منظمة الشباب واتهام أعضائها بتدبير المظاهرات وتحريكها رغم ما بذله معظمهم من جهود لمحاولة السيطرة على الموقف .

ج - فى ظل هذا الجو المشحون بالحماس والتوتر أثار بعض الشباب عديد من القضايا والاستفسارات التى تتردد بين الجماهير والتى قد ينظر اليها على أنها محاولة للتشكيك فى بعض القيادات ونقد بعض تصرفاتها .. وقد تمكنت هذه الاجتماعات من الرد على ما أثير فيها من قضايا واستفسارات .. ومن المسلم به أن يمارس أعضاء المنظمة حقهم الكامل فى حرية الاستفسار والمناقشة داخل الاجتماعات التنظيمية للمنظمة بغرض التوصل لوحدة فكرية كاملة مبنية على الاقتناع والحوار الحر .. والمهم أن قدرة القيادة على الرد والتفسير بما يحقق وحدة الفكر والاقتناع .

د - حدث فى أحد هذه الاجتماعات بمنطقة شرق القاهرة أن قال أحد قادة المنظمة فى معرض حديثه عن دور المنظمة فى النضال "أن كل الشعب مؤمن بجمال عبد الناصر وأننا اليوم نتذكر ما قاله السيد الرئيس فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧ حين قال أن الشعب يطالب ببداية جادة وأنا معه .. فهل هناك مراكز قوى تمنع من تحقيق مطالب الشعب ؟ .. فإذا كانت هناك فعليه أن يصدر القرار ونحن نموت من أجل تنفيذه .. وإذا كانت هناك معوقات تعوق تحقيق مطالب الجماهير فيجب إزالتها حتى ولو كان جمال عبد الناصر - وبالطبع أن أقوى حاجة نعتز بها جميعا هى سيادة الرئيس" .

وتعتقد اللجنة أن ذلك يعتبر خطأ وعدم انضباط يجب أن يحاسب عليه تنظيميا .. وإن كانت اللجنة لا تشك فى اخلاص هذا العضو ووطنيته والتزامه بقيادة الثورة الممثلة فى شخص السيد الرئيس .

هـ - تعرض بعض أعضاء المنظمة فى هذه الاجتماعات بالنقد لبعض أعضاء مجلس الأمة الذين هاجموا المنظمة واتهموها بالانحراف .. ونادى بعضهم بضرورة التصدى لهذه العناصر والعمل على كشفها وتعريتها أمام الجماهير بالعمل السياسى المنظم .. وساعد على ذلك ما قام به بعض أعضاء مجلس الأمة من تحركات لمهاجمة المنظمة فى دوائرهم الانتخابية عقب اجتماع مجلس الأمة الذى ناقش موضوع المظاهرات استمرارا لهجومهم على المنظمة فى هذا الاجتماع .

و - على الرغم من سيطرة الاحساس بالتمزق والانفعال على غالبية المتحدثين فى هذه الاجتماعات نتيجة للظروف التى سبق الاشارة اليها .. إلا أنه كان من الواضح فى مضمون ما تردد من أحاديث ومناقشات شدة الولاء والتحمس لأهداف ومبادىء الثورة الاشتراكية والاستعداد للتضحية من أجل حمايتها وتدعيمها وإزالة كل المعوقات التى تعترض طريقها بروح وطنية خالصة .. ولم تشعر اللجنة بوجود أى إحتمال بوجود تيار معاد للثورة أو لقيادتها فى هذه الاجتماعات .

رابعا : بالنسبة لبعض المعلومات الشفوية التى أبلغت للسيد أمين الشباب شخصياً :

مصدر المعلومات ومضمونها :

١ - معلومات وصلت للسيد وزير الداخلية تفيد بأن منظمة الشباب ببورسعيد قامت بتوزيع نشرة مطبوعة تطلب فيها الرأى فى اسلوب التغيير ..

تأكد للجنة عدم صحة هذه المعلومات وأن قيادة المنظمة لم تصدر فى هذه المرحلة إلا نشرة واحدة تحتوى على توجيهات وكلمات من نص خطاب السيد الرئيس فى حلوان فى ٣ مارس ١٩٦٨ (مرفق نسخة) .

٢ - معلومات وصلت للسيد أمين هويدى وزير الدولة تفيد أن السيد أحمد كامل أمين الشباب ذهب يوم السبت ١٩٦٨/٢/٢٤ إلى مصنع ٩٩ الحربى وطلب من العمال القيام بمظاهرات .

٣ ـ معلومات وصلت لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن أحد قادة المنظمة فى منطقة شبرا الخيمة يقوم بتوزيع إشارة بتوقيع السيد أحمد كامل أمين الشباب تطالب العمال بعمل مظاهرات ..

تأكد للجنة عدم صحة هذه المعلومات كما سبق ذكره .

٤ ـ معلومات وصلت لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن السيد علاء الدين عبد الفتاح البنا أحد قادة المنظمة بمحافظة الجيزة تعرض بحديث غير لائق لشخص السيد الرئيس أثناء وجوده فى المنصورة لتمضية عطلة عيد الأضحى المبارك .

لم تستطع اللجنة أن تقطع برأى نهائى فى هذه المعلومات نظرا لعدم إمكان تنظيم مواجهة مع الشخص الذى بلغ هذه المعلومات لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات .. وقد توصلت اللجنة نتيجة للتحقيق الذى أجرته مع السيد علاء الدين عبد الفتاح البنا أنه اشترك فى مناقشة شخصية حول بعض الأوضاع السياسية أثناء زيارته لشخص يدعى رجاء القاضى يعمل فى مكتب السيد محمد توفيق عويضة سكرتير المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ..

وقد ذكر السيد علاء الدين البنا فى أقواله أن مضمون الحديث كان يدور حول إتهام السيد رجاء القاضى لمنظمة الشباب بأنها تنظيم ماركسى ومحاولة رد السيد علاء الدين البنا على هذا الاتهام .. هذا بالاضافة الى بعض تعليقات حول محكمة الثورة لم يتعرض فيها الحديث لشخص السيد الرئيس .

خامساً : بعض الملاحظات العامة :

١ ـ ترى اللجنة أن السبب فى ترديد الأقوال حول اتهام المنظمة بتدبير المظاهرات وتحريكها يرجع الى ما يلى :

أ ـ أن أول مظاهرة قامت صباح يوم ١٩٦٨/٢/٢١ فى حلوان كان يقودها مقرر منظمة الشباب فى مصنع ٣٦ للطائرات .. وقد سبق تحليل هذه الواقعة فى التقرير .

ب ـ أن كثيرا من الشباب الذين اشتركوا فى هذه الأحداث كانوا ينتمون لعضوية المنظمة انتماء اسميا فقط دون أن يربطهم بها أى التزام أو ارتباط تنظيمى منذ فترة طويلة .. بل أن بعض هؤلاء الشباب محسوب على عضوية المنظمة لمجرد أنه حضر معسكر المرحلة الأولى .. للتدريب السياسى وانقطعت صلة المنظمة بعد ذلك .. هذا علاوة على أن بعض هؤلاء الشباب يعتبرون من العناصر المضادة للمنظمة بعد أن صدرت قرارات بفصلهم أو تجميدهم كما سبق توضيحه فى التقرير .. والحقيقة التى يجب إبرازها فى هذا المجال أن نسبة الأعضاء الملتزمين فى المنظمة لا يزيد عن ٣٠ ٪ من عدد الأعضاء المسجلين بها فعلا . وقد تضمنت خطة المنظمة لعام ١٩٦٨ برنامج خاص لتدارك هذه الظاهرة السلبية .

ج ـ أن كثيرا من العناصر المنحرفة والرجعية فى المجتمع والتى كانت تتحين للهجوم على منظمة الشباب وعلى التنظيم السياسى القائد لتحالف قوى الشعب العامل .. تحركت بنشاط واضح وملموس لتحقيق مآربها للنيل من هذه التنظيمات كوسيلة لضرب النظام الاشتراكى والتشكيك فى منجزاته وقياداته ..

وتستدل اللجنة على ذلك بالتطبيقات بالمعلومات الملفقة التى وصلت لبعض كبار المسئولين ولأجهزة الأمن والمعلومات والتى ثبت عدم وجود أى أساس من الصحة لها .. وكانت كل هذه المعلومات تحاول ضرب منظمة الشباب والتشكيك فى موقف قيادتها .

٢ ـ ترى اللجنة أن تحليل هذا الموضوع والحكم على أبعاده يجب أن يتم من خلال ادراكنا الكامل لحقيقتين أساسيتين هما :

أ ـ أن طبيعة المرحلة العمرية للشباب وخصائصها النفسية تشير الى أن الشباب تسيطر عليه روح التبرم بالأوضاع القائمة والسعى دائماً نحو الكمال وتعشق المثاليات وعدم القبول بما هو دونها .. وهو بذلك العنصر الذى يتجسد فيه ارادة التغيير فى أى مجتمع من المجتمعات .. وهو العنصر الذى تتمثل فيه غالبا روح الثورة بنقائها وطهارتها ..

وان واجبنا الأساسى هو حماية هذه الخصائص وتأكيد وجودها لدى الشباب مع بذل مزيد من الجهد لضمان صقلها وتوجيهها الوجهة السليمة التى تتفق مع ظروف المجتمع وواقعه وإمكانياته

مع اعتبار كامل لتحركات القوى المضادة فى المجتمع التى ستحاول جاهدة أن تؤثر فى الشباب وتجتذبهم .

ب ـ أن ظروف قيام منظمة الشباب واتساع قاعدة عضويتها فى فترة زمنية قصيرة لم تتح فرصة كافية حتى الآن لضمان كل مقومات النجاح اللازمة للمنظمة وخاصة فى مجال الكوادر الكافية والقادرة على تحريك هذه القاعدة بنجاح .. وهذا يعنى أن منظمة الشباب قد تعرضت خلال أحداث فبراير ١٩٦٨ لتجربة صعبة ولمسئولية تفوق قدراتها الحقيقية فى هذه المرحلة .

والله يوفقنا لما فيه خير الوطن »

أعضاء اللجنة

عميد جمال هدايت	سعيد حشمت	د. عادل عبد الفتاح
أمين مساعد أمانة الشباب	أمين مساعد أمانة الشباب	سكرتير التنظيم للجنة المركزية لمنظمة الشباب

فهـــــرس

عن المحاولة وعن الرجل ٥
هذه شهادتى للأجيال القادمة والتاريخ ١٠
كيف اصبحت رئيسا لجهاز المخابرات وماذا حدث ؟ ١٣
من قمة جهاز المخابرات الى قاع السجن ٢٠
بعض ملامح تجربتى فى رئاسة المخابرات ٢٩
إنعكاسات هزيمة يونية على جهاز المخابرات العامة ٣٨
محاولة لبناء استراتيجية جديدة للمخابرات ٤٣
محاولة على سفح القمة لفرض قرار الحرب ٥٠
الصورة فى عمق المسرح السياسى بعد رحيل عبدالناصر ٥٦
على حافة الزنزانة فى السجن الحربى ٦٣
وتبددت فرصة تاريخية للتصحيح ٧٠
عندما تمردت الاجيال الجديدة ومنعت من المشاركة
فى رفع انقاض الهزيمة ٧٩
فى اتون تجربة منظمة الشباب ٨٨
من اسيوط الى الاسكندرية الى رئاسة الجمهورية ٩٨
رؤية من داخل التنظيم الطليعى او السرى ١٠٦
هكذا تآكلت الثورة مبكرا من داخلها ١١٣
هكذا قرر الثوار ان يتحولوا الى حكام ١٢١
شــىء مــن الجــذور ١٢٨
فى لهيب محنة حرب عام ١٩٤٨ .... ١٣٦
جمال عبدالناصر صورة من قريب ١٤٤
عن معضلة العمل السياسى فى بلادنا ١٥١
صــور ووثائـق ١٦٥

كتب صدرت عن دار الهلال

- هزيمة يونيو ـ حقائق وأسرار .... تأليف : طه المجدوب
- أضواء المسرح الغربي .... تأليف : الفريد فرج
- توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة ... تأليف : ناجي نجيب
- ثورة حضارية زاحفة وماذا عن مستقبل مصر تأليف : راجى عنايت
- « الكمبيوتر » ساحر المستقبل ...... تأليف : د . بهاء الدين حلمى
- التفكير فريضة اسلامية ..... تأليف : عباس محمود العقاد
- الفلسفة القرآنية .... تأليف : عباس محمود العقاد
- عبقرية محمد .... تأليف : عباس محمود العقاد
- الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ... تأليف : د . ميلاد حنا
- فرنسا والفرنسيون على لسان الرائد طومسون تعريب د . ثروت عكاشة

تطلب من مؤسسة دار الهلال والمؤسسات الشهيرة

مصر المجاهد
فى العصر الحديث
(ستة أجزاء)

تأليف المؤرخ الكبير

عبد الرحمن الرافعى

مذكرات
فى السياسة والثقافة

الدكتور ثروت عكاشة

تطلب من مؤسسة دار الهلال والمكتبات الشهيرة

رقم الإيداع : ٥٠٨٧ / ١٩٩٠
I . S . B . U .
977 — 07 — 0008 — 8

20

Bibliotheca Alexandrina
04417252

٦٠٠ قرش